هو ذيل احياء علوم الدين
هو العزيز سبحانه

هذا كتاب الاربعين في اصول الدين

من تصنيف الامام العالم العلامة الحبر البحر الهمام شيخ الحقيقة
ومعدن الطريقة حجة الاسلام محمد بن محمد الغزالي
قدس الله سره [illegible] ونور ضريحه [illegible]
علومه واسراره [illegible]
في زمرة [illegible] وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم [illegible] وعلى آله واصحابه الطاهرين
الطاهرين [illegible]
الى يوم الدين برحمتك يا ارحم
الراحمين [illegible]

سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون
علوا كبيرا سبحان الله وبحمده

انتقل من ملك الشيخ الامام العلامة
[illegible] عبد اللطيف
[illegible]
[illegible] محمد عبد الرحمن [illegible]
[illegible]
وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

كن صبورا اذا اتتك الرزايا
وشكورا اذا اتتك مصيبة
فالليالي من الزمان حبالى
مثقلات يلدن كل عجيبة

[illegible] احياء علوم الدين للغزالي [illegible]

لابن الوردي المحكم

عليك بأرباب الصدور فمن غدا مضافاً لأرباب الصدور تصدرا

وإياك أن ترضى صحابة ناقص فتنحط قدراً من علاك وتحقرا

فرفع أبو من ثم خفض مزمل يبين قولي مغرياً ومحذرا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله اجمعين اما بعد
ولعلك تقول هذه الآيات التي اوردتها في القسم الثاني تشتمل على
اصناف من العلوم والاعمال مختلطة فهل يمكن تمييز مقاصدها وشرح جملها على وجه
بين التفصيل والتحصيل يمكن التفكر في واحد منها على حيال العلم الآن تفصيل
ابواب السعادة في العلم والعمل وتيسر عليه مفاتيحها المجاهدة والتفكر
فاقول نعم ذلك فانه ينقسم جمل مقاصدها الى علوم واعمال والاعمال تنقسم
الى ظاهرة وباطنة والباطنة تنقسم الى تزكية وتحلية فهي اربعة اقسام علوم
واعمال ظاهرة واخلاق مذمومة تجب التزكية فيها واخلاق محمودة تجب
التحلية بها وكل قسم يرجع الى عشرة اصول واسم هذا الكتاب الاربعين
في اصول الدين فمن ثقل عليه كتبه مفردا فليكتبه فانه يشتمل على زبد علوم القرآن

القسم الاول في جمل العلوم واصولها وهي عشرة الاصل الاول
في الذات فنقول الحمد لله الذي تعرف الى عباده بكتابه المنزل على
السيد المرسل بانه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد
لا ضد له متوحد لا ند له وانه قديم لا اول له دائم لا انصرام له لم يزل ولم
يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء بتصرم الآماد
انقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن الاصل الثاني

الاصل الثاني في التقديس وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر
وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر
ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله
موجود ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار
ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي
قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن
والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته
ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى
فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات على العرش
كما انه رفيع الدرجات على الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو
اقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه
قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه
شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان
خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه باين بصفاته من
خلقه ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال

لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها
عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في
ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا
بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **الاصل الثالث**
في القدرة وانه حي قادر جبار قهار لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه
سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة
والجبروت له القدرة والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون
في قبضته وانه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق
واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته
تصاريف الامور لا يخفى مقدوراته ولا يتناهى معلوماته **الاصل الرابع في العلم**
وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري في تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على
الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم
السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر
بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته
بالتحول والانتقال

الاصل الخامس في الارادة وانه مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا
يجري في الملك والملكوت قليل وكثير ولا صغير ولا كبير خير او شر
نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان
طاعة او عصيان الا بقضائه وقدره ومشيئته فما شاء كان وما لم يشاء
لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد
فعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته
الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمعونته وارادته ولو اجتمع
الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها
دون ارادته ومشيئته عجزوا عن ذلك وان ارادته قائم بذاته في جملة
صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في
اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم
ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر
الامور بلا ترتيب افكار وتربص زمان فلذلك لا يشغله شان عن شان
الاصل السادس في السمع والبصر وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب
عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق

ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة او اجفان ويسمع

من غير اصمخة وآذان كما يعلم من غير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة

اي بغير احتياجها اليه

اذ لا يشبه صفاته صفات الخلق كما لا يشبه ذاته ذات الخلق **الاصل السابع**

في الكلام وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قايم بذاته

لا يشبه كلامه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك

اجرام ولا حرف ينقطع باطباق شفة وتحريك لسان وان القرآن والتوراة

والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القرآن مقروء بالالسنة

مكتوب في الصحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قايم بذات الله تعالى

لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان

موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار

ذات الله تعالى من غير شكل ولا لون وان كانت له هذه الصفات كان حيا عالما

قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحيوة والقدرة والارادة والسمع والبصر

والكلام لا بمجرد الذات **الاصل الثامن في الافعال** وانه لا موجود سواه

كما زعمت الحكماء والمعتزلة فانهم المعطلة

الا وهو حادث بفعله وفايض بعدله تعالى على احسن الوجوه واكملها واتمها

واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد

اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم

من الله سبحانه فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما

فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان

ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم

اختراعا وانشاءه بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده

ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق

من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه ولا لحاجة وانه تعالى

وهو قول كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف الآية وكما قال في القرآن اني جاعل في الارض خليفة الآية

متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام

يعني نيكو كرد بر جمله مخلوقات بخلق واختراع ايشان

والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان

اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب

الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما

وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم

اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في

الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث

الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده

فوجب على الخلق تصديقهم

فيما جاؤوا به

الاصل التاسع في اليوم الآخر وانه يفرق بالموت بين الارواح والاجسام
ثم يعيدها اليها عند الحشر والنشر فيبعث ما في القبور ويحصل ما في
الصدور فيرى كل مكلف ما عمله من خير وشر محضرا ويصادف دقيق
ذلك وجليله مسطرا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها
ويعرف كل واحد مقدار عمله خيره وشره بمعيار صادق يعبر عنه
بالميزان وان كان لا يساوي ميزان الاعمال ميزان الاجسام الثقال
كما لا يساوي الاسطرلاب الذي هو ميزان المواقيت والمسطرة التي هي
ميزان المقادير والعروض الذي هو ميزان الاشعار ساير الموازين
ثم يحاسبهم على افعالهم واقوالهم وسرايرهم وضمايرهم ونياتهم و
عقايدهم مما ابدوه واخفوه وانهم يتفاوتون فيه الى مناقش في الحساب
والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وانهم يساقون الى الصراط
وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء ومنازل السعداء احد
من السيف وادق من الشعر يخف عليه من استوى في الدنيا على الصراط
المستقيم الذي يوازيه في الخفاء والدقة ويتعثر به من عدل عن سواء
السبيل المستقيم الا من عفي عنه بحكم الكرم وانهم عند ذلك يسئلون

٥

فيسئل من يشاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من
الكفار عن تكذيب المرسلين ومن شاء من المبتدعة عن السنة ومن
شاء من المسلمين عن اعمالهم فيسئل الصادقين عن صدقهم والمنافقين
عن نفاقهم ثم يساق السعداء الى الرحمن وفدا والمجرمين الى جهنم وردا
ثم يأمر باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في النار
من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويخرج بعضهم قبل تمام العقوبة
والانتقام بشفاعة الانبياء والعلماء والشهداء ومن له رتبة الشفاعة
ثم يستقر اهل السعادة في الجنة منعمين ابد الآبدين متنعمين بالنظر
الى وجه الله تعالى ويستقر اهل الشقاوة في النار مردودين تحت انواع
العذاب مبعدين عن النظر بالحجاب الى وجه الله تعالى ذو الجلال والاكرام
الاصل العاشر في النبوة وانه خلق الملايكة وبعث الانبياء وايدهم
بالمعجزات وان الملايكة كلهم عباده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
بل يسبحون الليل والنهار لا يفترون وان الانبياء رسله الى خلقه وينهي
اليهم وحيه بواسطة الملايكة فينطقون عن وحي يوحى لا عن الهوى
وانه بعث النبي الامي القرشي محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم برسالته الى
كافة العرب و
العجم والجن والانس

فنسخ بشرعه الشرايع وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة

التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول

وهو قول محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر

عنه في امر الدنيا والآخرة والزمهم اتباعه والاقتداء به وقال وما

آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فلم يغادر شيا يقربهم

من الله تعالى الا امرهم به ودلهم سبيله ولا شيا يقربهم الى النار

ويبعدهم عن الله سبحانه الا نهاهم عنه وعرفهم طريقه وان ذلك امور

لا يرشد اليها مجرد العقل والرأي والافكار بل هو اسرار يكاشف بها من حضرة

القدس قلوب الانبياء والحمد لله على ما ارشد وهدى واظهر من اسمائه

الحسنى وصفاته العلى والصلوة على محمد المصطفى خاتم الانبيا وعلى اله و

اصحابه وسلم تسليما كثيرا خاتمة في التنبيه على الكتب التي يطلب منها

حقيقة هذه العقيدة اعلم ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن

اعني جمل ما يتعلق منها بالله واليوم الآخر وهي ترجمة للعقيدة التي

لا بد ان ينطوي عليها قلب كل مسلم بمعنى انه يعتقده ويصدق به

تصديقا جزما ووراء هذه العقيدة رتبتان احديهما معرفة ادلة

عليه الصلوة والسلام

هذه العقيدة الظاهرة من غير غوص عن اسرارها والثانية معرفة

اسرارها ولباب معانيها وحقيقة ظواهرها والرتبتان جميعا ليستا

واجبتين على جميع العوام اعني ان نجاتهم في الاخرة غير موقوفة عليهما

ولا فوزهم عليهما وانما الموقوف عليهما كمال السعادة واعني بالنجاة

الخلاص من العذاب واعني بالفوز الحصول على اصل النعم والتنعم بها واعني بالسعادة

نيل غايات النعيم فالسلطان اذا استولى على بلدة وفتحها عنوة فالذي

لم يقتله ولم يعذبه فهو ناج وان اخرجه عن البلد والذي لم يعذبه ومع ذلك

مكنه من المقام في بلده مع اهله واسباب معيشته فهو ذلك النجاة فايز

والذي خلع عليه واشركه في ملكه واستخلفه في مملكته وامارته فهو مع النجاة

والفوز سعيد ثم زيادات درجات السعادة والنعمات لا ينحصر واعلم ان الخلق في الآخرة

ينقسمون الى هذه الاصناف بل الى اصناف ورتبة اكثر منها وقد شرحنا ما امكن من شرحها

في كتاب التوبة فاطلبه منه والرتبة الاولى من الرتبتين وهي معرفة ادلة

هذه العقيدة فقد اودعناها الرسالة القدسية في قدر عشرين ورقة

وهي احد فصول كتاب قواعد العقايد من كتاب الاحياء واما ادلتها

مع زيادة تحقيق وزيادة تانق في ايراد الاسولة والاشكالات فقد اودعناها

كتاب الاقتصاد في الاعتقاد

اي في حق الاعتقاد

بالغة فكر والتانق في التنظر والتعمق في تحقيق شي

من

فى مقدار مائة ورقة فهو كتاب مفرد براسه يحوى لباب علم المتكلمين

ولكنه ابلغ فى التحقيق واقرب الى قرع ابواب المعرفة من الكلام الرسمى

الذى تصادف فى كتب المتكلمين وكل ذلك يرجع الى الاعتقاد لا الى

المعرفة فان المتكلم لا يفارق العامى فى كونه عارفا وكون العامى معتقدا

بل هو ايضا معتقد عرف مع اعتقاده ادلة الاعتقاد ليؤكد الاعتقاد

ويستمره ويحرسه عن تشويش المبتدعة ولا ينحل عقدة الاعتقاد الى انشراح

المعرفة فان اردت ان تستنشق شيئا من المعرفة صادفت منها مقدارا

صالحا يعرفك كيفية باب المعرفة فى كتاب المقصد الاقصى فى معانى

اسماء الله الحسنى لا سيما فى اسماء الله تعالى المشتقة من الافعال وان اردت

صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة من غير مجمجة ولا مراقبة ولا تصادفه

الا فى بعض كتبنا المضنون بها على غير اهلها واياك ان تغتر وتحدث

نفسك باهليته فتشرئب لطلبه فتستهدف للمسافهة بصريح الرد

الا ان تجمع ثلث خصال احديها الاستقلال فى العلوم الظاهرة ونيل

رتبة الامامة فيها والثانية انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد

محو الاخلاق الذميمة حتى لا يبقى فيك تعطش الا الى الحق ولا اهتمام

ولا شغل الا فيه ولا تعريج الا عليه والثالثة ان يكون قد اتيح لك

السعادة فى اصل الفطرة بقريحة وفطنة بليغة لا تكل على ذرك

غوامض العلوم ومشكلاتها على سبيل البديهة والمبادرة فان

البليد اذا اتعب خاطره واكد نفسه ربما ادرك بعض الغوامض ايضا

ولكن يدرك منها شيئا يسيرا فى مدة طويلة فلن يصلح لاقتباس معرفة

الحقيقية الا قلب صاف كانه مرآة مجلوة وانما يصير كذلك بقوة الفطرة

وصحة القصد ثم بازالة كدورات الدنيا عن وجهه فان الدين والطبع

الذى يمنع الله تعالى به القلوب عن معرفته وان الله تعالى يحول بين المرء وقلبه

القسم الثانى فى الاعمال الظاهرة وهى عشرة اصول الاصل الاول الصلوة

قال الله تعالى واقم الصلوة لذكرى وقال صلعم الصلوة عماد الدين

واعلم انك فى صلوتك مناج ربك فانظر كيف تصلى وحافظ فيها

على ثلثة امور لتكون من جملة المحافظين على الصلوة والمقيمين لها

فان الله سبحانه انما يأمر بالاقامة ويقول تعالى اقم الصلوة واقيموا الصلوة

وليس يقول صل ويثنى على المحافظين على الصلوة فيقول الذين يؤمنون

بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون الاول المحافظة على الطهارة

بان تسبغ الوضوء قبل الصلوة واسباغها بان تاتى بجميع سننها واذكارها
المروية عند كل وظيفة منها وتحتاط ايضا فى طهارة ثيابك وطهارة بدنك
وطهارة الماء الذى تتوضأ به احتياطا لا ينفتح عليك باب الوسوسة
فان الشيطان يوسوس فى الطهارة فيضيع اكثر اوقات العبادة واعلم
ان المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج ثم من طهارة البدن وهو
القشر القريب ثم طهارة القلب وهو اللب الباطن وطهارة القلب عن
نجاسات الاخلاق اهم الطهارات كما نذكره فى القسم الثالث لكن لا يبعد
ان يكون لطهارة الظاهر ايضا تاثير فى اشراق نورها على القلب فانك
اذا اسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت فى قلبك
انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه من قبل وذلك لسر العلاقة التى بين
عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب
من عالم الملكوت باصل فطرته وانما هبوطه الى عالم الشهادة كالغريب
عن جبلته وكما ينحدر من معارف القلب آثار الى الجوارح فكذلك ترتفع من احوال
الجوارح انوار الى القلب ولذلك امروا بالصلوة مع انها حركات الجوارح
التى هى من عالم الشهادة ولذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى الدنيا ومن الدنيا وقال حبب الى من دنياكم ثلث الحديث فلا يستبعد
ان يفيض من طهارة الظاهر اثر على الباطن ففى بدايع صنع الله امور اعجب
من هذا اذ قد عرف بالتجربة ان المجامع فى حال المباشرة لو اديم النظر
الى بياض مشرقة او حمرة قانية حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون
المولود الى ذلك اللون الذى غلب عليه وان الجنين اول ما يتحرك فى البطن
تميل صورته الى الحسن ان كانت الام مشاهدة فى تلك الحالة لصورة حسنة
بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
المباشر عند مباشرته ان يحضر فى قلبه ارادة صلاح المولود ويدعو الله تعالى
بذلك فيقول اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
حتى يفيض الله تعالى مبادى الصلاح على الروح التى يخلقها عند القاء البذر
فى محل الحرث بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله تعالى
النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الاجسام المحاذية للمرآة
هذا الآن يقرع بابا عظيما من معرفة عجايب صنع الله تعالى فى الملك والملكوت
والى قريب منه يرجع سر الشفاعة فى الآخرة فلنجاوزه فغرضنا الآن ذكر
الاعمال دون المعارف وقد اسمعناك شيئا يسيرا من روايح الطهارة الظاهرة

فان كنت لا تصادف شيئا بعد الطهارة واسباغ الوضوء من الصفا الذي وصفناه فاعلم ان الدرن الذي عرض على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار لا يحس باللطايف والاشياء الخفية اللطيفة ولم يبق في قوته الا ادراك الجليات ان بقي فاشتغل بجلاء قلبك وتصفيته فذلك اوجب عليك من كل ما انت فيه **المحافظة الثانية** ان تحافظ على سنن الصلوة واعمالها الظاهرة واذكارها وتسبيحاتها حتى تاتي فيها بجميع السنن والآداب والهيآت كما جعلناها في كتاب بداية الهداية فان لكل واحد منها اسرارا وله تاثير في القلب كما نبهنا عليه في تاثير الطهارة بل اشد وابلغ وشرح ذلك يطول وانت اذا اتيت بذلك انتفعت به وان لم تعلم اسراره كما ينتفع شارب الدواء بشربه وان لم يعرف طبايع اخلاطه ووجوه مناسبته لمرضه **واعلم** على الجملة ان للصلوة صورة صورها رب الارباب كما صور الحيوان امثالا فروحها النية والاخلاص وحضور القلب وبدنها الاعمال واعضاؤها الاصلية الاركان واعضاؤها الكمالية الابعاض فالاخلاص والنية فيها يجري مجرى الروح والقيام والقعود يجري مجرى البدن

والركوع والسجود يجري مجرى الراس واليد والرجل واكمال الركوع والسجود والطمانينة وتحسين الهيئة يجري مجرى حسن الاعضاء وحسن اشكالها والوانها والاذكار والتسبيحات فيها يجري مجرى آلات الحس المودعة في الراس والاعضاء كالعين والاذن وغيرهما ومعرفة معاني الاذكار وحضور القلب عندها يجري مجرى قوة الحس المودعة في آلات الحس كقوة السمع وقوة البصر والشم والذوق في معادنها **واعلم** ان تقربك بالصلوة كتقرب بعض خدم السلطان باهداء وصيفة الى السلطان واعلم ان فقد النية والاخلاص من الصلوة كفقد الروح من الوصيفة والمهدي للجيفة الميتة مستهزئ بالسلطان فيستحق سفك الدم وفقد الركوع والسجود يجري مجرى فقد الاعضاء وفقد الاذكار يجري مجرى فقد العينين من الوصيفة وجدع الانف والاذنين وعدم حضور القلب في غفلته من معرفة معاني القرآن والاذكار كفقد البصر والسمع مع بقاء جرم الحدقة والاذن ولا يخفى عليك ان من اهدى وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند السلطان **واعلم** ان قول الفقيه في الصلوة الناقصة ابعاضها وسننها انها صحيحة كقول الطبيب في الوصيفة المقطوع اطرافها انها حية

اي اجاب لمن شكره ثم اردفه بالشكر المتقاضي للمزيد وقل ربنا لك الحمد وكرره بقولك ملء السموات والارض ثم اهو الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة ومكّن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب واجتهد ان لا يكون بينك وبينه حايل لتكون رادا للفرع الى اصله وجدد على قلبك عظمة ربك بقولك سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار ليتاكد تاثر قلبك فان المراد من هذه الظواهر تحركات البواطن فاذا رق قلبك وظهر ذلك فحقق رجاءك من رحمة ربك فانها متسارعة الى الذليل ثم ارفع راسك مكبرا سائلا حاجتك قائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وما اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالسجود ثانيا فحينئذ حصل لك ثلاثة انواع من الطاعة الركوع وبه تنجو من عقبة الشهوات والسجود الاول وبه تنجو من عقبة الغضب والثاني وبه تنجو من عقبة الهوى واذا جلست للتشهد في الركعة الثانية فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما اتيت به من الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله تعالى وكذلك الملك له وهو معنى التحيات ثم في هذا المقام يصعد نور روحك وينزل روح محمد صلى الله عليه وسلم فتتلاقى الروحان فلا بد من الروح محمد عم من تحية فاحضر في قلبك شخص النبي عم وقل السلام عليك ايها النبي وصدق املك بانه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم على نفسك وعلى عباد الله الصالحين واملِ ان يرد عليك سلاما وافيا بعددهم ثم لوصولك الى هذا الخير اشهد بالوحدانية والنبية عليه السلام بالرسالة مجددا للعهد باعادتها مستانفا للتحصن بها ثم لكان سائلا قال لك محمد الذي هداك اي شيء هديتك له فقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد فقال لك ان ابرهيم هو الذي طلب من الله ان يرسل اليك مثل هذا الرسول فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤه فقل كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم فقال لك كل هذه الخيرات من محمد وابرهيم او من الله تعالى فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ادع مع الخشوع وارج الاجابة واشرك في دعائك ابويك وسائر المؤمنين ثم لو اذكرت لله تعالى بهذه الاثنية ذكرك عند الملائكة كما قال لا لو ذكرني عبدي في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه فعند ذلك اشتاقوا الى زيارتك وقد جاؤك فابداء بالسلام عليهم وقل السلام عليكم لتحصل لك مرتبة السابقين فلهذا اذا دخلت الجنة فالملائكة يدخلون من كل باب فيقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار واقصد بالتسليم ايضا الحاضرين والخروج من الصلوة وتوهم انك مودع لصلوتك هذه وانك ربما لا تعود لمثلها كما قال عم اذا صليت صلوة الحديث واشعر قلبك الحياء والوجل من التقصير في الصلوة وخف انها لا تقبل وارج قبولها بفضله وكرمه فهذا هو اقامة الصلوة والمحافظة عليها فافهم وصلى الله على سيدنا محمد واله الطاهرين

وليست بميتة فان كان ذلك كافيا في التقرب بها الى السلطان
ونيل الكرامة منه **فاعلم** ان الصلوة الناقصة صالحة للتقرب بها
الى الله سبحانه ونيل الكرامة وان اوشك ان يرد ذلك على المهدي ويزجر بمنع
فلا يبعد مثل ذلك في الصلوة فانها قد ترد على المصلي كالخرقة
الخلقة كما ورد في الخبر واعلم ان اصل الصلوة التعظيم والاحترام
واهمال آداب الصلوة يناقض التعظيم والاحترام **المحافظة الثالثة**
ان تحافظ على روح الصلوة وهو الاخلاص وحضور القلب في جملة
الصلوة واتصاف القلب في الحال بمعانيها فلا تسجد ولا تركع الا و قلبك
خاشع متواضع على موافقة ظاهرك فان المراد خضوع القلب لا
خضوع البدن ولا تقول الله اكبر وفي قلبك شيء اكبر من الله تعالى
ولا تقول وجهت وجهي الا وقلبك متوجه بكل وجه الى الله تعالى معرض
عن غيره ولا تقول الحمد لله الا وقلبك طافح بشكر نعمه عليك فرح به
مستبشر ولا تقول اياك نستعين الا وانت مستشعر ضعفك وعجزك
وانه ليس اليك ولا الى غيرك من الامر شيء وكذلك في جميع الاذكار
والاعمال وشرح ذلك يطول وقد شرحناه في كتاب الاحياء فجاهد نفسك

في ان ترد قلبك الى الصلوة حتى لا تغفل من اولها الى آخرها فانه
لا يكتب للرجل من صلوته الا ما عقل منها فان تعذر عليك الاحتياط
وما اريك الا كذلك فانظر فان كان قدر الغفلة مقدار ركعتين
فلا تعد الصلوة ولكن افهم ان النوافل جوابر الفرايض فتنفل بمقدار
ان يحضر القلب فيها في مقدار ركعتين فكلما زادت الغفلة زد في
النوافل حتى يحضر قلبك مثلا في عشر ركعات بمقدار اربع ركعات
وهو قدر فرضك فمن رحمة الله تعالى عليك ان قبل منك جبران الفرايض
بالنوافل فهذه اصول المحافظة على الصلوة **الاصل الثاني**
في الزكوة والصدقة قال الله سبحانه وتعالى مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة والله يضاعف لمن يشاء الآية وقال رسول الله صلعم
هلك الاكثرون الا من قال بالمال هكذا وهكذا **فاعلم** ان انفاق
المال في الخيرات احد اركان الدين وانما سر التكليف به بعد ما
يرتبط به من مصالح البلاد والعباد وسد الخلات والفاقات
لان المال محبوب الخلق وهم مأمورون بحب الله تعالى ويدعون الحب بنفس الايمان فجعل بذل المال معيار حبهم وامتحان صدقهم

في دعوام فان المحبوبات كلها تبذل لاجل المحبوب الاغلب فانقسم الخلق فيه

الى ثلث طبقات **الطبقة الاولى** الاقربآء وهم الذين انفقوا جميع

ما ملكوا ولم يؤخروا لانفسهم شيئا فهولآء صدقوا ما عاهدوا الله

عليه من الحب كما فعل ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا جآء بماله كله

فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماذا ابقيت لنفسك فقال

الله ورسوله وقال لعمر رضي الله عنه ماذا ابقيت لنفسك قال مثله

اى مثل ما اتيت به فقال صلعم بينكما مثل بين كلمتيكما **الطبقة الثانية**

المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على اخلاء اليد عن المال دفعة

واحدة ولكن امسكوا لا للتنعم بل للانفاق عند ظهور محتاج اليه

فهم يقنعون في حق انفسهم بما يقويهم على العبادة واذا عرض محتاج

بادروا الى سد خلته وحاجته ولم يقتصروا على قدر الواجب من الزكوة

وانما غرضهم الا ظهر في الامساك ترصد الحاجات **الطبقة الثالثة**

الضعفاء هم المقتصرون على اداء الزكوة الواجبة فلا يزيدون عليها

ولا ينقصون منها فهذه درجاتهم وبذل كل على مقدار حبه لله تعالى وما ادراك

تقدر على الدرجة الاولى او الثانية ولكن اجتهد حتى تجاوز الدرجة الثالثة

الى اواخر طبقات المقتصدين المتوسطون فتزيد على الواجب ولو شيئا يسيرا

فان مجرد الواجب حد البخلاء قال الله سبحانه ان يسئلكموها فيحفكم

تبخلوا اى يستقصي عليكم فتبخلوا فاجتهد ان لا يقتضي عليك وقت

الا وتصدق شيء وراء الواجب ولو بكسرة خبز فترتفع بذلك درجة البخلاء

فان لم تملك شيئا فليست الصدقة في المال كلها لكن كل كلمة طيبة وشفاعة

ومعونة في حاجة وعيادة مريض وتشييع جنازة وفي الجملة ان تبذل

شيئا مما تقدر عليه من جاه ونفس وكلام لتطييب قلب مسلم فيكتب جميع ذلك

لك صدقة وحافظ في زكوتك وصلوتك وصدقتك على خمسة امور

الاول الاسرار فان في الخبر ان صدقة السر تطفيء غضب الرب والذي

يتصدق بيمينه بحيث لا تعلم شماله وهو احد السبعة الذين يظلهم الله تعالى

يوم لا ظل الا ظله وقد قال الله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء

فهو خير لكم وبذلك تتخلص عن الريآء فانه غالب على النفس وهو مهلك

ينقلب في القلب اذا وضع الانسان في قبره في صورة حية اى يؤلم

ايلام الحية والبخل ينقلب في صورة عقرب والمقصود في كل الانفاق

الخلاص من رذيلة البخل فاذا امتزج به الريآء كان جعل العقرب

غدآء الحية فما تخلص من العقرب ولكن زاد في قوة الحية اذ كل صفة
من الصفات المهلكات في القلب انما غذآؤها وقوتها في اجابتها الى
مقتضاها **الثالث** ان تحذر من المن وحقيقته ان ترى نفسك محسنا
الى الفقير متفضلا عليه وعلامته ان تتوقع منه شكرا وتستنكر تقصيره
في حقك وممالاته عدوك استنكارا يزيد على ما كان قبل التصدق
فذلك يدل على انك رايت لنفسك عليه فضلا وعلاجه ان تعرف
انه المحسن اليك بقبول حق الله منك فان من اسرار الزكوة تطهير
القلب وتزكيته عن رذيلة البخل وخبث الشح ولذلك كانت الزكوة
مطهرة اذ بها حصلت الطهارة فكانما غسالة نجاسة ولذلك ترفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته من اخذ الزكوة وقال انها اوساخ
اموال الناس واذا اخذ الفقير منك ما هو طهرة لك من باطنك من الدم
التي تخشى ضررها في الحيوة الدنيا لكان الفضل لك ام له فالذي يخرج من باطنك
رذيلة البخل وضررها في الحيوة الاخرة اولى بان تراه متفضلا **الثالث**
ان تخرج من اطيب اموالك واجودها قال الله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون
وقال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الاية وقال صلعم ان الله طيب
لا يقبل الا الطيب
يعني الحلال

فان المقصود من هذا اظهار درجة الحب والانسان يوثر الاحب اليه
بالانفس ومن الاحسن **والرابع** ان تعطي بوجه طلق مستبشر وانت به فرحان
غير مستكره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة الف
وانما اراد به ما يعطيه عن بشاشة وطيبة نفس من انفس ماله واجوده
فذلك افضل من مائة الف مع الكراهة **والخامس** ان تتحرى لصدقتك
محلا فتزكو به الصدقة فهي المتقي العالم الذي يستعين بها على طاعة الله تعالى
وتقواه والصالح المعيل ذو العيال والرحمة فان لم تجتمع هذه الاوصاف فتزكو الصدقة
باحادها ايضا ورعاية الصلاح اصل الامور فما الدنيا الا بلغة للعباد وزاد
لهم الى المعاد فليصرف الى المسافرين اليه المتخذين هذه الدار منزلا من منازل
طريقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل
طعامك الا تقي وقال اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين

الاصل الثالث في الصوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله سبحانه كل حسنة بعشرة امثالها الى سبع مائة ضعف الا الصيام
فانه لي وانا اجزي به وقال لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وانما كان
الصوم مخصوصا بهذه الخواص لامرين احدهما ان يرجع الى كف وهو عمل بسر

لايطلع عليه احد غير الله تعا كالصلوة والزكوة وغيرهما والثاني انه قهر
لعدو الله تعا فان الشيطان هو العدو ولن يقوى الشيطان الا بواسطة
الشهوات والجوع يكسر جميع الشهوات التي هي آلة الشيطان فلذلك قال عم
ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاري الشيطان
بالجوع وهو سر قوله عم اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت
ابواب النيران وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم
ويا باغي الشر اقصر واعلم ان الصوم بالاضافة الى مقداره على ثلث
درجات وبالاضافة الى اسراره على ثلث درجات اما درجات مقداره فاقلها
الاقتصار على شهر رمضان واعلاها صوم داود عم وهو ان يصوم يوما
ويفطر يوما ففي الخبر الصحيح ان ذلك افضل من صوم الدهر وانه
افضل الصيام وسر ان من صام الدهر صار الصوم له عادة فلا يحس
بوقعه في نفسه بالانكسار وفي قلبه بالصفاء وفي شهواته بالضعف
فان النفس انما تتأثر بما يرد عليها لا بما مرنت عليه فلا يبعد هذا فان
الاطباء ايضا ينهون عن اعتياد شرب الدواء وقالوا من تعود ذلك
لم ينتفع به اذا اتفق مزاجه فلا يتأثر به واعلم ان طب القلوب قريب

من طب الابدان وهو سر قوله صلعم لعبد الله ابن عمر رض لما كان يسئله عن الصوم
فقال عم صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال لا افضل
من ذلك ولذلك لما قيل لرسول الله صلعم ان فلانا صام الدهر فقال لا صام
ولا افطر كما قالت عايشة رضي الله عنها كان يقرا القرآن بهذ رمة ان هذا
ما قرا القران ولا سكت واما الدرجة المتوسطة فهو ان تصوم ثلث الدهر
ومهما صمت الاثنين والخميس واضفت اليه رمضان فقد صمت من السنة
اربعة اشهر واربعة ايام وهو زيادة على الثلث لكن لا بد ان ينكسر يوم
في ايام التشريق وترجع الزيادة الى ثلثة ايام ويتصور ان ينكسر في
العيدين في العيد يومان فتكون ثلثة ايام فترجع الزيادة الى واحد
فتامل حسابه تعرفه فلا ينبغي ان ينقص من هذا القدر صومك فانه خفيف
على النفس وثوابه جزيل واما درجات اسراره فثلث ادناها ان يقتصر
على الكف عن المفطرات ولا يكف جوارحه عن المكاره وذلك صوم العموم
وهو قناعتهم بالاسم الثانية ان يضيف اليه كف الجوارح فيحفظ اللسان
عن الغيبة والعين عن النظر بالريبة وكذا ساير الاعضاء الثالثة
ان يضيف اليه صيانة القلب عن الفكر والوسواس ويجعله مقصورا
على ذكر الله عز وجل

وذلك صوم خصوص الخصوص وهو الكمال ثم للصايم خاتمة بها يكمل
وهو ان يفطر على طعام حلال لا على شبهة وان لا تستكثر من اكل الحلال
بحيث يتدارك ما فاته ضحوة فيكون قد جمع بين الاكلتين دفعة واحدة
فيثقل معدته ويقوى شهوته ويبطل سر الصوم وفايدته ويفضى الى
التكاسل عن التهجد وربما لم يستيقظ قبل الصبح وكل ذلك خسران
ربما لا توازيه فايدة الصوم الاصل الرابع فى الحج قال الله سبحانه
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال صلعم من مات
ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وقال صلعم بنى الاسلام
على خمس الحديث والحج اعمال ظاهرة ذكرنا ها فى كتاب الاحياء وننبهك
الآن على آداب دقيقة واسرار باطنة اما الآداب فسبعة الاول ان يرتاد
للطريق رفيقا صالحا ونفقة طيبة حلالا فالزاد الحلال ينور القلب
والرفيق الصالح يذكر الخير ويزجر عن الشر الثانى ان يخلى يده عن
مال التجارة كيلا يتشعب فكره وينقسم خاطره ولا يصفو للزيارة قصده
والثالث ان يوسع فى الطريق الطعام ويطيب الكلام مع الرفقاء والمكارى
والرابع ان يترك الرفث والجدال والتحدث بالفضول فى امر الدنيا

بل يقصر لسانه بعد مهمات حاجاته على الفكر وتلاوة القرآن الخامس ان يركب
راحلة دون المحمل ويكون رث الهيئة اشعث اغبر متزين بل على هيئة المتا[كين]
حتى لا يكتب فى جملة المترفين السادس ان ينزل عن الدابة احيانا ترفيها
للدابة وتطييبا لقلب المكارى وتخفيفا للاعضاء بالتحرك ولا يحمل
الدابة ما لا تطيق بل يرفق بها ما امكن السابع ان يكون طيب النفس بما انفق
من نفقة وبما اصابه من تعب وخسران وان يرى ذلك من آثار قبول الحج
فيحتسب الثواب عليه واما اسراره فكثيرة نرمز منها الى فنين احدهما انه وضع
بدلا عن الرهبانية التى كانت فى الملل كما ورد به الخبر فجعل الله سبحانه
الحج رهبانية لامة محمد صلى الله عليه وسلم فشرف البيت العتيق واضافه
الى نفسه وجعله مقصدا لعباده وجعل حواليه حرما لبيته تفخيما لامره
وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده
وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق
متواضعين لرب العالمين خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
بتنزهه عن ان يكتنفه بيت او يحويه مكان ليكون ذلك ابلغ فى رقهم وعبوديتهم
ولذلك كلفهم اعمالا غريبة لا تناسب الطبع والعقل ليكون اقدامهم بحكم محض العبودية

وامتثال الامر من غير معاونة باعث آخر وهذا سر عظيم في الاستعباد
ولذلك قال صلعم لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا الفرق الثاني ان هذا السفر
وضع على مثال سفر الآخرة فليتذكر المريد بكل عمل من اعماله امرا من امور الآخرة
موازيا له فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر المستبصر فتذكر من اول
سفرك عند وداعك اهلك وداع الاهل في سكرات الموت ومن مفارقة
الوطن الخروج من الدنيا ومن ركوب الجمل ركوب الجنازة ومن الالتفاف في
الاثواب الاحرام الالتفاف في اثواب الكفن ومن دخول البادية الى الميقات
ما بين الخروج من الدنيا الى ميقات القيمة ومن هول قطاع الطريق هول سؤال
منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه ومن انفرادك
عن اهلك واقاربك وحشة القبر ووحدته ومن التلبية اجابة داعي
الله عز وجل عند البعث وكذلك في سائر الاعمال فان في كل عمل سرا وتحته
رمز ينتبه لكل عبد بقدر استعداده للتنبه بصفاء قلبه وقصور
همته على مهمات الدين **الاصل الخامس في قراءة القرآن** قال رسول الله صلى الله عليه
افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار
وقال ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى يوم القيمة من القرآن

وقال يقول الله سبحانه من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسئلتي
اعطيته افضل ثواب الشاكرين واعلم ان لقراءة القرآن آدابا ظاهرة
واسرارا باطنة **اما الآداب الظاهرة** فثلثة الاول ان تقرأه باحترام وتعظيم
وان تلزم الحرمة قلبك ما لم تلزم هيئة الحرمة ظاهرك وقد عرفت كيفية
علاقة القلب بالجوارح ووجه ارتفاع الانوار منها اليه وهيئة الحرمة
ان تجلس انت على الطهارة ساكنا مطرقا مستقبل القبلة غير متكئ ولا متربع
ولا نائم كما تجلس بين يدي المقرئ وتقرأه بترتيل وتفخيم وتؤدة حرفا حرفا
من غير عجلة هذرمة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة
اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا **الثاني** ان تشوق
في بعض الاوقات الى اقصى درجات الفضل فيه وذلك بان تقرأه في
الصلوة قائما خصوصا في المسجد بالليل لان القلب بالليل اصفى لانه افرغ
فانك وان خلوت بالنهار فتردد الخلق في حركاتهم واشغالهم يحرك
باطنك وتشغلك خصوصا ان كنت تتوقع ان تطلب شغلا من الاعمال والاشغال
وكيف ما قرأته ولو مضطجعا من غير طهارة فلا تخلو عن الفضل فان الله تعالى
اثنى على الجميع وقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم لكن

ماذكرناه في زيادة الفضل فان كنت من مريدي الآخرة فلا يسهل عليك
ترك الفضل وقد قال علي رضوان الله عليه من قرأ القرآن وهو قائم
في الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ القرآن في غير صلوة
على طهارة فخمس وعشرون ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنة **الثالث**
في مقدار القراءة وله ثلث درجات ادناها ان يختم في الشهر مرة
واقصاها ان يختم في ثلثة ايام وقال صلعم من قرأ القرآن من اقل من
ثلث لم يفقه واعدلها ان يختم في الاسبوع واما الختم في كل يوم فغير مستحب
فاياك ان تتصرف بعقلك فتقول ما كان خيرا ونافعا فكلما كان اكثر
كان انفع فان عقلك لا يهتدي الى اسرار الامور الالهية وانما تتلقيها قوة النبوة
فعليك بالاتباع فان خواص الامور لا تدرك بالقياس اوما ترى كيف
ندبت الى الصلوة ونهيت عنها جميع النهار وامرت بتركها بعد الصبح
وبعد العصر وعند الطلوع والغروب والزوال وذلك ينتهي الى قدر
ثلث النهار وكيف واثر الفساد ظاهر على قياسك هذا فانه كقول القائل
الدواء نافع للمريض فكلما كان اكثر كان انفع وانت تعلم ان كثرة الدواء
ربما تقتل **واما الاسرار الباطنة فخمسة** الاول ان تستشعر في اول قراءتك
عظمة الكلام

باستشعار تعظيم المتكلم فتحضر في قلبك العرش والكرسي والسموات
والارض وما بينهما من الجن والانس والحيوانات والنبات وتتذكر ان
الخالق لجميعها واحد وان الكل في قبضة قدرته متردد بين فضله
ورحمته وانك تريد تقرأ كلامه وتنظر به الى صفة ذاته وتطالع كمال
علمه وحكمته وتعلم انه كما لا يمس ظاهر المصحف الا المطهرون ظواهرهم
وهو محجوب عن غيرهم فكذلك حقيقة معناه وباطنه محجوب عن باطن
القلب الا اذا كان مطهرا من كل رجس وخبث من خبائث الباطن
وبمثل هذا التعظيم كان عكرمة اذا نشر المصحف ربما غشي عليه ويقول هذا
كلام ربي هذا كلام ربي **واعلم** انه لولا ان انوار كلام العزيز وعظمته
غشيت بكسوة الحروف لما طاقت القوة البشرية سماعه لعظمته وسلطانه
وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل موسى عليه السلم لما اطاق سماعه
مجردا عن كسوة الحروف والاصوات كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حتى صار دكا
الثاني ان تقراه بتدبر معانيه ان كنت من اهله وكلما يجري لسانك به
في غفلة فاعده ولا تعده من عملك لان الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبر
قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها

وإياك ان تصير مشغوفا بعدد الختمات على نفسك فلان تردد آية واحدة
ليلة تتدبرها خير لك من ختمتين فقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وقال ابو الدرداء
قام رسول الله صلعم بنا مرة ليلة فقام بآية يرددها ان تعذبهم فانهم
عبادك وقام تميم الداري ليلة بقوله سبحانه ام حسب الذين اجترحوا السيئات
وقام سعيد بن جبير رح بقوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون
ولعل الاليق بك كما قال بعض العارفين اذ قال لي في كل جمعة ختمة ولي
في كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت
منها بعد وذلك بحسب درجات التدبر فان القلب في بعض الاوقات لا يحتمل
التدبر الطويل فليكن للتدبر الطويل ختمة خاصة الثالث ان تجتني في تدبرك
ثمار المعرفة من اغصانها وتقتبسها من اوطانها ولا تطلب الترياق من حيث
تطلب منه الجواهر ولا الجواهر من حيث تطلب منه المسك والعود فان
لكل ثمرة غصنا ولكل جوهر معدنا وانما يتيسر لك هذا بان تعرف الاصناف
العشرة التي حصرنا فيها اقسام القرآن وهي عشرة معادن فما يتعلق
من القرآن بالله تعالى وبصفاته وافعاله فاقتبس منه معرفة الجلال والعظمة

وما يتعلق بالارشاد الى الصراط المستقيم فاقتبس منه معرفة الرحمة واللطف
والحكمة وما يتعلق باهلاك الاعداء فاقتبس منه معرفة العزة والاستغناء
والقهر والتجبر وما يتعلق باحوال الانبياء فاقتبس منه معرفة اللطف
والنعمة والفضل والكرم وكذلك في كل صنف ما يليق به فلا تنظرن
اليه بعين واحدة وشرح ذلك يطول الرابع ان تتخلى من موانع الفهم
وهي الاكنة التي تمنع من الفقه قال الله عز وجل انا جعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا الآية وقال رسول الله صلعم لولا ان
الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات واعلم
ان معاني القرآن من جملة الملكوت وانما حروفها من عالم الشهادة والاكنة
التي يبتلى بها المتقي المتعطش الى الحق نوعان اما ما يبتلى به ضعف الايمان
من حجاب الشك والجحود واما ما يبتلى به المنهمك في الدنيا من حجاب الشهوات
المستغرقة للقلب فذلك جلي لا يخفى كونه مانعا في فهم لطايف القرآن
واقتباس انواره وبها حجب اكثر الخلق واما العباد المتجردون لطريق الله تعالى
يحجبون بنوعين آخرين احدهما الوسواس الصارف للقلب الى التفكر في النية
انها كيف كانت في الابتداء وهل بقيت الآن وهل هو مخلص في الحال

هذا ان كان في الصلوة او الوسواس الصارف للهم الى تصحيح مخارج
الحروف والتشكك فيها واعادتها لاجل ذلك وهذا يجرى في الصلوة و
غيرها فكيف تطالع اسرار الملكوت قلب محجوب مصروف الى مطالعة التفتيش
وكيفية انطباقهما واللسان والحنك وكيفية انسلال الهوى من اصطكاكهما
وهو معنى تقطيع الحروف وتصحيحها **النوع الثاني** التقليد لظاهر معاني القران
والجمود عليها وذلك حجاب عظيم في الفهم ولست اعنى به التقليد الباطل
كتقليد المبتدع بل التقليد الحق ايضا فان الحق الذى كلف الخلق اعتقاده
له درجات وله مبدا ظاهر وهو كالقشر والمثال وله غور باطن وهو كاللباب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا
فالجامد على الظاهر الظان انه ليس وراءه مرتقى يرتقى اليه كيف يتصور
ان ينكشف له الاسرار فقد كلف الخلق مثلا ان يعتقدوا ان الله تعالى
يرى ولكن للرؤية ظاهر وسر فمن اعتقد ان رؤية الله تعالى مناسبة للرؤية
التى يالفها الانسان فى هذا العالم كيف يتصور ان يطلع على سر قوله تعالى
لن ترانى وكيف يفهم ان ذلك ممتنع فى هذه الحيوة الدنيا بهذه العين
الموقوفة على ملاحظة الجهات والاقطار وكيف يدرك قوله تعالى لا تدركه
الابصار

مع قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ويكفيك هذا المثال
الواحد فلسنا نكشف لك اكثر من هذا ولسنا نقصد فى هذا الاصل
الا التلويحات لمبادى الاسرار تشويقا للمستعدين لها **الخامس** ان لا تقتصر
على اقتباس الانوار بل تضيف اليها اقتباس الاحوال والاثار وذلك
ان لا تقرا اية الا وان تصير بصفتها فيكون لك بحسب كل فهم حال
فعند ذكر الرحمة وعند المغفرة تستبشر كانك تطير من الفرح وعند
ذكر الغضب وشدة العقاب تتضاءل كانك تموت من الفزع وعند ذكر الله
واسمائه وعظمته تتطاطا وتتصاغر حتى كانك تنمحق من مشاهدة الجلال
وعند ذكر الكفار ما يستحيل عليه من ولد وصاحبة تنكسر وتغض صوتك
كانك تنطمس من الحياء وكذلك كل صنف من الاصناف العشرة وذلك ليطول
وليظهر اثر ذلك على جوارحك من بكاء عند الحزن وعرق جبين عند الحياء
واقشعرار الجلد وارتعاد الفرايص عند الهيبة والجلال وانبساط فى الاعضاء
واللسان والصوت عند الاستبشار وانقباض فيها عند الاستشعار
فاذا فعلت ذلك اشترك فى نيل حظ القران جميع اجزائك وفاضت آثار
القرآن على عوالمك الثلثة اعنى عالم الملكوت وعالم الجبروت وعالم الشهادة

واعلم انك مركب من العوالم الثلثة ففيك من كل عالم جزؤ واعلم انّ
محصل انوار المعرفة يفيض من عالم الملكوت الى سرّ القلب لانّه ايضاً من
الملكوت اما آثارها من الخوف والخشية والسرور والهيبة وسائر الاحوال
فانها تهبط من عالم الجبروت ومهبطها الصدر الذى هو عالم الجبروت
وهو عالم آخر من عوالمك كنينا عنه بالصدر كما كنينا الاول بالقلب
لانّ عالم الجبروت بين عالم الملكوت وعالم الشهادة كما انّ الصدر
بين القلب والجوارح واما البكاء والشهيق والاقشعراز والارتعاد (الفرايص)
فينزل من عالم الشهادة ومهبطها الجوارح لانها من عالم الشهادة
وما اراك تفهم من القلب غير اللحم الصنوبرى الشكل ومن الصدر غير العظم
المحيط به فانك لا تدرك من كل شئ الا غلافه وقشره وما ابعدك فانّ
هذا يوجد للبهايم والميت ولا ينزل عليه انوار المعارف والعلوم ولا آثارها
من الخشية والهيبة والسرور فان اردت ان تستنشق شيا من روايح
هذه الاسرار وما اراك تريد فقد اخذ الشيطان بمخنقك فى حبال
الشهوات فعليك بباب التوحيد من اول كتاب التوكل ان اردته واعلم
انّ القرآن كالشمس فيضان اسرار المعارف منه على القلب كفيضان انوار
الشمس على الارض

وسريان اثار الخوف والخشية والهيبة وسائر الاحوال منه على الصدر
كسريان حرارة الشمس فى باطن الارض تابعاً لاشراق الانوار فانّ الخشية
اثر نور المعرفة وانما يخشى الله من عباده العلماء وانتشار الحركات والتغيرات
الى الجوارح من البكاء والعرق والاقشعرار والارتعاد منبعثا من آثار
الخشية وسائر الاحوال كحركات اجزاء الارض بتصاعد الابخرة والادخنة
منها بتصعيد حرارة الشمس فالحركة تبع الحرارة والحرارة تبع النور والنور
تبع وقوع المحاذات بين الارض والشمس فاجتهد بان تحاذى بوجه قلبك
شطر شمس القران وتستضئ بانواره كذلك وان لم تطق ذلك فاصغ الى
النداء الوارد من جانب الطور الايمن فان انست من جوانبه نارا فخذ منه
واشعل منه سراجا فان كان زيتك يضئ ولو لم تمسسه نار فاذا مسته النار
انبعث منه الضياء ووجدت على النار هدى وقام فى حقك مقام الشمس
المنتشرة الاشراق والضياء. الاصل السادس ذكر الله عز وجل فى كل حال
قال الله سبحانه واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال تعالى لنبيه صلعم
واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال صلعم لذكر الله بالغدوة والعشى
افضل من حطم السيوف فى سبيل الله تعالى ومن اعطاء المال سحا وقال رسول الله

الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم
وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم
فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله فقال
ذكر الله تعالى وقال صلعم سبق المفردون سبق المفردون فقيل ومن هم
يا رسول الله فقال المستهترون بذكر الله وضع ذكر الله عنهم اوزارهم
فوردوا القيمة خفافا واعلم انه قد انكشف لارباب البصائر ان الذكر
افضل الاعمال ولكن له ايضا قشور ثلثة بعضها اقرب الى اللب من بعض
وله لب وراء القشور الثلثة وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه
والقشر الاعلى منه ذكر اللسان فقط والثاني ذكر القلب اذا كان القلب
يحتاج الى موافقة حتى يحضر مع الذكر ولو ترك وطبعه لاسترسل
في اودية الافكار والثالث ان يستمكن الذكر من القلب ويستولي عليه
بحيث يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره كما احتيج في الثاني الى تكلف
في قراره معه ودوامه عليه والرابع وهو اللباب ان يستمكن المذكور من القلب
وينمحي الذكر ويخفى وهو اللباب المطلوب فذلك بان لا يلتفت الى الذكر ولا
الى القلب بل يستغرق المذكور جملته ومهما ظهر له في اثناء ذلك التفات الى الذكر

فذلك حجاب شاغل وهذه الحالة التي يعبر عنها العارفون بالفناء وذلك
بان يفنى عن نفسه حتى لا يحس شيئا من ظاهر جوارحه ولا من الاشياء
الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة فيه بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب
عنه جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا فيه آخرا وان خطر له في اثناء
ذلك انه فني عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة بل الكمال في ان يفنى
عن نفسه ويفنى عن الفناء ايضا فان الفناء عن الفناء غاية الفناء
وهذا قد يظنه الفقيه الرسمي طامات غير معقولة وليس كذلك بل هذه الحالة
لهم بالاضافة الى محبوبهم كحالتك في اكثر الاحوال بالاضافة الى محبوبك
من جاه او مال او معشوق فانك قد تكون مستغرقا لشدة الغضب
بالفكر في عدوك ولشدة التفكر في معشوقك حتى لا يكون فيك متسع
لشيء اصلا فتخاطب فلا تفهم ويجتاز بين يديك غيرك فلا تراه وعيناك
مفتوحتان ويتكلم عندك فلا تسمع وما باذنيك صمم وانت في هذا
الاستغراق غافل عن كل شيء وعن الاستغراق ايضا فان الملتفت الى
الاستغراق معرض عن المستغرق به وانما سموا هذه الحالة فناء وان
كان الشخص والظل باقيا لان الاشخاص والاطلال بل سائر المحسوسات ليس لها
حقيقة الوجود

بل الوجود الحقيقي لعالم الامر والملكوت والقلب من عالم الامر قال الله سبحانه
قل الروح من امر ربي والقوالب من عالم الخلق واعني بالقلب اللطيفة
الذاكرة العارفة التي هي مهبط الانوار الالهية دون القلب الظاهر
فان ذلك من عالم الخلق فلا تفهم من هذه اشارة الى قدم الروح وحدوث
القالب بل هما جميعا حادثان وانما اعني بالخلق ما يقع عليه المساحة
والتقدير وهي الاجسام وصفاتها واعني بعالم الامر ما لا يتطرق اليه
التقدير والعالم الجسماني ليس له وجود حقيقي بل هو من ذلك العالم
كالظل من الاجسام وليس لظل الانسان حقيقة الانسان وليس للشخص
حقيقة الوجود بل هو ظل الحقيقة والكل من صنع الله تعالى ولله
يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال
وسجود عالم الامر طوع لله تعالى وسجود الظلال كره وتحته سر بل اسرار
تحرك اوائلها سلسلة المجانين الحمقى فضلا عن اواخرها فلنتجاوزها
فقد فهمناك ما ارادوه بالفناء فدع عنك الغيبة والتكذيب بما لم تحط
بعلمه كما قال الله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقال الله تعالى واذ لم
يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم فاذا فهمت الفناء في المذكور

فاعلم انه اول الطريق وهو الذهاب الى الله عز وجل وانما الهدى بعده اعني
بالهدى هدى الله تعالى كما قال الخليل صلى الله عليه وسلم اني ذاهب الى ربي سيهدين
فاول الامر ذهاب الى الله تعالى ثم ذهاب في الله تعالى وذلك هو الفناء
والاستغراق به ولكن هذا الاستغراق اولا يكون كبرق خاطف قلما
يثبت ويدوم فان دوام ذلك صارت عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به
الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاصفى وانطبع له نقش الملكوت
وتجلى له قدس اللاهوت واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة
وارواح الانبياء والاولياء في صورة جميلة تفيض اليه بواسطتها بعض
الحقائق فذلك في البداية الى ان تعلو درجته عن المثال ويكافح بصريح الحق
في كل شيء فاذا رد الى هذا العالم المجاز الذي هو كالظلال نظر الى الخلق نظر
مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس وتعجب منهم في قناعتهم
بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور وعالم الخيال فيكون معهم حاضرا بشخصه
غائبا بقلبه متعجبا هو من حضورهم ويتعجبون هم من غيبته فهذه ثمرة لباب الذكر
وانما مبدؤها ذكر اللسان ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء
المذكور وانمحاء الذكر وهو سر قوله عم من احب ان يرتع في رياض الجنة
فليكثر ذكر الله تعالى

بل سر قوله يفضل الذكر الخفي على الذكر الذي يسمعه الحفظة سبعين ضعفا

واعلم ان كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فان شعورهم يقارن

شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور

بالكلية فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة ومادام القلب يشعر بالذكر و

يلتفت اليه فهو معرض عن الله عز وجل وغير منفك عن شرك خفي حتى يصير

مستغرقا بالواحد الحق فذلك هو التوحيد وكذلك القول في المعرفة فمن

طلب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثاني ومن وجدها كمثل ان لا يجدها بل

يجد المعروف بها فهو الذي استمكن من حقيقة الوصال وحل بحبوبة حضرة

القدس **فان قلت** فلم اختصت هذه المكاشفات بحالة الفناء فاعلم ان هذه

قصة يطول فيها نظر الناظر وذلك اذا تاملت لم تقصر عن ان تدرك كون

الحواس وعوارض النفس وشهواتها جاذبة الى هذا العالم المحسوس عالم الزور

والغرور ولذلك ينكشف صريح الحق بالموت لبطلان سلطان الحواس والخيالات

المولية بوجه القلب الى عالم السفل فان قصر سلطان الحواس بالنوم طولعت بشيء

من الغيب على قدر استعدادك وقبولك وهمتك ولكن بمثال يحتاج الى التعبير

وما عندك انك لم تصادفه ويا صادقة اطلعت بها على امر مستقبل لكن الخيال

لا يفتر في النوم وان ركدت الحواس فلذلك يضعف الاطلاع ولا يخلو من

شوب المثال واما الفناء فعبارة عن حالة تركد فيها الحواس ولا تشتغل

ويسكن فيها الخيال ولا يشوش فان بقيت في الخيال بقية مغلوبة لم تؤثر

الا في محاكات ما يتجلى من عالم القدس حتى يتمثل الانبياء والملائكة والارواح

المقدسة في قوالب الخيال فهذه امور نبهت عليها لتكون مشوقا الى

ان تصير من اهل الذوق لها فان لم تكن فمن اهل العلم فان لم تكن فمن اهل

الايمان بها ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات واياك

ان تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند

سكرات الموت الذي كنت منه تحيد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا

فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد **واعلم** ان الايمان والعلم

والذوق ثلث درجات متباعدة فان العنين مثلا يتصور ان يصدق

بوجود شهوة الوقاع لغيره بان يقبل ذلك ممن يحسن ظنه به ولا يتهمه

بالكذب وذلك ايمان ويتصور ان يعلم بالبرهان وجوده لغيره وهو علم

ومأخذه قياس ان ينظر الى شهوته للطعام مثلا فيقيس بها شهوة الوقاع

وكل ذلك بعيد عن ادراك حقيقة الشهوة بوجودها وكذا المرض يعرفه العاقل الصحيح

ويؤمن به ويعرفه الطبيب الصحيح بالبرهان وهو علم وما لم يصر مريضا
لم يحصل له الذوق فكذلك القول في الفناء في التوحيد فالذوق مشاهدة
والعلم قياس والايمان قبول بجنس الظن مع الانفكاك عن التهمة فاجتهد
ان تصير من اهل المشاهدة فليس الخبر كالمعاينة **فان قلت** فقد عظمت
امر الذكر فهو افضل ام قراءة القرآن فاعلم ان قراءة القرآن افضل للخلق
كلهم الا للذاهب الى الله عز وجل في جميع احوال بدايته وفي بعض احواله في
نهايته فان القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف والاحوال والارشاد
الى الطريق فما دام العبد مفتقرا الى تهذيب الاخلاق وتحصيل المعارف
فالقرآن اولى به فان جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه بحيث يرتجى له
ان يفضي به الى الاستغراق فمداومة الذكر اولى فان القرآن يجاذب خاطره
ويسرح به في رياض الجنة والمريد الذاهب الى الله تعالى لا ينبغي ان يلتفت
الى الجنة ورياضها بل ينبغي ان يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا
حتى يدرك درجة الفنا والاستغراق ولذلك قال الله عز وجل ولذكر الله
اكبر وكذلك من ينتهي الى درجة الاستغراق فلا يدوم ولا يثبت عليه
فاذا رد الى نفسه فقد ينفعه تلاوة القرآن وهذه حالة نادرة عزيزة

كالكبريت الاحمر يتحدث به ولا يوجد فتكون تلاوة القرآن افضل مطلقا
لانه افضل في كل حال الا في حال من شغله المتكلم عن الكلام اذ لباب
القرآن معرفة المتكلم بالقرآن ومعرفة جلاله والاستغراق به والقرآن
سائق اليه وهاد نحوه ومن اشرف على المقصد لم يلتفت الى الطريق
فان قلت فاي الاذكار افضل فاعلم ان الافضل كما ذكرناه استيلاء المذكور
على القلب وهو شيء واحد لا كثرة فيه حتى يختار افضله وذلك عين الجمع
والتوحيد وانما التفرقة والكثرة قبل ذلك ما دمت في مقام الذكر
باللسان والقلب وعند هذا قد ينقسم الذكر الى الافضل وغير الافضل
وفضله بحسب الصفات التي يعبر عنها بالاذكار والصفات والاسماء الواردة
في الله سبحانه ينقسم الى ما هو حقيقة في حق العباد مأولة في حقه سبحانه
كالصبور والشكور والرحيم والمنتقم والى ما هو حقيقة في حقه سبحانه واذا
استعمل في حق غيره كان مجازا فمن افضل الاذكار لا اله الا هو الحي القيوم
فان فيه اسم الله الاعظم اذ قال صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم في اية
الكرسي واول آل عمران ولا يشتركان الا في هذا ولذلك سر يدق عن فهمك
ذكره والقدر الذي يمكن الرمز اليه ان قولك لا اله الا الله يشعر بالتوحيد

ومعنى الوحدانية في الذات والرتبة حقيقي في حق الله تعالى غير مأول
بل هو في حق غيره مجاز ومأول وكذلك الحي فان معنى الحي هو الذي يشعر
بذاته ويعلم ذاته والميت هو الذي لا خبر له من ذاته وهذا ايضا حقيقي لله تعالى
والقيوم يشعر بكونه قايما بذاته وان كل شيء قوامه به وهذا ايضا حقيقي له تعالى
غير مأول ولا يوجد لغيره وما عداها من الاسماء الدالة على الافعال على افعاله
كالرحيم والمقسط والعدل وغيره فهو دون ما يدل على الصفات لان مصادر
الافعال هي الصفات والصفات اصل والافعال تبع وما علاها من الصفات
التي تدل على القدرة والعلم والارادة والكلام والسمع والبصر فذلك مما
يظن ان الثابت منها لله عز وجل مفهوم من ظواهرها وهيهات فان المفهوم
من ظواهرها امور تناسب صفات الانسان وكلامه وقدرته وعلمه وسمعه
وبصره بل لها حقايق يستحيل ثبوتها للانسان فتخرج من هذه الاسامي
بنوع من التاويل فهذا ينبهك على ما يحمله فهمك من اختصاص هذه الكلمات
بكونها اعظم ويقرب منه قولك سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
لان سبحان الله تقديس وهو حقيقي في حقه تعالى فان القدس الحقيقي
لا يتصور الا له تعالى وقولك الحمد لله يشعر باضافة النعم كلها اليه عز وجل

44

وهو حقيقي اذ هو المنفرد بالافعال كلها تفردا حقيقيا بلا تاويل
وهو تبارك وتعالى المستوجب للحمد وحده اذ لا شركة لاحد معه في فعله اصلا
البتة كما لا شركة للقلم مع الكاتب في استحقاق المحمدة عند حسن الخط
واعلم ان كل من سواه ممن ترى منه نعمة فهو تعالى مسخر له كالقلم فهذا
مثال ينبهك على تفرده باستحقاق الحمد وقولك لا اله الا الله فقد
عرفت انه التوحيد الحقيقي وقولك الله اكبر فليس المعني به انه اكبر من غيره
اذ ليس معه سبحانه غيره حتى يقال انه اكبر منه بل كل ما سواه فهو نور
من انوار قدرته وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعية حتى يقال انها
اكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه انه عز وجل اكبر من ان ينال
بالحواس ويدرك جلاله بالعقل والقياس بل اكبر من ان يدرك
كنه جلاله غيره بل اكبر من ان يعرفه غيره فانه لا يعرف الله تبارك وتعالى
الا الله تعالى فان منتهى معرفة عباده ان يعرفوا انه يستحيل منهم معرفة
الحقيقية ولا يعرف ذلك ايضا بكماله الا نبي وصديق اما النبي عم
فيعبر عنه ويقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واما
الصديق رضوان الله تعالى عليه العجز عن درك الادراك ادراك وان

وان تشوقت الى زيادة تحقيق في هذا المعنى واستنكرت قولي لا يعرف
الله الا الله فاطلب معرفة حقيقته بالبرهان من كتاب المقصد الاقصى
في معاني اسماء الله الحسنى ويكفيك الآن هذا القدر من الرموز الى اسرار
الذكر وفضل اذكار منها **الاصل التاسع في طلب الحلال**
قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا والحرام خبيث وليس
بطيب فقد قرن عز وجل اكل الطيبات بالعبادات وقال رسول الله صلعم
طلب الحلال فريضة على كل مسلم بعد الفريضة اى بعد فريضة الايمان
والصلوة وقال عم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى
ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي رواية زهده الله في الدنيا وقال عم
ان لله ملكا على بيت الله المقدس ينادى كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه
صرف ولا عدل والصرف النافلة والعدل الفريضة وقال عم من اشترى
ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلوته ما دام عليه منه شيء
وقال عبد الله بن عمر رض لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا
كالاوتار لم يقبل الله بذلك منكم الا بورع حاجز وقيل العبادة مع اكل
الحرام كالبنيان على السرقين **فصل** اعلم ان طيب المطعم له خاصية عظيمة

في تصفية القلب وتنويره وتاكيد استعداده لقبول انوار المعرفة
وفيه سر لا يحتمل هذا الكتاب ذكره ولكن ينبغي ان تفهم ان درجات الورع اربع
الدرجة الاولى وهي التي يجب الفسق باقتحامها وتزول العدالة بزوالها
وهي التي يحرمها فتوى الفقهاء **الثانية** ورع الصالحين وهو الحذر عما يتطرق
اليه احتمال التحريم وان افتى المفتي بحله بناء على الظاهر وهو الذي قال
فيه رسول الله صلعم دع ما يريبك الى ما لا يريبك **الثالثة** ورع المتقين
قال النبي عم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا باس به حذرا
او مخافة مما به باس وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال
مخافة الوقوع في الحرام ومن هذا الاصل كان بعضهم اذا استحق مائة درهم
اقتصر على تسعة وتسعين ويترك الواحد حاجزا بينه وبين النار
خوف الزيادة وكان بعضهم ياخذ ما ياخذ بنقصان حبة ويعطي ما يعطي
بزيادة حبة ولذلك اخذ عمر بن العزيز رح انفه حذرا من ريح المسك
لبيت المال كان يوزن بين يديه وقال هل ينتفع الا بريحه ومن ذلك
ان يتورع من الزينة واكل الشهوات خيفة من ان تغلب النفس فتدعو الى
الشهوات المحظورة ومن ذلك ترك النظر الى تجمل اهل الدنيا فانه يحرك دواعي الرغبة

في الدنيا ولذلك قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا ولذلك قال عيسى بن مريم عم لا تنظروا الى اموال
اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم ولذلك قال السلف
من دق ثوبه دق دينه والحلال المطلق الطيب كل حلال انفك من هذه
المخافة ولم يوجد فيها **الرابعة** ورع الصديقين وهو الحذر عن كل ما يراد به التقوى
على طاعة الله تعالى اذا كان قد يتطرق الى بعض اسبابها مصيبة فمن ذلك
ما تحكى ان ذا النون المصرى كان محبوسا جايعا فبعثت اليه امرأة صالحة
من طيب مالها طعاما على يد السجان فلم ياكل منه واعتذر انه جاءنى على طبق
ظالم اى يد السجان ومن ذلك ان لبشر الحافى كان لا يشرب من الانهار التى
حفرها السلاطين واطفى بعضهم سراجا اشعله غلامه من بيت الظالم
وشرب بعضهم دواء فاشارت اليه امرأته بالمشى والتردد فقال هذه
مشية لا اعرف لها وجها وانا احاسب نفسى على جميع حركاتى وهذه رتبة اقوام
وفوا بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فعدوا اكل ما لم يكن لله تعالى حراما وليس هذا
من عيشك وعش ناصحك فادرج واجتهد ان تفى بورع العدول الذى
يفتى به الفقهاء ثم ينبغى ان تضيف اليه شيئين احدهما ان تحذر عن مواقع غرورهم

ولا تلتفت الى قولهم من وهب فى آخر السنة ماله زوجته واستوهب
منها مالها سقطت الزكوة عنهما فانهم ان عنوا به ان السلطان
لا يطالبهم بالزكوة لان مطمح نظر ظاهر الملك فهو صدق ودرجة
الفقهاء وفتواهم ذكر ما يتعلق بالظاهر فيحكمون بالبراءة اذا سقط
طلب الساعى ويحكمون بصحة الصلوة اذا امتنع القتل على السلطان
بجريان صورة الصلوة اذ ليس بايديهم من القوانين الا قانون الذى
يستعمل السلطان فى السياسة لينتظم امر المعيشة الدنيوية التى هى
منزل من منازل الطريق كما سبق واما انت تنظر فيما ينفعك غدا
عند جبار الجبابرة وسلطان السلاطين فلا تلتفت الى هذا **واعلم**
ان مقصود الزكوة ازالة رذيلة البخل فانه مهلك كما قال صلى الله عليه وسلم
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وهبة مال
الزكوة لاجل درء الزكوة يجعل الشح مطاعا فانه يصير مطاعا باجابته
الى ما يقتضيه وقبل هذا لم يكن مطاعا فكيف يكون ذلك منجيا وكذلك
من يسيء معاشرة زوجته حتى يفك له من المهر فلا يحل له المهر بينه
وبين الله تعالى وان كان الفقيه يفتى بسقوط المهر وصحة الابراء لان الله تعالى

فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وليس هذا طيبة النفس بل طيبة القلب الفقيه
لا يتميز بين الامرين لان شغفه بقطع الخصومات الظاهرة والحجامة وشرب
الدواء البشع لا تطيب به النفس بل يطيب به القلب وكذلك كل ما يأباه الطبع
ويرى العقل المصلحة في البدن في العافية وهذا باب طويل واصله ان لا
تستحل مال غيرك الا برضى مطلق صافٍ وينبغي ان لا تاكل من السؤال
فان سالت فاحذر ان تسئل على الملاء فربما يعطي بالحياء وذلك ليس مقرونا
بالرضى فان المستحيي يؤثر الم اذالة الملك على الم الحياء ولا فرق بين ان تاخذ
ماله بضرب ظاهره بالسوط وبين ان تاخذ بضرب باطنه بسوط الحياء
فالكل مصادرة واحذر ان يعطيك بالدين وذلك بان يعطيك لظنه
انك ورع تقي فتاكل بالدين ومن شرط حله ان لا يكون في باطنك لو اطلع
عليه المعطي لامتنع من الاعطاء فلا فرق بين من ياخذ بالتقوى والتصوف
وليس هو متصفا به باطنا وبين من يزعم انه علوي ليعطي وهو كاذب وكل
ذلك حرام عند ذوي البصائر وان افتى الفقيه بالحل بناء على الظاهر
الفن الثاني ان تراجع قلبك وان افتوك فان الاثم حواز القلوب فالذي
يضرك ما حاك من قلبك ولذلك قال رسول الله صلعم استفت قلبك

وان افتوك وافتوك وهذا السر طويل ذكره ولكن اعلم على الجملة ان المحذور
من الحرام اظلام القلب المطلوب من الحلال تنويره وذلك يتشعب من
اعتقادك لا من نفس المعتقد فمن وطئ امراة على ظن انها اجنبية فاذا
هي منكوحته حصل اظلام القلب لو وطئ اجنبية على ظن انها زوجته
لم يحصل وكذلك في النجاسات والطهارات المؤثرة في تنوير القلب بحكم
واعتقاد ذلك فما امرت ان تصلي وثوبك طاهر بل ان تصلي وانت تعتقد
انه طاهر فاستشعار الطهارة مؤثر في اشراق القلب وان لم يكن على وفق
الحال ولذلك نقول ان من صلى ثم تذكر انه كان معه نجاسة فليس عليه
اعادة على الاصح لانه صلعم خلع نعليه في اثناء صلوته لما اخبر جبريل عم
بان عليهما قذرا واستمر فيها ولذلك يشتد الامر على الموسوس فانه
لم يطمئن قلبه باعتقاده الطهارة يجب عليه الاستقصاء والمعاودة و
اولئك قوم شددوا على انفسهم شدد الله تعا عليهم فهلكوا باستقصائهم
كما قال عم هلك المتنطعون فكذلك في الحال انت متعبد بما يطمئن اليه
قلبك لا بما يفتي به المفتي فاستفت قلبك **فصل** اياك ان تشدد على نفسك
فتقول اموال الدنيا كلها حرام وقد اختلطتها الايدي العادية والمعاملات
الفاسدة

فاقنع بالحشيش مترهبا او تناول من الجميع متوسعا لا افصل فيه بين حلال
وحرام بل اعلم قطعا ان الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات
كذلك يكون في عصر رسول الله صلعم وكذلك يكون ابد الدهر فاستمد من
السر الذي ذكرناه فانك غير متعبد بما هو في نفسه حلال بل بما هو في
اعتقادك حلال لا تعرف سببا ظاهرا في تحريمه فقد توضأ رسول الله صلعم
من مزادة مشرك وتوضأ عمر رض من جرة نصرانية ولو عطشوا لشربوا
منه وشرب الماء النجس حرام ولكن استصحبوا يقين الطهارة ولم يتركوها
لتوهم النجاسة وكذلك كل مال صادفته في يد رجل مجهول عندك حاله
فلك ان تشتري منه وتاكل من ضيافته تحسينا للظن بالمسلم فان الاصل
ان ما في يده حلال وما تصادفه في يد رجل عرفته بالصلاح فهو اولى
بان تعتقده حلالا ثم يجب الحذر عما تصادفه في يد سلطان ظالم او رجل
عرفته بالربا او بيع الخمر فيجب الحذر منه حتى تسئل وتستقصي وتعرف انه
من اين حصل له فان ظهر لك جهة حصوله وانه حلال فلك اخذه والا فلا اعتمادا
على العلامة الظاهرة وهي قرينة حاله وهذا اذا كان اكثر امواله كذلك
فان كان اكثرها حلالا فلك ان تاكل منه وان تركته فذلك ورع فقد كتب

بعض وكلاء ابن المبارك من البصرة اليه يسئله عن معاملة رجل
يعامل السلاطين فقال ان كان لا يعامل غير السلطان فلا تعامله
وان كان يعامل ايضا غيره فعامله وبالجملة الناس في حقك ستة
اقسام احدها ان يكون مجهولا فكل ماله والحذر ليس بواجب بل هو محض
الورع الثاني ان تعرفه بالصلاح فكل منه ولا تتورع فالورع فيه وسوسة
فان ادى الى الايذاء والايحاش فهو معصية وحرام لما فيه من الايذاء
ولما فيه من سوء الظن بالرجل الصالح الثالث ان تعرفه بالظلم والربا
حتى علمت ان كل ماله او اكثره حرام كالسلاطين الظلمة وغيرهم فمالهم
حرام الرابع ان تعرف ان اكثر امواله حلال ولكن لا يخلو عن حرام كرجل
له تجارة وميراث وهو مع هذا في عمل السلطان فلك الاخذ بالاغلب
لكن الترك من الورع المهم الخامس ان يكون مجهولا عندك لكن ترى
عليه علامة الظلم كالقباء والقلنسوة وهيئة الاتراك والظلمة فهذه علامة
ظاهرة توجب الحذر فلا تاكل من ماله الا بعد التفتيش السادس ان ترى
عليه علامة الفسق لا علامة الظلم كطول الشارب وانقسام شعر الراس
قزعا او رايته يشتم عبدا او ينظر الى امراة فان علمت ان ماله موروث

او تجارة لم يحرم ماله بذلك وان كان امره مجهولا عندك فهذا فيه نظر
لان علامة الفسق اضعف دلالة من علامة الظلم ولكن الاظهر عندي
انه لا يحرم ماله لان ظاهر اليد والاسلام يدل على الملك دلالة اظهر من
دلالة هذه العلامة على التحريم وليست هذه الدلالة اقوى من دلالة
النصرانية والمجوسية على نجاسة المال ولم يلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا عمر رضي الله تعالى عنه اما علامة الظلم فتضاهي ما اذا رأينا ظبية
تبول في ماء ثم وجدنا الماء متغيرا فامكن ان يكون من طول المكث وامكن
ان يكون من البول فانه يجب اجتنابه احالة على السبب الظاهر ثم وراء
ذلك كله عليه ان يستفتي قلبه فاذا وجد في قلبه حزازة فليجتنبه
فالاثم حزاز القلوب وحكاكات الصدور ولكن ههنا دقيقة يغفل
عنها اهل الورع وهي انه حيث يكون الترك من الورع او من حزازة في النفس
فلا يجوز الترك والسؤال بحيث يؤذي فالمجهول اذا قدم اليك طعاما
فان سألته انه من اين استوحش وتأذى والايذاء حرام وسوء الظن حرام
فان سألت غيره بحيث يدري زاد الايذاء وان سألت بحيث لا يدري
فقد تجسست واسأت الظن وبعض الظن اثم وتساهلت بالغيبة والتهمة

وكل ذلك حرام وترك الورع ليس بحرام فليس لك الا التلطف بالترك
فان لم يكن الا بايذاء فعليك ان تأكل فان طيبة قلب المسلم وصيانته عن
الاذى من الورع فاياك ان تكون من القراء المغرورين الذين لا يدركون
دقائق الورع واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل من صدقة بريرة
ولم يسئل عن المصدق وكان عم يحمل اليه الهدايا ولا يسئل ثم سال
في قدومه الى المدينة عما حمل اليه هل هو هدية او صدقة لان ذلك
ليس فيه ايذاء ولان قرينة الحال كانت يقتضي الامكان في الصدقة
والهدية على وتيرة واحدة وكان صلعم يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسئل
ولم ينقل السؤال الا نادرا في محل الريبة فان قلت فان وقع طعام حرام
في سوق فهل يشتري من ذلك السوق فاقول ان تحققت ان الحرام هو
الاكثر فلا تشتر الا بعد التفتيش وان علمت ان الحرام كثير وليس بالاكثر
فلك الشراء والتفتيش من الورع ولقد كان رسول الله صلعم واصحابه رضوان
يشترون في اسفارهم من الاسواق مع علمهم بان فيهم اهل الربا والغصب
واهل الغلول في الغنيمة وكانوا لا يتركون المعاملة معهم وهذا الباب
يستدعي شرحا طويلا فان رغبت فيه فطالع كتاب الحلال والحرام من كتب الاحياء

لتشهد عند مطالعته بانّه لم يصنّف فى فنّه مثله فى التحقيق والتحصيل
والاحاطة بجميع التّفاصيل الاصل الثّامن فى القيام بحقوق المسلمين
وحسن الصّحبة معهم وهو ركن من اركان الدّين اذ الدّين معناه السّفر
الى الله عزّ وجلّ ومن اركان السّفر حسن الصّحبة فى منازل سفر مع المسافرين
والخلق كلّهم مسافرون بسير بهم العمر سير السّفينة براكبها واعلم انّ الانسان
فى الدّنيا امّا ان يكون وحده او يكون مع خواصّه من اهل وولد وقريب
وجار او يكون مع عموم الخلق وهذه ثلثة احوال وعليه حسن الصّحبة
واداء الحقوق فى جميع هذه الاحوال الحالة الاولى ان يكون وحده وليعلم
انّه بنفسه عالم وانّ باطنه يشتمل على اصناف من الخلق مختلفى الطباع
والاخلاق فان يحسن صحبتهم ولم يقم بحقوقهم هلك واصناف الجنود
الباطنة كثيرة وما يعلم جنود ربّك الّا هو وقد استقصينا بعض ذلك
فى كتاب عجايب القلب ونذكر الآن امراء امر الجنود ورؤسها فنقول فيك
شهوة تجذب بها الى نفسك النافع وغضب تدفع به عن نفسك الضّار
وعقل تدبّر به الامور وترعى به الرّعيّة باعتبار غضبك كلب وباعتبار
شهوتك بهيمة كالفرس مثلا وباعتبار عقلك ملك وانت مأمور بالعدل
بينهم

والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم لتقتنص بمعونتهم سعادة الابد
فان رضت الفرس وادّبت الكلب وسخّرتهما للملك تيسّر لك الظّفر بالملك
وان سخّرت العقل فى استنباط الحيل لتحصيل ما يتقاضاه الكلب بغضبه
ولجاجه والفرس بحرصه وحشعه اوفيت على العطب فضلا عن ادراك
مقصود الطّلب فصرت منكوسا معكوسا فاجرا ظالما لانّ الظّلم وضع الشّئ
فى غير موضعه ولو رايت شخصا جعل فى طاعته ملك وكلب وخنزير فلم
يزل يضطرّ الملك الى ان يسجد للخنزير والكلب فهل تراه ظالما مستوجبا
للعنة ولو كوشفت بحالك عند منامك او عند فنائك عن نفسك
كما وصفنا فى الاستغراق بالله تعالى لرايت كلّ من اطاع شهوته وغضبه
ساجدا لكلب وخنزير اذ لم يكن الكلب كلبا لصورته بل لمعناه وكذلك
ترى نفسك بعد الموت لانّ المعانى فى عالم الآخرة تستتبع الصّور
ولا تتبعها فيتمثّل كلّ شئ بصورة توازى معناه فيحشر المتكبّر فى صور
الذّرّ يطؤهم من اقبل وادبر والمتواضعون اعزّاء واما هذا العالم فعالم
التّلبيس فقد يودع معنى الخنزير والكلب فى صورة الانسان فلا تغترّ به
فانّ ذلك ينكشف يوم تبلى السّرائر فعليك ان تحسن صحبة رفقائك
الثلثة

فتنكسر شره الشهوة بسوطة الغضب وتقل من غلواء الغضب بخداع الشهوة
وتسلط احدهما على الآخر فان ذلك بليغ جدا فى تقويمهما حتى تنقاد للعقل
والشرع فيستعملهما العقل بحيث ينتفع بهما كما يستعمل الصايد الفرس
والكلب عند الحاجة ويسكنهما عند الاستغناء وشرح هذه الرياضة
والصيد طويل بل ذكرناه فى كتاب رياضة النفس الحالة الثانية صحبتك
مع عموم الخلق واقل درجات حسن الصحبة كف الاذى عنهم قال النبى عم
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وفوق ذلك ان تنفعهم وتحسن اليهم
قال النبى عم الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم الى عياله تعالى لعياله
وفوق ذلك ان تحتمل الاذى منهم وتحسن مع ذلك اليهم وذلك درجة
الصديقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه ان اردت
ان تسبق الصديقين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن
ظلمك هذه جملة الامور وتفصيل هذه الحقوق كثيرة ونقتصر من جملتها
على عشرين وظيفة فمنها ان لا تحب للناس الا ما تحب لنفسك قال عم
من سره ان يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه ومنها

ان يتواضع لكل احد ولا يفتخر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور
وان تكبر عليه غيره فليحتمل قال الله عز وجل خذ العفو وامر بالمعروف
واعرض عن الجاهلين ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال صلعم
ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا وقال صلعم من اجلال الله
اكرام ذى الشيبة المسلم وقال عم ما وقر شاب شيخا الا قيض الله له
فى سنه من يوقره وهذا ابشره بطول الحيوة مع الاجر ومنها ان يكون
مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه وقال صلعم اتدرون على من حرمت
النار قالوا الله ورسوله اعلم على الهين اللين السهل القريب وقال عم
ان الله يحب السهل الطلق ومنها اصلاح ذات البين بين المسلمين
ولو بالمبالغة والزيادة فى الكلام قال عم ليس بكذاب من اصلح بين
اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقال عم الا اخبركم بافضل من درجة
الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح
ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة ومنها ان لا يسمع بلاغات
الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلعم
لا يدخل الجنة قتات وقيل من نم اليك نم عليك ومنها ان لا يزيد

فى الهجرة عند الوحشة على ثلثة ايام قال عم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه
فوق ثلثة ايام وقال صلعم من اقال مسلما عثرته اقاله الله تعالى يوم القيمة
ومنها ان تحسن الى كل احد كان اهلا لذلك ولم يكن قال صلعم اصنع
المعروف الى من هو اهله فان لم تصب اهله فانت من اهله ومنها
ان تخالق كل صنف باخلاقهم ولا تلتمس من الجاهل والغنى ما تلتمس من
الورع العالم قال داود عم الهى كيف لى ان يحبنى الناس واسلم فيما
بينى وبينك فاوحى الله تعالى اليه خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا
وخالق اهل الآخرة باخلاق الآخرة ومنها ان ينزلهم منازلهم
فيزيد فى اكرام ذى المنزلة وان كان منزلته فى الدنيا فان رسول الله عم
بسط رداءه لبعضهم وقال اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه ومنها
ان تستر عورات المسلمين قال صلعم لا يرى امرئ من اخيه عورة
فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال صلعم يا معشر من اسلم بلسانه
ولم يدخل الايمان فى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم
فان من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله تعالى عورته ومن يتبع الله
عورته يفضحه ولو فى جوف بيته ومنها ان تتقى مواضع التهم

صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن والسنتهم عن الغيبة قال صلعم
اتقوا مواضع التهم وكلم صلعم احدى نسائه فمر به رجل فقال يا فلان
ان هذه زوجتى صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه
فانى لا اظن فيك فقال ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم
ومنها ان تسعى فى قضاء حوائج المسلمين ولو بشفاعة قال صلعم
اشفعوا الى تؤجروا فانى اريد الامر واؤخره كى تشفعوا الى فتؤجروا
وقال صلعم من مشى فى حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او
لم يقضها كان له خيرا من اعتكاف شهرين وقال صلعم قيامك مع اخيك
ساعة خير من اعتكاف سنة ومنها ان تبادر بالسلام على كل مسلم وتصافحه
ليكون لك فضل البداية قال صلعم اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت
بينهما سبعون رحمة تسع وستون لاحسنهما بشرا ومنها ان ينصر اخاه
فى غيبته فيرد عن عرضه وماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم
ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه من عرضه وتستحل حرمته الا نصره الله تعالى
فى مواطن يجب فيه نصرته وما من احد يخذل مسلما فى موضع تنتهك حرمته
الا خذله الله تعالى فى موضع يجب فيه نصرته ومنها ان يدارى اهل الشر

من اعتكافك

ليسلم منهم قالت عايشة رضى الله عنها استاذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له
عنده منزلة فلما خرج راجعته فى ذلك فقال يا عايشة ان شر الناس منزلة
عند الله يوم القيمة من تركه الناس اتقاء فحشه وقال رسول الله صلعم ما وقى
المرء به عرضه فهو له صدقة وقال صلعم خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب
ومنها ان تحذر مجالسة الاغنياء ويكثر مجالسة المساكين قال رسول الله صلعم
اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن هم قال الاغنياء وقال صلعم وسلم اللهم
احينى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وكان سليمان عم اذا راى فى
المسجد مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقال موسى عم الهى
اين اطلبك قال عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ومنها ان لا يجالس الا
من يفيد فى الدين فايدة او من يستفيد منه فاما اهل الغفلة فيحذر منهم
قال صلعم الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة
واذا اكثر فى مجالسة اهل الغفلة فينقص من دينه من كل جلسة شىء
فليتقدر ان كل واحد منهم لو كان ياخذ منه فى كل جلسة سلكا من ثوبه
او شعرة من شعر لحيته اما كان يحذر خيفة ان يصير على القرب اجرد
عاريا

22

فالحذر لاجل الدين اولى ومنها ان يعود مرضاهم ويشيع جنايزهم
ويزور قبورهم ويدعو لهم فى الغيبة ويشمت العاطس وينصف الناس
من نفسه وينصح اذا استنصح الى غير ذلك من حقوق كثرت فيها الاخبار
آثرنا فيها الاختصار وجملتها ان تعمل فى حقهم ما تحب ان يعمل فى حقك
من احسان واهتمام وكف اذى الحالة الثالثة الصحبة مع من يدلى
سوى عموم الاسلام بخاصية كجوار او قرابة او ملك قال رسول الله صلعم
اول خصمين يوم القيمة جاران وقيل له عم ان فلانة تصوم النهار
وتصلى الليل و تؤذى الجيران فقال هى فى النار وقال عم اذا رميت كلب
جارك فقد آذيته وقال عم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته
وان استقرضك اقرضته وان افتقر جدت عليه وان مرض عدته وان
مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته
ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجر عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له
وان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذيه
بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده
لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله تعا واما القرابة فقد قال صلعم قال الله تعا

انا الرحمن وهذه الرحيم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن
قطعها بتته وقال صلعم صلة الرحم تزيد في العمر وقال عم توجد رايحة
الجنة من مسيرة خمس مائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال عم
بر الوالدين افضل من الصلوة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله تعالى
وقال عم بر الوالدة على الوالد ضعفين وقال عم ساووا بين اولادكم
بالعطية **واما المملوك** فقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله
فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل
ما لا تطيقون فان الله تعالى ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال صلعم
اذا كفا احدكم مملوكه طعاما فكفاه حره وعلاجه وقربه اليه فليجلسه فلياكل
معه او ليأخذ لقمة فليروغها وليضعها في يده وليقل كل منه وسئل عم
كم نعفوا عن المملوك في اليوم والليلة قال سبعين مرة فجملة حق المملوك
ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ويعفو عن زلته
ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء ويعلمه مهمات دينه **واما حقوق المنكوحة**
فنزيد على هذا اذ يجب لها مع القيام بواجباتها حسن العشرة والمطايبة
قال رسول الله صلعم خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي وكان صلعم من

فصل من افكه الناس مع نسائه والاخبار في ذلك اكثر من ان تحصى
من اصول الدين من امر الصحبة اتخاذ الاخوان في الله تعالى قال تعالى لبعض انبيائه
اما زهدك في الدنيا فقد استعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي
فهل واليت في وليا وهل عاديت في عدوا وقال صلعم يقول الله تعالى يوم القيمة
اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي واوحى الله سبحانه
الى عيسى بن مريم عم لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض
وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال صلعم ان
حول العرش منابر من نور عليها اقوام لباسهم نور ووجوههم نور و
ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله
جلهم لنا فقال المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله تعالى
واعلم ان كل حب لا يتصور دون الايمان بالله واليوم الآخر فهو حب
في الله تعالى ولكنه على درجتين احديهما ان تحبه لتنال منه في الدنيا نصيبا
يوصلك الى الآخرة كحبك استاذك وشيخك بل تلميذك الذي ينمو علمك
بتعليمه بل خادمك الذي يفرغ قلبك عن كنس بيتك وغسل ثوبك لتتفرغ
بسببه لطاعة الله تعالى بل المنفق عليك من ماله اذا كان غرضك من ذلك
افراغ القلب
لطاعة الله تعالى
لعبادة

الثانية وهي على ان تحبه لانه محبوب عند الله تعا ويحب الله وان لم يتعلق
به غرض لك في الدنيا والآخرة من علم او معونة على دين او غيره وهذا اكمل
لان الحب اذا غلب تعدى الى كل من هو من المحبوب بسبب حتى يحب الانسان
محب محبوبه ومحبوب محبوبه بل يميز بين الكلب الذي هو في سكة محبوبه
وبين سائر الكلاب و انما سراية الحب بقدر غلبة الحب و من احب لقاء الله
لم يمكنه ان لا يحب عباد الله الصالحين المرضيين عنهم الا ان ذلك قد يقوى
حتى يحمل على ان يسلك بهم مسلك نفسه بل يوثرهم على نفسه وقد يقصر
عن ذلك و فضلهم عنده ينقسم بقدر درجته وقوته وكذلك يبغض لا محالة
من يعصيه و يخالف امره ويظهر اثر ذلك في مجانبته له ومهاجرته له و
الوجه عند مشاهدته ولذلك قال صلعم اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه
قلبي حذرا من ان يقدح ذلك في البغض في الله تعا وبالجملة من لا يصادف
من نفسه الحب في الله والبغض في الله بهذه الاسباب فهو ضعيف الايمان
وهذا التحقيق وتفصيل فاطلبه في كتاب الصحبة والاخوة في الله عز وجل

الاصل التاسع في الامر بالمعروف و النهي عن المنكر

قال الله سبحانه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و يامرون بالمعروف
وينهون عن
المنكر الاية

وقال تعا والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض الاية وقوله تعا
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقال ابو بكر الصديق
في خطبته ايها الناس انتم تقرؤن هذه الآية وتتأولونها على خلاف تاويلها
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فاني
سمعت رسول الله صلعم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من
يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله العذاب من عنده
وقالت عايشة رضي قال رسول الله صلعم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الف
اعمالهم اعمال الانبياء قالوا يا رسول الله كيف ذلك قال لم يكونوا يغضبون لله
ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فصل كل من شاهد منكرا
ولم ينكره وسكت عنه فهو شريك فيه والمستمع شريك المغتاب ويجري هذا
في جميع المعاصي حتى في مجالسة من يلبس الديباج ويتختم بالذهب ويجلس
على الحرير والجلوس في دار او حمام على حيطانها صور او في اوان من ذهب
او فضة او الجلوس في مسجد يسيئ الناس الصلوة فيه و لا يتمون الركوع
والسجود والجلوس في مجلس وعظ يجري فيه ذكر البدعة او في مجلس
مناظرة او مجادلة يجري فيه الايذاء والايحاش بالسفه والشتم وبالجملة

من خالط الناس كثرت معاصيه وان كان تقيا في نفسه الا ان يترك
المداهنة ولا تاخذه في الله لومة لائم ويشتغل بالحسبة والمنع وانما يسقط
عن الوجوب بامرين احدهما ان يعلم انه ان انكر لم يلتفتوا اليه ولم يترك المنكر
ونظر اليه بعين الاستهزاء وهذا هو الغالب في منكرات يرتكبها الفقهاء ومن
يزعم انه من اهل الدين فهنا يجوز السكوت ولكن يستحب الزجر باللسان اظهارا
لشعار الدين مهما لم يقدر على غير الزجر باللسان ويجب ان يفارق ذلك الموضع
فليس يجوز مشاهدة المعصية بالاختيار فمن جلس في مجلس الشرب فهو فاسق
وان لم يشرب ومن جلس مغتابا او لابس حرير او آكل ربا او حرام فهو فاسق
فليقم من موضعه **الثاني** ان يعلم انه يقدر على المنع من المنكر بان يرى
زجاجة فيها خمر فيكسرها او يسلب آلة الملاهي من يد صاحبها ويضربها
على الارض ولكن ان علم انه يضرب ويضارب بمكروه فههنا تستحب الحسبة
لقوله تعالى وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ولا تجب الا ان المكروه الذي
يصيبه له درجات كثيرة يطول النظر فيها ذكرناها في كتاب الامر بالمعروف
من الاحياء وعلى الجملة فلا يسقط الوجوب الا بمكروه في بدنه بالضرب او في
ماله بالاستهلاك او في جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح في مروته واما

واما الخوف من استيحاش المنكر عليه وخوف تعرضه له باللسان وعداوته له
او توهم سعيه له في المستقبل بما يسوءه او يحول بينه وبين زيادة خير
يتوقعها فكل ذلك موهومات وامور ضعيفة لا يسقط الوجوب بها
فصل عمدة الحسبة شيئان احدهما اللطف والرفق والبداية بالوعظ
على سبيل اللين لا على سبيل العنف والترفع والادلال بدالة الصلاح فان
ذلك يؤكد داعية المعصية ويحمل العاصي على المناكرة وعلى الايذاء ثم
اذا آذاه ولم يكن حسن الخلق غضب لنفسه وترك الانكار لله تعالى واشتغل
بشفاء غليله منه فيصير عاصيا بل ينبغي ان يكون كارها للحسبة يود لو ترك
العاصي المعصية بقول غيره واذا احب ان يكون هو المتعرض كان ذلك
لما في نفسه من دالة الاحتساب وعزته قال صلعم لا يامر بالمعروف ولا ينه عن المنكر
الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه
فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى عنه ووعظ المامون به واعظ فعنف فقال
يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني فامره
بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وروى ابو امامة
ان غلاما شابا اتى النبي صلعم فقال اتاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال النبي عم

اَقرَرُوه اقروه اُدْنُ منّي فدنا منه فقال عم اتحبه لامّك فقال لا جعلني الله

فداك قال كذلك النّاس لا يحبّونه لامّهاتهم ثمّ قال عم اتحبه لابنتك قال لا

قال كذلك النّاس لا يحبّونه لبناتهم حتّى ذكر له الاخت والعمّة والخالة ويقول

وكذلك النّاس لا يحبّونه ثمّ وضع يده على صدره ثمّ قال اللّهم طهّر قلبه واغفر

ذنبه وحصّن فرجه فلم يكن بعد ذلك الشّيء ابغض اليه من الزّنا وقال

بعضهم للفضيل انّ سفيان بن عيينة قبل جوايز السّلطان قال ما اخذ

منهم الّا دون حقّه ثمّ خلا به وعاتبه بالرفق فقال يا ابا علي ان لم نكن من

الصّالحين فانّا نحبّ الصّالحين **العمدة الثّانية** ان يكون المحتسب قد بدا بنفسه

بها وترك ما ينهى عنه اوّلا قال الحسن البصري رح اذا كنت تأمر بالمعروف

فكن من آخذ النّاس به والّا هلكت فهذا هو الاولى حتّى ينفع كلامه والّا استهزئ

به وليس هذا شرطا بل يجوز الاحتساب للعاصي ايضا قال انس قلنا يا رسول الله

الا نامر بالمعروف حتّى نعمل به كلّه ولا ننهى عن المنكر حتّى نجتنبه كلّه قال عم

بلى مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كلّه وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كلّه

قال الحسن البصري رح يريد ان لا يظفر الشّيطان منكم بهذه الخصلة وهو ان

لا تامروا بالمعروف حتّى تاتوا به كلّه يعني انّ هذا يؤدّي الى حسم باب الحسبة

فمن ذا الّذي يعصم عن المعاصي **الاصل العاشر في اتباع السّنّة**

واعلم انّ مفتاح السّعادة اتباع السّنّة والاقتداء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم

في جميع مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتّى في هيئة اكله وقيامه

ونومه وكلامه لست اقول في العبادات فقط لانّه لا وجه لاهمال السّنن الواردة

فيها بل ذلك في جميع امور العادات فبذلك يحصل الاتباع المطلق قال الله تعالى

قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله وقال تعالى وما اتيكم الرّسول

فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فعليك ان تلبس السّراويل قاعدا وتتعمّم

قايما وتبتدئ باليمين في تنعّلك بيمينك وتاكل بيمينك وتقلّم اظفارك

وتبتدئ بمسبّحة اليد اليمنى وتختم بابهامها وفي الرّجل بخنصر اليمنى وتختم

بخنصر اليسرى وكذلك في جميع حركاتك وسكناتك فقد كان محمّد بن اسلم

لا ياكل البطّيخ لانّه لم ينقل اليه كيفيّة اكل رسول الله صلعم وسها بعضهم فابتدى

في لبس الخفّ باليسرى فكفّر عن ذلك كرّ حنطة فلا ينبغي ان تتساهل في امثال

ذلك فتقول هذا ممّا يتعلّق بالعادات فلا معنى للاتّباع فيه لانّ ذلك يغلق

عنك بابا عظيما من ابواب السّعادة **فصل** لعلّك تشتهي الآن الوقوف

على السّبب المرغّب في الاتّباع في هذه الافعال وتستبعد ان يكون تحت ذلك امر

مهم

يقتضي هذا التشديد العظيم في المخالفة فاعلم ان ذكر السر في آحاد ذلك تطول [تلك الاسنان]
لا يحتمل هذا الكتاب شرحه لكن ينبغي ان تفهم ان ذلك ينحصر في ثلثة انواع
من الاسرار الاول انا نبهناك في مواضع على العلاقة التي بين الملك والملكوت
وبين الجوارح والقلب وكيفية تاثر القلب بعمل الجوارح فان القلب كالمرآة
لا تتجلى فيه حقايق الاشياء الا بتصقيله وتنويره وتعديله اما تصقيله
فبازالة حب الشهوات وكدورة الاخلاق الذميمة واما تنويره فبانوار الذكر
والمعرفة ويعين على ذلك العبادة الخالصة اذا اديت على كمال الخدمة بمقتضى
السنة واما تعديله فبان يجري جميع حركات الجوارح على قانون العقل
اذ اليد لا تصل الى القلب حتى تقصد تعديله وتحدث فيه هيئة معتدلة
صحيحة لا اعوجاج فيها وانما التصرف في القلب بواسطة تعديل الجوارح
وتعديل حركاتها ولهذا كانت الدنيا مزرعة الاخرة ولهذا تعظم حسرة
من مات قبل التعديل لانسداد طريق التعديل بالموت اذ ينقطع علاقة
القلب عن الجوارح فمهما كانت حركات الجوارح بل حركات الخواطر ايضا موزونة
بميزان العدل حدث في القلب هيئة عادلة مستوية يستعد لقبول الحقايق
عن نعت الصحة والاستقامة كما تستعد المرآة المعتدلة لمحاكاة الصور [الصحيحة]

من غير اعوجاج ومعنى العدل وضع الاشياء مواضعها ومثاله ان
الجهات مثلا اربع قد خص منها جهة القبلة بالتشريف فالعدل ان تستقبل
في احوال الذكر والعبادة والوضوء وان تنحرف عنها عند قضاء الحاجة
وكشف العورة اظهارا لفضل ما ظهر فضله ولليمين زيادة على اليسار
غالبا بفضل القوة فالعدل ان تفضلها على اليسار وتستعملها في بعض
اعمال الشريفة كاخذ المصاحف والطعام وتترك اليسار للاستنجاء وتناول
القاذورات وقلم مثلا تطهير لليد فهو اكرام فينبغي ان تبدأ بالاكرام
والافضل وربما لا تستقل عقلك للتفطن للترتيب في ذلك وكيفية البداية
فاتبع فيه السنة وابتدئ بالمسبحة من اليمين [من اليمنى] لان اليد افضل من الرجل
واليمنى افضل من اليسرى والمسبحة التي بها الاشارة في كلمة التوحيد [افضل]
من ساير الاصابع ثم بعد ذلك لا تدور من يمين المسبحة وللكف ظهر ووجه
فوجهه ما تقابله فاذا جعلت الكف في اليد كان يمين المسبحة من جانب
الوسطى فقدر اليدين متقابلتين بوجهيهما وقدر الاصابع كانها اشخاص
فتدور بالمقراض من المسبحة الى ان تختم بابهام اليمنى كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحكمة في ذلك ما ذكرنا واذا انت تعودت رعاية العدل في دقايق الحركات

صارت العدالة والصحة هيئة راسخة في قلبك واستوت صورته وبذلك

يستعد لقبول صورة السعادة ولذلك قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت

فيه من روحي فروح الله عز وجل مفتاح ابواب السعادة ولم يكن نفخها

الا بعد التسوية ومعنى التسوية يرجع الى التعديل وراء ذلك السر وفي ذلك

سر يطول شرحه وانما نريد الرمز الى اصله فان كنت لا تقوى على فهم حقيقته

فالتجربة تنفعك فانظر الى من تعود الصدق كيف يصدق روياه غالبا

لان الصدق حصل في قلبه هيئة صادقة تتلقى لواح الغيب في النوم على الصحة

وانظر كيف يكذب رؤيا الكذاب بل رؤيا الشاعر لتعوده التخيلات الكاذبة

فاعوج لذلك صورة قلبه فان كنت تريد ان تلمح جنات القدس فاترك ظاهر

الاثم وباطنه واترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن واترك الكذب حتى

في حديث النفس ايضا السر الثاني ان تعلم ان الاشياء المؤثرة في بدنك

بعضها انما يعقل تاثيرها بنوع من المناسبة الى الحرارة والبرودة والرطوبة

واليبوسة كقولك ان العسل يضر المحرورين وينفع البارد مزاجه ومنها

ما لا يدرك بالقياس ويعبر عنه بالخواص وتلك الخواص لم يوقف عليها

بالقياس بل مبدا الوقوف عليها وحي والهام فالمغناطيس يجذب الحديد

والسقمونيات تجذب خلط الصفراء من اعماق العروق لا على القياس بل بخاصية

وقف عليها اما بالالهام او بالتجربة واكثر الخواص عرفت بالالهام واكثر التاثيرات

في الادوية وغيرها من قبيل الخواص فكذلك فاعلم ان تاثيرات الاعمال في

القلب تنقسم الى ما هو تفهم وجه مناسبته كعلمك بان اتباع الشهوات الدنيوية

يؤكد علاقته مع هذا العالم فيخرج من العالم منكوس الراس موليا وجهه الى هذا العالم

اذ فيه محبوبه وكعلمك ان المداومة على ذكر الله تعالى يؤكد الانس بالله سبحانه

وتوجب الحب حتى تعظم اللذة به عند فراق الدنيا والقدوم على الله سبحانه

اذ اللذة على قدر الحب والحب على قدر المعرفة والذكر ومن الاعمال ما يؤثر في

الاستعداد لسعادة الآخرة او لشقاوتها بخاصية ليست على القياس لا يوقف

عليها الا بنور النبوة فاذا رايت النبي عم قد عدل من احد المباحين الى الآخر

وآثر عليه مع قدرته عليهما فاعلم انه اطلع بنور النبوة على خاصية فيه

وكوشف به من عالم الملكوت كما قال عم ايها الناس ان الله امرني ان اعلمكم مما علمني

وادبكم مما ادبني فلا يكثرن احدكم الكلام عند المواقعة فانه يكون منه

الخرس ولا ينظرن احدكم الى فرج امراته اذا هو جامعها فانه يكون منه العمى

ولا يقبلن احدكم امراته اذا هو جامعها فانه يكون منه الصمم ولا يديمن احدكم

النظر في الماء المنى

فانه يكون منه ذهاب العقل وهذا امثال ما ذكرناه واردنا تنبيهك على اطلاعه
على خواص الاشياء بالاضافة الى امور الدنيا النفيس به اطلاعه صلى الله عليه وسلم
على ما يؤثر بالخاصية في الشفا والشقاوة فلا يجب لنفسك ان تصدق
محمد بن زكريا الرازي المتطبب فيما يذكر من خواص الاشياء في الحجامة
والاحجار والادوية ولا تصدق سيد البشر محمد بن عبد الله صلعم فيما يخبر
عنها وانت تعلم انه عم مكاشف من العالم الاعلى بجميع الاسرار وهذا ينبهك
على الاتباع فيما لا تفهم وجه الحكمة فيه على ما ذكرناه في السر الاول **السر الثالث**
ان سعادة الانسان ان يتشبه بالملائكة في النزوع عن الشهوات وكسر النفس
الامارة بالسوء ويبعد من مشابهة البهيمة المهملة سدا التي تسترسل
في اتباع الهوى بحسب ما يقتضيه طبعها من غير حاجز ومهما تعود الانسان في جميع امور
ان يفعل ما يشاء من غير حاجز الف اتباع مراده وهواه وغلب على قلبه
صفة البهيمة فمصلحته ان يكون في جميع حركاته ملجما بلجام يصده المستقيم
فيكون اثر العبودية ظاهرا عليه في كل حركة اذ لا يفعل شيئا بحسب طبعه
بل بحسب الامر فلا ينفك في جميع احواله عن مصادمات الزمان عن ايثار
بعض الامور على بعض ومن القى زمامه الى يد كلب مثلا حتى لم يكن تردده
بحكم طبعه

٤

بل بحكم غيره فنفسه اقوم الى قبول الرياضة الحقيقية واقوى ممن جعل
زمامه في يد هواه يسترسل بها استرسال البهيمة وتحت هذا سر عظيم
في تزكية النفس وهذه فايدة تحصل بوضع الشارع عم كيف ما وضعه
والفايدة الحكمية والخاصية لا تتغير بالوضع وهذا يتغير بالوضع
فان المقصود ان لا يكون مخلى مع اختياره وذلك يحصل بالمنع عن احد
الجانبين اي جانب كان وفي مثل هذا يتصور ان يختلف الشرايع لانه
ثمرة الوضع فيكفيك هذه التنبيهات الثلث على فضل ملازمة الاتباع
في جميع الحركات والسكنات **فصل** هذا التحريض كله الذي ذكرته انما هو
واما في العبادات فلا اعرف لترك السنة من غير عذر وجها الا كفر خفي او حمق
جلي بيانه ان النبي عم اذ قال تفضل صلوة الجماعة على صلوة الفذ
بسبع وعشرين درجة فكيف تسمح نفس المؤمن بتركها من غير عذر
نعم يكون السبب في ذلك اما حمق او غفلة بان لا يتفكر في هذا التفاوت
العظيم ومن يستحق غيره اذا آثر واحدا على الاثنين كيف لا يستحق نفسه
اذا آثر واحدا على سبع وعشرين لا سيما فيما هو عماد الدين ومفتاح
السعادة الابدية واما الكفر فهو ان يخطر بباله ان هذا ليس كذلك وانما ذكر
للترغيب في الجماعة

والآفاق مناسبة بين الجامعة وبين هذا العدد المخصوص من بين ساير الاعداد
وهذا كفر خفي قد ينطوي عليه الصدر وصاحبه لا يشعر به فما اعظم حماقة
من يصدق المنجم والطبيب في امور ابعد من ذلك ولا يصدق النبي المكاشف
باسرار الملكوت فان المنجم لو قال لك اذا انقضى سبعة وعشرون يوما
من اول تحويل طالعك اصابتك نكبة فاحترز في ذلك اليوم واجلس في
بيتك فلا تزال في تلك المدة تستشعر وتترك جميع احوالك ولو سالت
المنجم عن سببه لقال لك انما قلت قدر ذلك لان بين درجة الطالع
وبين زحل سبعا وعشرين درجة فتتاخر النكبة في كل درجة يوما او
شهرا فاذا قيل لك هذا هوس اذ لا مناسبة له فلا تصدقن به فلا يخلو
قلبك عن الاستشعار وتقول في افعال الله تعالى عجايب لا تعرف مناسبتها
ولعلها خواص لا تدرك وقد عرف بالتجربة ان ذلك مما يوثر وان لم يعرف
مناسبته ثم اذا آل الامر الى خبر النبوة عن الغيب انكرت مثل هذه الخواص
وطلبت المناسبة الصريحة فهل لهذا سبب الا شرك خفي لا بل كفر جلي
اذ لا محل له سواه وسبب هذا التكاسل كله انك لا يهمك امر آخرتك
فان امر دنياك لما كان يهمك فتحتاط فيه بقول المنجم وبالاختلاج والفال

والامور

والامور البعيدة عن المناسبة غاية البعد وتنقاد الى احتمالات بعيدة
لان الشفيق بسوء الظن مولع ولو تفكرت لعلمت ان هذا الاحتياط بالخطر
الابدي اليق **فان قلت** ففي اي جنس من الاعمال ينبغي ان يتبع السنة
فاقول في كل ما وردت فيه السنة والاخبار في ذلك كثيرة وذلك كقوله عم
من احتجم يوم السبت والاربعاء فاصابه برص فلا يلومن الا نفسه
وقد احتجم بعض المحدثين يوم السبت وقال هذا الحديث ضعيف فبرص
وعظم ذلك عليه حتى راى رسول الله صلعم في المنام فشكى اليه ذلك
فقال عم لم احتجمت يوم السبت فقال لان الراوي كان ضعيفا قال عم
اليس كان قد نقل عني فقال تبت يا رسول الله فدعا له رسول الله صلعم
بالشفاء فاصبح وقد زال ما به وقال عم من احتجم يوم الثلثاء لسبعة عشر
كان دواء لسنة وقال عم من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن
الا نفسه وقال عم اذا انقطع شسع نعل احدكم فلا يمش في نعل واحدة حتى
يصلح شسعه وقال عم اذا ولدت امراة فليكن اول ما ياكل الرطب
فان لم يكن فتمر فانه لو كان شيء افضل منه لاطعمه الله عز وجل مريم حين
ولدت عيسى عم وقال عم اذا اتى احدكم بالحلواء فليصب واذا اتى احدكم بالطيب

عشرة بيان

ويدهن

فليمسّ منه وامثال ذلك في العادات كثير ولا يخلو شيء منها عن سرّ

خاتمة في ترتيب الاوراد وتنعطف على الامور العشرة اعلم ان هذه

العبادات فصّلناها منها ما يمكن الجمع بينهما كالصّوم والصلوة والقرآءة

ومنها ما لا يمكن الجمع بينها كالقرآءة والذكر والقيام بحقوق النّاس

والصّلوة فينبغي ان يكون من اهمّ امورك توزيع اوقاتك على اصناف

الخيرات من صباحك الى مسائك ومن مسائك الى صباحك وتعلم انّ

مقصود العبادات تاكيد الانس بذكر الله تعا للانابة الى دار الخلود والتجافي

عن دار الغرور ولن يسعد في دار الخلود الّا قدم على الله تعا محبّا له

الا من كان عارفا به مكثرا الذكر له تعا ولا يحصل المعرفة والحبّ الّا بالفكر

والذكر الدائم ولن يدوم الذكر في القلب الّا بالمذكورات وهي العبادات

المستغرقة للاوقات على التعاقب والاختلاف اصنافها زيادة تاثير

في التذكير ومنع الملال وسقوط اثره عن القلب بالدوام الذي ينتهى

الى حدّ الاعتياد ثمّ ان كنت والها بالله تعا مستغرقا به لم تفتقر الى ترتيب

الاوراد بل وردك واحد وهو ملازمة الذكر وما اراك ان تكون كذلك

فانّ ذلك من اعزّ الامور واذا لم تكن والها مستهترا فعليك ان ترتّب

اورادك

فاحد الاوراد هو من وقت انتباهك من النوم الى طلوع الشمس وينبغى

ان تجمع في هذا الوقت الشّريف بعد الفراغ من الصلوة بين الذكر والدعآء

والقرآءة والتفكّر فانّ لكلّ واحد اثرا آخر حتّى في تنوير القلب وتعرف

كيفيّة ذلك وتفصيله من كتاب بداية الهداية وكتاب ترتيب الاوراد

وكذلك تفصل بين الطلوع والزّوال وبين الزّوال والغروب وبين الغروب

والعشاء فانّها من الاشرف الاوقات لانّ النّشاط انّما يتوفّر بان تميّز ورد

كلّ وقت لتكون في كلّ وقت عبادة اخرى تنتقل من بعضها الى بعض

هذا ان كنت من العبّاد فان كنت معلّما او متعلّما او واليا فالاشتغال

بذلك اولى في بياض النّهار وافضل من العبادات البدنيّة لانّ اصل

الدّين العلم الّذي به يحصل التّعظيم لامر الله تعا والنّفع الّذي يصدر عن

الشّفقة على خلق الله تعا وكذلك ان كنت معيلا ومحترفا فالقيام بحقّ

العيال بكسب الحلال افضل من العبادات البدنيّة ولكن في جميع ذلك لا ينبغي

ان تخلو وتنفكّ عن ذكر الله تعا بل تكون كالمستهتر بمعشوقه المدفوع

الى شغل من الاشغال الضرورة وقته فهو يعمل ببدنه وهو غايب من عمله

حاضر بقلبه مع معشوقه حكى عن ابي الحسن الخرقاني انّه كان يعمل بالمسحات

دايما

فقال اعطينا اليد واللسان والقلب فاليد للعمل واللسان للخلق والقلب للحق
ولنقتصر على هذا القدر في قسم الطاعات الظاهرة ففيه الكفاية ان شاء الله تعالى

القسم الثالث في تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة

قال الله تعالى قد افلح من تزكى وقال تعالى قد افلح من زكيها والتزكية
هي التطهير وقال رسول الله صلعم الطهور شطر الايمان فافهم منه
ان كمال الايمان بتزكية القلب عما لا يحبه الله عز وجل وتحليته بما يحبه الله تعالى
فالتزكية شطر الايمان وكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة
فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي كثيرة ولكن نحتاج ان نرد شعبها الى
عشرة اصول **الاصل الاول شره الطعام** وهو من الامهات لان
المعدة ينبوع الشهوات اذ منها يتشعب شهوة الفرج ثم اذا غلبت شهوة
المأكول والمنكوح يتشعب منها شره المال اذ لا يتوصل الى قضاء الشهوتين
الا به ويتشعب من شهوة المال شهوة الجاه اذ يتيسر كسب المال دونه
ثم عند حصول المال والجاه وطلبهما تزدحم الآفات كلها كالكبر والحسد
والحقد والعداوة وغيرها ومنبع جميع ذلك البطن فلهذا اعظم رسول الله صلعم
امر الجوع فقال ما من عمل احب الى الله تعالى من الجوع والعطش وقال عم

لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقال عم سيد الاعمال الجوع وقال عم
الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال افضلكم عند الله تعالى
اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل اكول نؤوم شروب وقال عم
ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه
وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال عم
ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش
وقال لعايشة رض اديموا قرع باب الجنة قالت وكيف ذلك وكيف نديم
قال بالجوع والظماء وقال كلوا واشربوا بانصاف البطون فانه جزء من
النبوة **فصل** لعلك تشتهي ان تعلم السر في تعظيم الجوع ومناسبته لطريق
الآخرة فاعلم ان له فوايد كثيرة ولكن يرجع اصولها الى سبع احديها
صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب
قال رسول الله صلعم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ولا
يخفى ان مفتاح السعادة المعرفة ولا تنال الا بصفاء القلب فلذلك
كان الجوع قرع باب الجنة **الثانية** رقة القلب حتى يدرك به لذة المناجات
ويتأثر بالذكر والعبادة قال الجنيد رح يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلاة من
الطعام

ويريد ان يجد حلاوة المناجاة فلا يخفى عليك ان احوال القلب من الخشية
والخوف والرقة والمناجاة والانكسار بالهيبة من مفاتيح ابواب الجنة
الثالثة ذل النفس وزوال البطر والطغيان منها فلا تكسر النفس بشئ
كالجوع والطغيان داع الى الغفلة عن الله تعا وهو باب الجحيم والشقاق
والجوع اغلاق لهذا الباب وفي اغلاق باب الشقاق فتح باب السعادة ولذلك
لما عرضت الدنيا عليه عم قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت
صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت الرابعة ان البلاء من ابواب
الجنة لان فيه مشاهدة طعم العذاب وبه يعظم الخوف من عذاب الاخرة ولا
يقدر الانسان على ان يعذب نفسه بشئ كالجوع فانه لا يحتاج فيه الى
تكلف وترتبط بها فوايد اخرى فيكون مشاهدا بلاء الله تعا على الدوام
الخامسة كسر ساير الشهوات التي هي منابع المعاصي قال علي رض ما شبعت قط
الا عصيت او هممت وقالت عايشة رض اول بدعة حدثت بعد رسول الله عم
الشبع ان القوم اذا شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا السادسة
خفة البدن للتهجد والعبادة وزوال النوم المانع من العبادات فان راس
مال الشقا العمر والنوم ينقص العمر اذ يمتنع من العبادة واصله كثرة الاكل

44

قال ابو سليمن الداراني من شبع دخل عليه ست فقد حلاوة العبادة
وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق
كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المؤمنين يدورون
حول المساجد وهو يدور حول المزابل السابعة خفة المؤنة وامكان
القناعة بقليل من الدنيا وامكان ايثار الفقر فان من تخلص من شره
بطنه لم يفتقر الى مال كثير فيسقط عنه اكثر هموم الدنيا فمهما اراد ان
يستقرض لقضاء شهوة البطن استقرض من نفسه وترك شهوته
كان اذا قيل لابرهيم بن ادهم رح في شئ انه غال قال ارخصوه بالترك
فصل لعلك تقول قد صار الشبع والاكثار في الاكل لي عادة وكيف
اتركها فاعلم ان ذلك يسهل على من اراده بالتدريج وهو ان ينقص
كل يوم من طعامه لقمة حتى ينقص رغيفا في مقدار شهر فلا يظهر اثره
ويصير القليل عادة له ثم اذا اذعنت بالتقليل فلك نظر في الوقت والقدر
والجنس اما القدر فله ثلث درجات اعلاها وهي درجة الصديقين الاقتصار
على قدر القوام وهو الذي يخاف من النقصان منه على العقل والحيوة وهو
اختيار سهل التستري رح وكان يرى ان الصلوة قاعدا الضعف بالجوع افضل
من الصلوة قايما
مع قوة الاكل

الثانية ان يقنع بنصف مدّ كل يوم وهو ثلث البطن وعلى ذلك

كان عمر رضه وجماعة من الصحابة رضه اذ كان قوتهم في الاسبوع صاعا

الثالثة المدّ الواحد وما جاوز ذلك فهو مشاركة مع اهل العادة

وميل عن طريق السالكين المسافرين الى الله تعالى وقد يؤثر في المقادير

اختلاف احوال الاشخاص وغير ذلك فالاصل فيه ان يمد اليد اذا صدق

جوعه ويكف وهو بعد صادق الاشتهاء وعلامة صدق الجوع ان يشتهى

اى خبز كان من غير ادم فاذا اشتغل الاكل بغير ادم فهو علامة الشبع

واما الوقت ففيه درجات اعلاها ان يطوى ثلثة ايام فما فوقها وقد

كان الصديق رضه يطوى ستة ايام وابرهيم بن ادهم والثورى رحمه سبعا

وبعضهم انتهى اربعين يوما قيل من طوى اربعين يوما ظهرت له لامحالة

من عجايب الملكوت ولا يمكن ذلك الا بتدريج **واما الاوسط** فان يطوى

يومين والادنى فان ياكل في كل يوم مرة واحدة فمن اكل يومين لم يكن

له حالة جوع اصلا فيكون قد ترك فضيلة الجوع **واما الجنس** فاعلاه خبز

البر مع الادام وادناه خبز الشعير من غير ادام والمداومة على الادام

مكروه جدا قال عمر رضه لولده كل خبزا ولحما ومرة خبزا وسمنا ومرة خبزا ولبنا

ومرة خبزا وملحا ومرة خبزا قفارا وهذا تنبيه على الاحسن في اهل العادة

واما الثالث لكونه الطريق فقد بالغوا في ترك الشهوات حتى كان بعضهم

يشتهى الشهوة عشرة سنين او عشرين سنة وهو يخالف نفسه ويمنعها

شهوتها وقد قال صلعم شرار امتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه

اجسادهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام

وقد شرحنا طريق السلف في ترك الشهوات في كتاب كسر الشهوتين يعني شهوة البطن

والفرج **الاصل الثاني في شره الكلام** وذلك لا بد من قطعه

فان الجوارح كلها يؤثر اعمالها في القلب لكن اللسان اخص به لانه يؤدى

عن القلب ما فيه من الصور فيقتضى كل كلمة صورة في القلب مخالفة لها

فلذلك اذا كان كاذبا حصل في القلب صورة كاذبة واعوج به وجه القلب

واذا كان في شئ من الفضول مستغنى عنه اسود به وجه القلب واظلم

حتى ينتهى كثيرة الكلام الى اماتة القلب لذلك عظم رسول الله صلعم امر اللسان

فقال من يتوكل لى ما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة وسئل عن اكثر

ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج وقال عم وهل يكب الناس

على مناخرهم الا حصايد السنتهم وقال من صمت نجا وقال له معاذ اى

الاعمال افضل

فاخرج لسانا ووضع عليه يده وقال ان اكثر خطايا ابن ادم فى لسانه
وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا اوليصمت وقال
من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه
فالنار اولى به ولهذا كان الصديق رض يضع حجرا فى فيه ليمنع نفسه من الكلام
فصل اعلم ان للسان عشرين آفة شرحناها فى كتاب آفة اللسان ويطول ذكرها
ويكفيك العمل بآية واحدة قال الله تعالى لا خير فى كثير من نجويهم
الا من امر بصدقة الآية ومعناه ان لا تتكلم فيما لا يعنيك وتقتصر على المهم
ففيه النجاة قال انس رض استشهد غلام منا يوم أُحُد فوجد على بطنه
صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك
الجنة يا بنى وقال رسول الله صلعم وما يدريك كان يتكلم فيما لا يعنيه
ويمنع ما لا يضره وحد ما لا يعنى هو الذى لو ترك لم يفت به ثواب ولم
ينجز به ضرورة ومن اقتصر من الكلام على هذا اقل كلامه فليحاسب العبد
نفسه عند ذكر ما لا يعنيه انه لو ذكر الله تعالى بدلا عن تلك الكلمة
لكان ذلك كنزا من كنوز السعادة فكيف يسمح العقل بترك كنز مكنوز
واخذ مدرة هذا ولم يكن فيه اثم وان كان فقد استبدل بترك كل كنز واخذ شعلة من النار

ومن جملة ما لا يعنى حكاية احوال الاسفار واحوال اطعمة البلاد
وعاداتهم واحوال الناس واحوال الصناعات والتجارات وهو ما لا يعنى
من جملة ما ترى الناس يخوضون فيه **فصل** لعلك تريد ان
تعرف تفصيل بعض هذه الآفات فاعلم ان الغالب على الالسنة
من جملة العشرين آفة خمس الكذب والغيبة والممارات والمدح والمزاح
الاولى الكذب وقد قال صلعم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب
حتى يكتب عند الله كذابا وقال عم ويل للذى يحدث ويكذب
ليضحك الناس منه ويل له ويل له وقيل يا رسول الله ايزنى المؤمن
ايسرق المؤمن قال عم قد يكون ذلك فقيل له ايكذب فقال لا انما يفترى
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال الا انبئكم باكبر الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكيا فقعد وقال وقول
الزور وقال كل خصلة يطبع الله عليها المؤمن الا الخيانة والكذب
فصل اعلم ان الكذب حرام فى كل شئ الا الضرورة حتى قالت
امرأة لولدها الصغير تعال حتى اعطيك فقال النبى عم وماذا
كنت تعطينيه لو جاء قالت تمرة قال لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة

لسانك اسد فان اطلقت اكلك

فليحذر الانسان الكذب حتى في المستخيل وحديث النفس فان ذلك
يثبت في النفس صورة معوجة حتى يكذب الرويا فلا ينكشف في النوم
اسرار الملكوت والتجربة تشهد بذلك نعم انما يرخص في الكذب اذا كان
الصدق يفضي الى محذور آخر اشد من الكذب فيباح كما يباح الميتة
اذا ادى تركها الى محذور اشد من اكلها وهو فوات الروح قالت ام كلثوم
ما رخص رسول الله صلعم في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول
يريد الصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته وهذا
لان اسرار الحرب لو وقف عليها العدو اجترائه واسرار الزوج لو وقفت
عليها المراة نشاء منه فساد اعظم من فساد الكذب وكذلك المتخاصمان
يدوم بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى
فهذا ما ورد فيه الخبر وفي معناه كذب الانسان ليستر مال غيره عن ظلم
وان كان لستر عيب بل ان كان لمعصية نفسه عن عيب فان المجاهرة بالفسق
واظهاره حرام وان كان جناية نفسه على غيره لتطييب قلبه وان كان مع
زوجته ان تكون ضرتها احب اليه وكل ذلك يرجع الى دفع المضرات
ولا يباح لجلب زيادة مال وجاه وفيه يكون كذب اكثر الناس ثم اذا اضطر الى الكذب

٤٧

فليعدل الى المعاريض ما امكن حتى تعتاد نفسه الكذب كان ابرهيم النخعي
اذا طلب في الدار قال للخادمة قولي له اطلبه في المسجد وكان الشعبي يخط
دائرة ويقول للخادمة ضعي الاصبع وقولي ليس هاهنا وكان بعضهم يعتذر
عند الامير ويقول منذ فارقتك ما رفعت جنبي من الارض الا ما شاء الله تعالى
وكان بعضهم ينكر ما قال فيقول ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء
فيوهم النفي بحرف ما وهو يريد غير ذلك ويباح المعاريض لغرض خفيف
كقوله عم لا يدخل الجنة عجوز ونحملك على ولد البعير وفي عيني زوجك
بياض لان هذه الكلمات اوهمت خلاف ما اراد فيباح مثل ذلك مع النساء
لتطييب قلوبهن بالمزاح وكذلك من يمتنع عن الطعام فلا ينبغي ان يكذب
ويقول لا اشتهي اذا كان يشتهي ويعدل الى المعاريض قال النبي عم لامراة
قالت ذلك لا تجمعي كذبا وجوعا **الآفة الثانية** الغيبة قال الله تعالى ايحب
احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال النبي عم الغيبة اشد من الزنا واوحى الله
الى موسى عم من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا
عليها فهو اول من يدخل النار وقال عم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون
وجوههم باظفارهم فقيل لي هؤلاء الذين يغتابون الناس واعلم

انّ حدّ الغيبة كما بيّنه رسول الله صلعم ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه
وان كنت صادقا سواء ذكرت نقصانا في نفسه او عقله او ثوبه او فعله
او قوله او نسبه او داره او دابّته او شيئا ممّا يتعلّق به حتّى قولك انّه واسع الكمّ
او طويل الذيل حتّى ذكر عند رسول الله صلعم رجل فقيل له ما اعجزه فقال
اغتبتموه واشارت عايشة رض بيدها الى امراة انها قصيرة فقال اغتبتيها
فبهذا يعلم انّ الغيبة لا تقتصر على اللسان بل لا فرق بان يحصل التفهيم باليد
او بالرمز او بالاشارة او بالحركة او بالمحاكات او التعريض المفهم كقولك
انّ بعض اقربائنا او بعض اصدقائنا كذا واعلم ان اخبث الغيبة غيبة
القرّاء يقولون مثلا الحمد لله الذى لم يبتلينا بالدخول على السلطان لطلب
الدنيا او نعوذ بالله من قلّة الحياء وهم يفهمون المقصود بذلك يقولون
ما احسن احوال فلان لولا انه تلى بمثل ما ابتلى به امثالنا وهو قلّة الصبر عن الدنيا
فنسأل الله تعالى ان يعافينا وغرضهم من ذلك الغيبة فيجمعون بين الغيبة
والرياء واظهار التشبّه باهل الصلاح في الحذر من الغيبة وهن خبائث
يفترفون بها وهم يظنّون انهم تركوا الغيبة وكذلك قد يغتاب واحد فيغفل
عند الحاضرون فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتّى ينبّه القوم الى الاصغاء

التفهيم

فيستعمل ذكر الله تعالى في تحقيق خبثه ويقول قلبي مشغول بفلان تاب الله
علينا وعليه وليس غرضه الدعاء بل التعريف ولو قصد الدعاء لاخفاه ولو اغتمّ
قلبه لاجله لكتم عيبه ومعصيته وكذلك قد يظهر تعجّبا من كلام المغتاب
حتّى يزيد نشاطه في الغيبة والمستمع احد المغتابين كذلك قال رسول الله صلعم
فكيف اذا حرّك نشاطه بالتعجب وكذلك قد يقول دع غيبة الناس وهو
بقلبه غير كاره انما غرضه ان يعرف بالتورّع وذلك لا يخرج عن اثم الغيبة
ما لم يكرهها بقلبه ويورّطه في اثم الرياء بل يخرج من الاثم بان يكرهه بقلبه
ويكذّب المغتاب ولا يصدّقه بقلبه لانه فاسق يستحق التكذيب والمسلم المذكور
بالغيبة يستحق احسان الظن به قال رسول الله صلعم انّ الله حرّم من المسلم
دمه وعرضه وماله وان يظنّ به ظنّ السوء فالغيبة بالقلب حرام كما انه
باللسان حرام الّا ان يضطر الى معرفته بحيث لا يمكنه التجاهل فصل
انما يرخص في الغيبة في ستّة مواضع الاوّل منها المتظلّم يذكر ظلم الظالم
عند سلطان ليدفع ظلمه فامّا عند غير سلطان وعند غير من يقدر على
الدفع فلا اغتيب الحجاج عند بعض السلف فقال انّ الله لينتقم للحجاج
ممّن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه الثاني الذى يستعان به على تغيير المنكر

يجوز ان يذكر له ايضاً **الثالث** المستفتي اذا افتقر الى ذكر السوال كما قالت
هند ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وهذا كله شكاية ولكن
انما يحل اذا كانت فيها فايدة **الرابع** تحذير المسلم من شر الغير اذا علم
انه لو لم يذكره لقبلت شهادته لما يذكر المزكي اذ يعامله مناكحه فيتضرر
به فيذكر لمن يتوقع تضرره به فقط **الخامس** ان يكون معروفاً باسم
فيه عيبه كالاعمش والاعرج والعدول الى اسم آخر اولى **السادس**
ان يكون مجاهراً بذلك العيب لا يكرهه ان يذكر كالمخنث وصاحب الماخور
قال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق
والامام الجائر وهؤلاء يجمعهم انهم مجاهرون لا يكرهون الذكر والصحيح
ان ذكر الفاسق بمعصية يخفيها ويكره ذكرها لا يجوز من غير عذر

فصل علاج النفس في كفها عن الغيبة ان يتفكر في الوعيد
الوارد فيها في قوله عم ان الغيبة اسرع في حسنات العبد من النار
في اليبس وورد ان حسنات المغتاب تنقل الى ديوان المظلوم بالغيبة
فينظر في قلة حسناته وكثرة غيبته وانه اينتهي الى افلاسه على القرب
ثم يتفكر في عيوب نفسه فان كان فيه عيب فيشتغل بنفسه عن غيره

وان كان قد ارتكب صغيرة فيعلم ان ضرره من صغيرة بنفسه اكثر
من ضرره من كبيرة غيره وان لم يكن فيه عيب فيعلم ان جهله بعيوب
نفسه اعظم عيوبه متى يخلو الانسان من عيب ثم ان خلا عنه يشكر الله تعالى
بدلاً من الغيبة فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب فليحذر
منه ثم مهما سبق لسانه الى الغيبة فينبغي ان يستغفر الله تعالى ويذهب
الى المغتاب ويقول ظلمتك فاعف عني فيستحله فان لم يصادفه فليكثر
من الثناء عليه ومن الدعاء له ومن الحسنات حتى اذا انقل بعضها الى
ديوان المظلوم بقي له ما يكفيه فهي كفارة الغيبة **الآفة الثالثة**
المراء والمجادلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المراء
وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بني له بيت
في ربض الجنة وهذا لان الترك على المحق اشد وقال عم لا يستكمل
العبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وهو محق وحد المراء هو الاعتراض
على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى **اما الباعث عليه** على المراء
فان الترفع باظهار الفضل وسببه خبث الرعونة واما السبعية التي
في الطبع المتشوقة الى تنقيص الغير وقهره فالمراء والمجادلة تقوية لهذين الخبيثين

المهلكين بل الواجب ان يصدق ما سمعه من الحق ويسكت عما سمعه
من الخطايا الا اذا كان في ذكره فايدة دينية وكان يسمع منه فيذكر
برفق لا بعنف **الآفة الرابعة** المزاح والافراط فيه يكثر الضحك ويميت
القلب ويورث الضغينة ويسقط المهابة والوقار قال رسول الله صلعم
ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه فيهوي بها ابعد من الثريا
وقال لا تمار اخاك ولا تمازحه **واعلم** ان اليسير منه في بعض الاوقات
لا بأس به لاستمالة النساء والصبيان تطييبا لقلوبهم فعل ذلك
رسول الله صلعم لكنه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ويعسر على غيره
ضبط ذلك وقد روي انه سابق عايشة رض بالعدو وقال للعجوز لا تدخل
الجنة عجوز اي لا تبقى في الجنة عجوز وقال لصبي يا ابا عمير ما فعل النغير
والنغير ولد العصفور كان يلعب به الصبي وقال عم لصهيب وهو
ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد وقال انما آكل بالشق فتبسم رسول الله صلعم
فهذا وامثاله من المفاكهة لا بأس بها بشرط ان لا يتخذها عادة **الخامسة**
المدح كما جرت به عادة الناس عند المحتشمين من ابناء الدنيا وكما جرت عادة
عادة القصاص والمذكرين فانهم يمدحون من يحضر مجالسهم من الاغنياء وفي

وفي المدح ست آفات اربع على المادح وثنتان على الممدوح **اما المادح**
فالآفة الاولى فيه انه قد يفرط فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كذابا
الثانية انه يظهر له من الحب ما لا يعتقد فيكون منافقا مرائيا **الثالثة**
انه قد يقول ما لا يتحققه فيكون مجازفا كقوله انه عدل وانه ورع
وغير ذلك مما لا يتحقق مدح رجل بين يدي رسول الله صلعم فقال ويحك
قطعت عنق صاحبك ان كان لابد من كون احدكم مادحا اخاه فليقل
احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله كان يرى انه كذلك **الرابعة**
ان يفرح الممدوح به وربما كان ظالما فيعصي بادخال السرور على قلبه
وقال صلعم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا للفاسق (لظالم)
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم
ليفتر رغبته في الظلم والفسق **واما الممدوح** فاحدى الآفتين فيه ان
يحدث فيه كبرا او اعجابا وهما مهلكان ولذلك قال عم قطعت عنق صاحبك
الثانية ان يفرح به فيفتر عن العمل ويرضى عن نفسه قال صلعم لو مشى
رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه واما اذا سلم
المدح من هذه الآفات في المادح والممدوح فلا بأس به وربما يندب اليه قال عم

لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين لرجح وقال لو لم أبعث لبعثت
يا عمر ولقد اثنى على كثير من الصحابة اذ علم ان ذلك يزيد فى نشاطهم
ولا يورثهم عجبا **فصل** حق على الممدوح ان يتأمل فى خطر الخاتمة ودقايق
الريآء وافات الاعمال ويتذكر ما يعرف من نفسه من القبايح الباطنة
لا سيما فى افكار وحديث نفسه مالو عرفه المادح لوكف عن المدح وينبغى
ان يظهر كراهة المدح ويكره بالقلب واليه الاشارة بقوله عم احثوا
التراب فى وجوه المداحين وقال بعضهم لما اثنى عليه قال اللهم ان عبدك
هذا تقرب الىّ بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال على كرم الله وجهه
لما اثنى عليه اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى
خيرا مما يظنون **الاصل الثالث فى الغضب** اعلم ان الغضب
شعلة من نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ومن غلب عليه فقد
نزع الى عرق الشيطان فانه مخلوق من النار وكسر شدة الغضب من المهمات
فى الدين قال صلعم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك
نفسه عند الغضب وقال عم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل
وقال عم ما غضب احد قط الا اشفى على جهنم وقال رجل يا رسول الله

فما ينقذنى

اى شئ اشد فقال غضب الله تعالى قال رجل فما يبعدنى من غضب الله قال
ان لا تغضب وقال رجل لرسول الله صلعم مرنى بعمل واقلل فقال لا تغضب
فاعاد مرارا وهو يقول لا تغضب فكيف لا تعظم آفة الغضب وهو يحمل
فى الظاهر على الضرب والشتم واطالة اللسان والباطن على الحسد والحقد
واظهار السوء والشماتة والعزم على افشاء السر وهتك الستر والفرح
بمصيبة المغضوب عليه والغم بمسرته وكل واحد من هذه الخبايث مهلك
فصل عليك فى صفة الغضب وظيفتان احديهما كسره بالرياضة
ولست اعنى بكسره اماطته فانه لا يزول اصله ولا ينبغى ان يزول بل ان
زال وجب تحصيله لانه آلة القتال مع الكفار والمنع من المنكرات
وكثير من الخيرات وهو ككلب الصائد انما رياضته فى تاديبه حتى ينقاد
الى العقل والشرع فيهيج باشارة العقل والشرع ويسكن باشارتهما
ولا يخالفهما كما ينقاد الكلب للصائد وهذا ممكن بالمجاهدة وهو اعتياد
الحلم والاحتمال مع التعرض للمغضبات الثانية ضبط الغضب عند الهيجان
بالكظم ويعين عليه علم وعمل **اما العلم** فهو ان يعلم انه لا سبب لغضبه
الا انه انكر ان يجرى الشئ على مراد الله لا على مراده وهذا غاية الجهل

والآمر ان يعلم ان غضب الله عليه اعظم من غضبه وان فضل الله اكبر
وكم عصاه وخالف امره فلم يغضب ان يخالف غيره فليس امره الزم على
عبده واهله ورفقته من امر الله عليه **واما العمل** فهو ان يقول اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم اذ يعلم ان ذلك من الشيطان فان لم يسكن
جلس ان كان قايما ويضطجع ان كان قاعدا كذلك ورد الخبر باختلاف
الحال انه يؤثر في التسكين فان لم يسكن فيتوضؤ قال صلعم ان الشيطان
خلق من النار وانما تطفى الملكه النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضاء
وقال الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه
وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيا فليضرب خده بالارض فليلصق
ومن اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع لينكسر الكبر فانه السبب
الاعظم في الغضب ليعلم انه عبد ذليل فلا يليق به الكبر قال رسول الله صلعم
ان الرجل ليدرك بالحلم درجة الصايم القايم وانه يكتب جبارا وما يملك
الا اهل بيته وقال صلعم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله
قلبه يوم القيمة امنا وايمانا وقال ما من جرعة احب الى الله من جرعة
غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملاء الله تعالى جوفه ايمانا

الاصل الرابع في الحسد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب وقال عم ثلث لا ينجو منهن احد
الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق
واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال عم دب اليكم داء الامم
قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة وقال زكريا عم قال الله تعالى
الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض لقسمتي التي قسمت بين عبادي
واعلم ان الحسد حرام وهو ان يحب زوال النعمة من غيرك او تحب نزول
مصيبة به ولا تحرم المنافسة وهي ان تغبطه وتشتهي لنفسك مثله
ولا تحب زوالها منه ويجوز ان تحب زوال النعمة ممن يستعين بها
على الظلم والمعصية لانك لا تريد زوال النعمة وانما تريد زوال
الظلم وعلامته انه لو ترك الظلم والمعصية لم تحب زوال النعمة نعمته
وسبب الحسد اما الكبر واما العداوة واما خبث النفس اذ يبخل بنعمة
الله على عباده من غير غرض له فيه **فصل** اعلم ان الحسد من الامراض
العظيمة للقلب ومرض القلب لا يداوى الا بمعجون العلم والعمل فاما العلاج
العلمي فهو ان يعلم ان حسده يضره ولا يضر محسوده بل ينفعه اما انه يضره

ولا يضر محسوده فهو آثم ليبطل حسناته ويعرضه لسخط الله عز وجل

اذ يسخط قضاء الله ويشح بنعمته التي وسعها من خزائنه على عباده

وهذا ضرر في دينه واما ضرره في دنياه فهو انه لا يزال في غم دائم

وكمد لازم وذلك مراد عدوه منه فان اهم اغراض عدوه واكمل نعمته

عليه حزن حاسده فقد كان يريد المحنة لعدوه فحصلت له والحسود

لا يخلو قط من الغم والمحنة اذ لا يزال اعداؤه او واحد منهم في نعمة

واما انه ينفع عدوه ولا يضره لان النعمة لا تزول بحسده وانه يضاعف

حسناته اذ تنقل حسنات الحاسد اليه لاسيما اذا طول اللسان فيه فانه

مظلوم من الحاسد فقد طلب الحاسد زوال نعمة الدنيا منه فاضاف

اليه نعمة الآخرة وحصل لنفسه مع عذاب الدنيا عذاب الآخرة

فهو كمن رمى عدوه بحجر فلم يصب عدوه وعادت الى عينه فاعمته وزادت

عليه شماتة عدوه ابليس به فاته النعمة وفاته الرضاء بالقضاء

ولو رضى به لكان فيه ثواب لاسيما اذا حسد على العلم والورع فان

محب العالم يعظم ثوابه واما العمل فهو ان يعرف حكم الحسد وما

يتقاضاه من قول وفعل فيخالفه ويعمل بنقيضه فيثني على المحسود

ويظهر الفرح بنعمته ويتواضع له وبذلك يعود المحسود صديقا

ويزيل الحسد ويتخلص عن اثمه والمه قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن

فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم **فصل** لعل نفسك

لا تطاوعك على التسوية بين عدوك وصديقك بل تكره مساءة

الصديق دون العدو ولست مكلفا بما لا تطيق فان لم تقدر على

ذلك فتتخلص من الاثم بامرين احدهما ان لا تظهر الحسد بلسانك

وجوارحك واعمالك الاختيارية بل تخالف موجبها الثاني ان

تكره من نفسك حبها زوال نعمة الله تعالى عن عبد من عباده فاذا

اقترنت الكراهة عن باعث الدين بحب زوال النعمة الذي

اقتضاه الطبع اندفع عنك الاثم وليس عليك تغيير الطبع فان

ذلك لا تقدر عليه في اكثر الاحوال وعلامة الكراهية ان تكون بحيث

لو قدرت على ازالة نعمته لم تقدم على ازالته مع حبك لها ولو قدرت

على معونته في دوام نعمته او في زيادتها فعلت مع كراهتك لذلك

فاذا كنت كذلك فلا اثم عليك فيما يتقاضاه طبعك فان الطبع

انما يصير مقهورا في حق المستهتر بالله الذي انقطع نظره عن الدنيا وعن

الخلق

بل علم ان المنعم عليه ان كان في النار فما وقع هذه النعمة وان كان
في الجنة فاي نسبة لهذه النعمة الى الجنة بل يرى كل الخلق عباد الله
فيحبهم لانهم عباد محبوبه ويحب ان يظهر اثر نعمة محبوبه على عباده
فهذه حالة نادرة لا تدخل تحت التكليف **الاصل الخامس**
البخل وحب المال واعلم ان البخل من المهلكات العظيمة قال الله تعالى
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن
الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الاية وقال الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والبخل
فانه اهلك من قبلكم وقال صلعم السخاء شجرة تنبت في الجنة
فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل
وقال عم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وقال صلعم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقال عم ان الله
يبغض البخيل في حيوته ويحب السخي عند موته وقال صلعم السخي
الجهول احب الى الله من العابد البخيل وقال عم لا يجتمع اثنان في مومن
البخل وسوء الخلق **فصل** اعلم ان اصل البخل حب المال وهو مذموم

تحب المال

ومن لا مال له لا يظهر بخله لكن يحب المال ورب رجل سخي لكنه يحب
المال ويسخو به ليذكر بالسخاء وذلك ايضا مذموم لان حب المال
يلهي عن ذكر الله تعالى ويصرف وجه القلب الى الدنيا ويحكم علاقته فيها
فيثقل عليه الموت الذي لقاء الله تعالى فيه قال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة الاية
وقال تعالى الهيكم التكاثر وقال عليه السلام لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا
اي العقار هي الارض النخل والكرم وغير ذلك
تبا اي امتك شر فقال الاغنياء وقال من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه
اخذ حتفه وهو لا يدري وقال رجل يا رسول الله اني لا احب الموت قال
هل لك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب الرجل مع ماله ان قدمه
احب ان يلحقه وان اخره احب ان يتخلف وقال اذا مات العبد قالت
الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف قال عم تعس عبد الدرهم
تعس عبد الدينار تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش **فصل**
اعلم ان المال ليس مذموما من كل وجه وقد قال صلعم نعم المال الصالح
للرجل الصالح وقال الدنيا مزرعة الاخرة وكيف يكون مذموما مطلقا
والعبد مسافر الى الله تعالى والدنيا منزل من منازل سفره وبدنه مركبه

ولا يمكنه السفر الى الله عز وجل الا به ولا يبقى البدن الا بمطعم وملبس ولا وصول

اليهما الا بالمال لكن من فهم فايدة المال وعلم انه آلة علف الدابة لسلوك

الطريق لم يعرج عليه ولم ياخذ منه الا قدر الزاد فان اقتصر على ذلك سعد

كما قال النبي عم لعايشة رض اذا اردت اللحاق بي فاقنعي من الدنيا

بزاد الراكب ولا تخلعي قميصا حتى ترقعيه وقال اللهم اجعل قوت ال محمد

كفافا وان زاد على قدر الكفاية يهلك كما قال عم من اخذ من الدنيا

فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وكذلك المسافر اذا اخذ ما يزيد على زاد

الطريق مات تحت ثقله ولم يبلغ مقصد سفره فالزيادة على قدر الكفاية

مهلكة في ثلثة اوجه احدها ان يدعو الى المعاصي فانها تمكن منها من العصمة ان لا تقدر

وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء والصبر اشد القدرة الثاني ان يدعو الى التنعم

بالمباحات وهو اول الدرجات فينبت على التنعم جسده ولا يمكنه الصبر عنه

ولا يمكنه استدامته الا بالاستعانة بالخلق والالتجاء الى الظلمة وذلك يدعوا

الى النفاق والكذب والرياء والعداوة والبغضاء ويتشعب منه جملة

المهلكات ولذلك قال صلعم حب الدنيا راس كل خطيئة الثالث ان يلهي

عن ذكر الله تعالى الذي هو اساس السعادة الاخروية اذ يزدحم على القلب

خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر في تدبير الحذر منهم

وتدبير استنماء المال وكيفية تحصيله اولا وحفظه ثانيا واخراجه ثالثا

وكل ذلك مما يسود القلب ويزيل صفاه ويلهي عن الذكر كما قال تعالى الهيكم التكاثر

فصل لعلك تشتهي ان تعرف مقدار الكفاية وتقول ما من غني

الا ويدعي ان ما في يده دون مقدار الكفاية **فاعلم** ان الضرورة انما

تدعو الى المطعم والملبس فقط فان تركت التجمل في الملبس فيكفيك في

السنة ديناران لشتائك وصيفك فتتخذ بهما ثوبا خشنا يدفع

عنك الحر والبرد وان تركت التنعم في مطعمك والشبع من الطعام

في جميع احوالك فيكفيك في كل يوم مد ويكون في السنة خمس مائة

رطل ويكفيك لادامك ان لم تتوسع فيه واقتصرت على اليسير القليل منه

في بعض الاوقات ثلثة دنانير على التقريب في السنة عند رخاء

الاسعار فاذا بلغ كفايتك خمسة دنانير وخمسمائة رطل وهو القدر

الذي نقدر اذا فرضنا نفقة العزب فان كنت معيلا فخذ لكل

منهم مثل ذلك فاذا كنت كسوبا وكسبت في اليوم ما يكفيك ليومك

فانصرف واشتغل بعبادتك فان طلبت الزيادة صرت من اهل الدنيا

وان لم تكن كسوبا وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت
ضيعة يدخل منها هذا القدر دائما فارجو ان لا تصير بذلك من اهل
الدنيا لا سيما في هذه الاعصار وقد تغيرت القلوب واستولى عليها
الشح وانصرفت الهمم عن تفقد ذوي الحاجات فاقتناؤها اولى
من السؤال وهذا بشرط ان يكون ان تتخلص من التعرض الى الجوع والبرد
لتطرح الضيعة وتتركها ولا تكون كارها للموت ولا محبا للضيعة
ولتكن الضيعة وهو مدخل طعامك كالخلاء الذي هو موضع فراغك
فانما تريده للضرورة وبودك لو تخلصت منه لتخرج عن النهي في قوله عم
لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا فانك اذا اقصدت القواعد للاستغنا
بها على الدين كنت متزودا مسافرا لا معرجا على الضيعة وربما لا يحتمل
بعض الاشخاص القناعة بالقدر الذي ذكرت الا بشدة ومشقة
ولا حرج في الدين في ازدياد الضعيف من هذا القدر اذ لا يصير من ابناء
الدنيا ولا يخرج من حزب ابناء الآخرة والمسافرين الى الله تعالى ما دام لم يقصد
بذلك دفع الالم الشاغل عن الذكر والعبادة دون التلذذ والتنعم في الدنيا
ثم ما فضل من الطعام صرفه الى اللباس والادام فلا تبقى بعد هذه

الرخصة داعية الى الزيادة الا للتنعم او للتصدق او للاستظهار ولو اصاب المال
آفة اما التنعم فاعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا واما التصدق فترك
المال افضل منه قال عيسى صلوات الله عليه وسلامه يا طالب الدنيا لتبر بها
تركك لها ابر وابر واما الاستظهار لخوف آفة فذلك لا مرد له وهو سوء
الظن ولا آخر له بل ينبغي ان يدفع ذلك بحسن الظن بتدبير الله تعالى وهو
ان يتصور ان تصيب المال آفة من حيث لا يتوقع فيتصور ان يفتح للرزق
ايضا باب لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وان فرض على الندور خلافه فلا ينبغي ان يعتقد العبد ان سلامة طول عمره عن البلاء
محتوم بل البلاء هو الذي يصقل القلب ويزكيه ويخلصه من الخبائث كلها ولهذا
كان موكلا بالانبياء عليهم السلام ثم الاولياء نفر ثم الامثل فالامثل فاتكل على فضل الله
واعلم انك لا يصيبك الا ما فيه خيرك وخيرتك فان مدبر الملك والملكوت
اعلم بمصالحك **فصل** هذا الذي ذكرته تقريب يمكن الزيادة عليه والنقصان
منه بالاجتهاد في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال لكن تعتقد قطعا ان المال
كالدواء والنافع منه قدر مخصوص والافراط فيه قاتل والقرب من الافراط
ممرض ان لم يقتل فعليك بالتقريب من التقليل والحذر من الافراط والرفاهية

فذلك خطر عظيم وليس في التقليل الا مشقة قليلة في ايام قلايل وذو الحزم لا يثقل عليه
ان يجوع نفسه لوليمة الفردوس لعلمه بان اللذة على قدر الجوع **فصل**
لعلك ترغب في معرفة حد البخل اذ الشخص الواحد قد يشك انه بخيل ام لا
ويختلف الناس فيه فاعلم ان حد البخل منع ما يوجبه الشرع او المروة و
لا تظنن ان من سلم الى زوجته وقريبه ما فرضه القاضي وضايقهم وراء ذلك
في لقمة فليس بخيل وان من رد الخبز واللحم الى الخباز والقصاب لنقصان قدر
منه يسير ليس ببخيل وان كان ذلك في الشرع فان معنى الشرع في هذه الامور
قطع خصومة البخلاء بتقدير مقدار يطيقه البخيل ولذلك قال الله تعالى ان يسئلكموها
فيحفكم تبخلوا بل لا بد من مراعاة المروة ودفع قبح الاحدوثة وذلك يختلف بالاشخاص
وقدر المال فمن له مال وامكنه دفع تجوز شاعر وذمه عن نفسه بقدر يسير فلم يفعله
فهو بخيل وان لم يكن ذلك واجبا عليه قال صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء به
عرضه فهو له صدقة والتحقيق فيه ان المال خلق لفايدة لا لاجلها فاذا امسكه وفي بذله
ايضا فايدة فمهما ظهر له ان فايدة البذل اعظم من فايدة الامساك ثم شق عليه
البذل فهو بخيل محب للمال والمال لا ينبغي ان يحب لذاته بل للفايدة فيصرف
الى اقوى فايدة وحفظ المروة افضل واقوى من التنعم بالاكل الكثير مثلا

وفيه جملة البخل وحب المال على ان يجهل اقوى الفايدتين واولاهما وذلك غاية البخل
فان علم وعسر عليه البذل فهو بخيل ايضا وان بذل تكلفا بل انما يبرا من البخل
بان لا يثقل عليه بذل المال فيما ينبغي ان يبذل فيه عقلا وشرعا واما درجة السخاء
فلا تنال الا ببذل ما يزيد على واجب الشرع والمروة جميعا **فصل**
لعلك تريد ان تفهم علاج البخل فاعلم ان دواءه معجون مركب من العلم والعمل
اما العلم فهو ان تعلم ما في البخل من الهلاك والمذمة في الدنيا وتعلم ان المال
لا يتبعه الى قبره وانما المال لله تعالى مكنه منه ليصرفه الى اهم اموره ويعلم ان
امساك المال ان كان للتنعم في الشهوات فحسن الاحدوثة وثواب الآخرة الذ
منه فقضاء الشهوة سجية البهايم وهذه سجية العقلاء وان كان ليتركه لولده
فكانه يتركه ولده بخير ويقدم على ربه بشر وهذا عين الجهل كيف وولده ان كان
صالحا فالله يكفيه وان كان فاسقا فيستعين به على المعصية ويكون هو سبب
تمكنه منها فينتصر هو ويتنعم غيره واما العمل فهو ان يحمل نفسه على البذل
تكلفا ولا يزال يفعل ذلك حتى يصير له عادة ومن نوادر حيلة فيه ان
يخدعه بحسن الاسم وتوقع المكافاة حتى يرغب في البذل وبعد ذلك يتدرج
ايضا الى قمع هذه الصفات **الاصل الثامن الرعونة** الرعونة وحب الجاه

الرعونة الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها

قال الله عز وجل تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا الآية وقال عم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت
الماء البقل وقال عم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا
من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال عم في مدح الخمول رب اشعث
اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وقال ان اهل الجنة كل اشعث
اغبر ذي طمرين لا يوبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن
لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم
تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال
سليمان بن حنظلة بينما نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه
بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع
وفتنة للمتبوع وقال الحسن ان خفق النعال خلف الرجل قل ما يثبت معه
قلوب الحمقاء وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه
فقد عرفت بهذا مذمة الشهرة والجاه الا ان يشهره الله عبدا في الدين من غير
طلب منه كما يشهر الانبياء والخلفاء الراشدين والاولياء

فصل

حقيقة الجاه هي ملك القلوب لتتسخر لذي الجاه على حسب مراده وتطلق

الالسن بالثناء عليه وتسعى في حاجته وكما ان معنى المال ملك الدراهم للتوصل
بها الى الاغراض كذلك معنى الجاه ملك القلوب لكن الجاه احب لان التوصل
به الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه ولانه محفوظ عن ان يسرق او يغصب
او تعرض له الآفة ولانه يسري وينمو من غير تكلف فان من ملك قلبا باعتقاد
التعظيم فلا يزال يثني ويقتنص قلوب سائر الناس لصاحبه وفيه سر آخر وهو ان الجاه
معناه العلو والكبرياء والعز وهي من الصفات الالهية والالهية محبوبة
للانسان بالطبع بل هو الذ الاشياء عنده وذلك لسر خفي في مناسبة الروح
للامور الالهية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي فهو امر
رباني شغفه من حيث الطبع للاستبداد والانفراد بالوجود وهو حقيقة
الالهية اذ ليس مع الله موجود بل الموجودات كلها كالظل من نور القدرة
فلها رتبة التبعية لا رتبة المعية فليس في الوجود مع الله تعالى غيره ولكن
الانسان يشتهي ذلك بل في كل نفس ان تقول انا ربكم الاعلى لكن اظهره فرعون
واخفاه غيره لكن ان فاته الانفراد بالوجود فيشتهي ان لا يفوته الاستعلاء
والاستيلاء على الموجودات كلها ليتصرف فيها على حسب مراده وهو الالهية
لكن تعذر على الانسان ذلك في السموات والكواكب والملائكة والبحار والجبال

فاشتهى الاستيلاء على جميعها بالعلم لان العلم نوع استيلاء ايضا
كما ان من عجز عن وضع الاشياء العجيبة فيشتهي ان يعرف كيفية الوضع
وكذلك يشتهي ان يعرف عجائب البحر وما تحت الجبال ويتصور ان يسخر
له الاعيان التي على وجه الارض من الحيوان والمعادن والنبات فيجب ان يملكها
ويتمولها ويتصور ان يتسخر له الانسان فيجب ان يتسخره بواسطة
قلبه ويملك قلبه بالقاء التعظيم فيه ويحصل التعظيم بان يعتقد فيه كمال الخصال
فان الاجلال يتبع اعتقاد الكمال فلهذا احب الانسان ان يتسع جاهه
وينتشر صيته حتى الى البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يرى اهلها
لان كل ذلك يناسب صفات الربوبية وكلما كان اعقل كانت هذه الصفة
عليه اغلب وشهوات البهيمية فيه اضعف

فصل لعلك تقول
فاذا كان كذلك فلم كان طلب الرفعة مذموما وهو من نتايج العقل وخواص
الروح المناسبة للامور الربانية فاعلم ان الرفعة الحقيقية طلبها محمود
غير مذموم لان مطلوب الكل هو القرب من الله تعالى وذلك هو المعرفة والكمال
لانه عز لا ذل فيه وغنا لا فقر معه وبقاء لا فناء بعده ولذة لا كدورة
لها وطلب ذلك محمود وانما المذموم طلب الكمال الوهمي من الحقيقي فا

فالكمال الحقيقي يرجع الى العلم والحرية والقدرة وهو ان لا يكون مقتدرا
بغيره ولا يتصور للعبد حقيقة القدرة فان قدرته انما تكون
بالمال والجاه وذلك كمال وهمي فانه امر عارض لا بقاء له ولا خير فيما لا بقاء
له بل قيل اشد الغم عندي سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا كيف وهذه
القدرة العارضة مع سرعة انقضائها بالموت وباقيتها فلذة
لا تصفو عن الكدورات في توهمها كمالا فذاك بل الكمال في الباقيات
الصالحات التي بها القرب من الله سبحانه ولا تزول بالموت بل تتضاعف
تضاعفا غير محدود وذلك هو المعرفة الحقيقية لذات الله تعالى
وصفاته وافعاله وهو العلم بكل الموجودات اذ ليس في الوجود الا الله تعالى
وافعاله لكن قد ينظر فيها الناظر لا من حيث انها افعال الله تعالى كالذي
ينظر في التشريح لغرض الطب او ينظر في هيئة العالم لمعرفة الاستدلال
باحكام النجوم فهذا لا قدر له ومن الكمال الحقيقي الحرية وهو انقطاع
علاقتك عن جميع علايق الدنيا بل عن كل ما يفارقك بالموت
والاقتصار في الالتفات الى اللازم الذي لا بد لك منه وهو
الله تعالى كما اوحى الى داود يا داود انا بدك اللازم فالزم بدك

والعلم والحرية من الباقيات الصالحات وهما كمالان حقيقيان والمال و
البنون زينة الحياة الدنيا وهي كمالات وهمية والمنكوسون هم الذين عكسوا
الحقيقية فاعرضوا عن طلب الكمال الحقيقي واشتغلوا بطلب الكمال الوهمي
وهم الذين يحترقون عند الموت بنيران الحسرة لو يشاهدون انهم خسروا الدنيا والآخرة
فاما الآخرة فلانهم لم يطلبوها ولم يحصلوا اسبابها من المعرفة والحرية
واما الدنيا فلانها وادعتهم وانقلبت الى اعدائهم وهم ورثتهم ولا تظنن
ان العلم والايمان يفارقانك بالموت فالموت لا يهدم محل العلم اصلا وليس الموت
عدما حتى تظن انك لو امت عدمت او عدم صفاتك بل معنى الموت قطع علاقة
الروح من البدن الى ان تعاد اليه ولو انحجر عن البدن فهو على ما كان عليه
قبل الموت من العلم والجهل وفهم هذا يطول وتحت هذا اسرار لا يحتمل
هذا الكتاب كشفها **فصل** لما عرفت حقيقة الجاه وماهيته وانه
كمال وهمي فقد عرفت طريق العلاج في قمع حبه من القلب لو اعلمت ان اهل
الارض لو سجدوا لك مثلا لما بقي الى مدة قريبة لا الساجد ولا المسجود له
كيف ويشبح الدهر عليك بان يسلم لك الملك في محلتك فضلا عن قريتك
او بلدتك فكيف ترضى ان تترك ملك الابد والجاه الطويل عند الله تعالى وعند

ملائكته

ملائكته بجاهك الحقير المنغص عند جماعة من الحمقاء لا ينفعونك ولا يضرونك
ولا يملكون لك موتا ولا حيوة ولا رزقا ولا اجلا نعم ملك القلوب يملك الاعيان
فانت محتاج منه الى قدر يسير لتحرس نفسك عن الظلم والعدوان ومما يشوش
عليك سلامتك وفراغتك التي تستعين بها على دينك فطلبك لهذا
القدر مباح بشرط القناعة كما في المال وبشرط ان لا تكتسبه بالمرايا بالعبادة
فذلك حرام كما سيأتي وبشرط ان لا تكتسبه بالتلبيس بان تظهر من نفسك ما انت
خال عنه فلا فرق بين من يملك القلوب بالتلبيس وبين من يملك الاموال بالسرقة فاذا حصلت
الجاه بطريقه واقتصرت على قدر التحرز من الآفات فنرجو لك السلامة الا انك في
خطر عظيم اكثر من خطر المال لان قليل الجاه يدعو الى كثيره فانه الذ من المال
ولذلك لا يسلم الدين مجانا الا بخامل مجهول لا يعرف كما فهمت ذلك من الاخبار
فصل من البواعث على طلب الجاه حب المدح فان الناس يتلذذ به من ثلثة اوجه
احدها انه يشعر صاحبه بكمال نفسه والشعور بالكمال لذيذ لان الكمال من الصفات
الالهية الثاني انه يشعر بملك قلب المادح وقيام الجاه عنده وكونه مسخرا له
الثالث انه يشعر صاحبه بان المادح يصغى الى مدحه فينتشر بسببه جاهه وكذلك
لو اصدر المدح من بصير بصفات الكمال وواسع الجاه والقدرة في نفسه وكان على ملأ
من الناس

تتضاعف لذة المدح وتزول اللذة الاولى بان يصدر عن غير اهل البصيرة
فانه لا يشعر بالكمال وتزول الثانية بان تصدر عن خسيس لا قدرة له لان
ملك قلبه لا يعتد به ولا تزول الثالثة بان يمدح في الخلوة لا في الملاء الا من حيث
يتوقع ايضا ان يمدح في الملاء واما الذم فانه مكروه لنقيض من الاسباب
واكثر الخلق اهلكهم حب المدح وكراهية الذم ويحملهم ذلك على المرايات
وانواع المعصية وعلاج ذلك ان يتفكر في اللذة الاولى فان مدح بكثرة
المال والجاه فيعلم انه كمال وهمي وهو سبب فوات كمال حقيقي فهو جدير
بان يحزن لاجله لا ان يفرح به وان مدح بكمال العلم والورع فينبغي
ان يكون فرحه بوجود تلك الصفات وعلمه بها لا بذكر غيره وشكر الله
عليها لا بشكر غيره هذا ان كان متصفا به واما ان كان غير متصف
ففرحه به حماقة كفرح من يثني عليه غيره ويقول ما اطيب العطر الذي
في احشائك وامعائك وهو يعلم ما فيها من الاقذار والانتان
وهذا حال من يفرح بالمدح بالورع والزهد والعلم وهو يعلم باطن
نفسه انه خال عنه واما اللذة الثانية والثالثة وهو لذة الجاه عند المادح
وعلاجه ما ذكرناه في حب الجاه

الاصل السابع في حب الدنيا

واعلم ان حب الدنيا راس كل خطيئة وليس الدنيا عبارة عن المال
والجاه فقط بل هما حظان من حظوظ الدنيا وشعبتان من شعبها
وشعب الدنيا كثيرة ودنياك عبارة عن حالتك قبل الموت وآخرتك
عبارة عن حالتك بعد الموت وكل ما لك فيه حظ قبل الموت فهو من
دنياك الا العلم والمعرفة والحرية وما يبقى معك بعد الموت فانها ايضا
لذيذة عند اهل البصائر ولكنها ليست من الدنيا وان كانت في الدنيا
ولهذه الحظوظ الدنيوية تعاون وتعلق بما فيه الحظ وتعلق باعمالك
المتعلقة باصلاحها فهي ترجع الى اعيان موجودة والى حظك منها والى
شغلك في اصلاحها اما الاعيان فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا
ما على الارض زينة لها ومطلوب الادمي من الارض اما عينها فللحرث
والمسكن واما نباتها فللتداوي في الاقتيات واما معادنها فللنقود والاواني
والالات واما حيواناتها فللمركب والماكل واما الادميون فيها فللمناكح
والمستسخر وقد جمع الله تعالى ذلك في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء الاية
واما حظك منها فقد عبر القرآن الكريم عنه بالهوى وقال ونهى النفس
عن الهوى وقال تفصيلا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال و
الاولاد الاية

وذلك يندرج فيه جميع المهلكات الباطنة من الكبر والغل والحسد والريا والنفاق
والتفاخر والتكاثر وحب الدنيا وحب الثناء وهى الدنيا الباطنة وانما الاعيان الدنيا
الظاهرة وانما شغلتك فى اصلاحهما فهى جملة الحرف والصناعات التى الخلق مشغولون
بها فقد نسوا انفسهم ومبداهم ومعادهم لاستغراقهم باشتغالهم بها
وانما شاغلهم العلاقة فان علاقة القلب بحب حظوظها وعلاقة البدن بشغل
اصلاحها فهذه هى الحقيقة التى حبها راس كل خطيئة. وانما خلقت للتزود منها
الى الآخرة ولكن كثرة اشتغالها وفنون شهواتها انستهم الحق فى سفرهم ومقصدهم
فقصروا عليها همتهم فكانوا كالحاج فى البادية يشتغل بتعهد الناقة
وعلفها وتسمينها عن الرفقة حتى يفوته الحج وتهلكه سباع البادية
فصل هذه الدنيا المذمومة المهلكة هى بعينها مزرعة الآخرة فى حق من
عرفها اذ يعرف انها منزل من منازل السايرين الى الله وهى كرباط بنى على الطريق
اعدّ فيها العلف والزاد واسباب السفر فمن تزود منها الآخرة واقتصر منها
على قدر الضرورة التى ذكرناها فى المطعم والملبس والمنكح وساير الضرورات فقد حرث
وبذر وسيحصد فى الآخرة ما زرع ومن عرج عليها واشتغل بلذاتها هلك
ومثل القوم فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم
الملاح بالخروج
لقضاء الحاجة

وخوفهم المقام واستعجال السفينة فتفرقوا فيها فبادر بعضهم فقضاء حاجته
ورجع الى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا ووقف بعضهم ينظر فى ازهار
الجزيرة وانوارها وطرايف اشجارها وعجايب غياضها ونغمات طيورها فراح الى السفينة
فلم يجد الا مكانا ضيقا واكب بعضهم على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها
فلم تسمح نفسه الا بان يستصحب شيئا منها فلم يجد فى السفينة الا مكانا ضيقا
وزادته الحجارة ثقلا وضيقا فلم يقدر على رميها ولم يجد لها مكانا فحملها
على عنقه وهو ينوء باعبائها وتوغل بعضهم فى الغياض ونسى المركب واشتغل
بالتفرج فى تلك الازهار والتناول من تلك الاثمار وهو فى تفرجه غير خال من خوف
السباع والحذر من السقطات والنكبات فلما رجع الى السفينة لم يصادفها فبقى
على الساحل فافترسته السباع ومزقته الهوام فهذه صورة اهل الدنيا بالاضافة
الى الدنيا والآخرة فتاملها واستخرج وجه الموازنة فيها ان كنت ذا بصيرة
فصل من عرف نفسه وعرف ربه وعرف الدنيا وعرف الآخرة شاهد بنور البصيرة
وجه عداوة الدنيا للآخرة وانكشف له قطعا ان لا سعادة فى الآخرة
الا لمن قدم على الله عارفا به محبا له فان المحبة لا تنال الا بدوام الذكر
وان المعرفة لا تنال الا بدوام الطلب والفكر ولا يتفرغ لهما الا من اعرض عن
اشغال الدنيا

وهو ينوء

ولا يستولي المعرفة والحب على القلب ما لم يفرغ من حب غير الله ففراغ القلب عن
غير الله ضرورة اشتغاله بحب الله ومعرفته ولن يتصور ذلك الا للمعرض عن
الدنيا القانع منها بقدر الزاد والضرورة فان كنت من اهل البصيرة فقد صرت
من اهل الذوق والمشاهدة وان لم تكن كذلك فكن من اهل التقليد والايمان
وانظر الى تحذير الله اياك بالكتاب والسنة وقد قال عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها الآية وقال ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا
على الآخرة الآية وقال عز اسمه فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا ولعل ثلث القرآن
في ذم الدنيا وذم اهلها وقد قال صلعم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان
لله تعالى منها وقال عم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الآخرة وهو يسعى لدار الغرور
وقال عم الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون
وقال عم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر
اليها منذ خلقها وقال من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم
قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ
غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم
يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعها قلت نعم فاخذ بيدي الى مزبلة فيها رؤوس
اناس

وعذرات وخرق وعظام وقال يا ابا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص
كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم ستصير رمادا وهذه
العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم
فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم
فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي ينتجعون
عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك وقال عم ليجيئن
اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله
مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل
فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا
والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وقال نبينا صلعم
احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وقال عيسى يا معشر الحواريين
ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة
الدنيا وقال عيسى عم للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم
على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وروي ان عيسى عم كوشف بالدنيا
فرآها في صورة عجوز شوهاء عليها من كل زينة فقال كم نكحت قالت لا
احصيهم

اللام موطئة للقسم

فقال يطلقونك او ماتوا عنك فقالت بل قتلت كلهم فقال عيسى عليه السلام
بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين **فصل**
اعلم ان من ظن انه يلابس الدنيا ببدنه ويخلو عنها بقلبه فهو مغرور وقال
النبي عم مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي
في الماء ان لا يبتل قدماه وكتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي رضي الله عنه
مثل الدنيا كمثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها
لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها
وكن آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور
اشخصه عنها مكروه وقال عيسى عم مثل الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا
ازداد عطشا حتى يقتله واعلم ان من اطمأن الى الدنيا وهو يتيقن انه راحل
عنها هو في غاية الحمق بل مثل الدنيا مثل دار هيأها صاحبها وزينها لضيافة
الواردين والصادرين فدخل واحد دار فقدم اليه طبق من ذهب عليه بخور وريحان
ليشمها ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه فجهل رسمه فظن انه وهب ذلك له فلما تعلق قلبه
استرجع منه فضجر وتوجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكر ورد بطيبة قلب
وانشراح صدر فكذلك سنة الله تعالى في الدنيا فانها دار ضيافة على المجتازين لا على المقيمين

قال فيه

لمن وردوا منها ما ينتفعون به كما ينتفع بالعارية ثم يتركونها لمن
يلحق بعدهم بطيبة نفس من غير تعلق القلب بها **الاصل الثامن في الكبر**
قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى فبئس مثوى المتكبرين
وقال صلعم قال الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما
قصمته وقال عم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل من كبر وقال صلعم
يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيمة في صور الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله
وقال عم لبلال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار
فاياك يا بلال ممن يسكنه وقال اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبر وقال عم لا ينظر
الله تعالى الى من جر ثوبه خيلاء وقال عم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو
عليه غضبان وقال في فضيلة التواضع ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع
احد لله الا رفعه الله وقال طوبى لمن تواضع في غير مسكنة واوحى الله تعالى الى موسى
انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه على خوفي
وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
لو تواضع العبد لله تعالى رفعه الله تعالى الى السماء السابعة وقال ان التواضع
لا يزيد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله وقال انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه

المهنة بالفتح الخدمة وقد روي بالكسر وانكره الاصمعي

فصل حقيقة الكبر ان يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال فيحصل
فيه نفخة وهزة منه من الرذيلة والعقيدة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اعوذ بك من نفخة الكبر ولذلك استأذن بعضهم عمر رضي الله عنه ليعظ الناس
بعد الصبح فقال لا اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا ثم هذه النفخة يصدر
منها افعال على الظاهر كالترفع في المجالس والتقدم في الطرق والنظر
بعين التحقير والغضب اذا لم يبدأ بالسلام وقصر في حوائجه وتعظيمه وحمله
على ان يأنف اذا وعظ ويعنف اذا وعظ وعلم ويجحد الحق اذا ناظر
وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير وانما عظم الكبر حتى لا يدخل الجنة من في
قلبه ذرة منه لان تحته ثلاثة انواع من الخبائث العظيمة اولها انه منازعة
الله تعالى في خصوص صفته اذ الكبرياء رداؤه كما قال فان العظمة لا تليق
الا به تعالى ومن اين تليق العظمة بالعبد الذليل الذي لا يملك من امر نفسه
شيئا فضلا عن امر غيره الثانية ان يحمله على جحد الحق وازدراء الخلق
قال صلعم في بيان الكبر الكبر من سفه الحق وغمط الناس والانفة من الحق
تغلق باب السعادة وكذا استحقار الخلق وقال بعضهم ان الله تعالى
خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقرن شيئا منها لعل رضاء الله
تعالى فيه

وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن شيئا منها صغيرة كانت او كبيرة
فلعل سخط الله تعالى فيها وخبأ ولايته في عباده فلا تحقرن احدا منهم
فلعله ولي الله تعالى الثالثة انه يحول بينه وبين جميع الاخلاق المحمودة
لان المتكبر لا يقدر ان يحب للناس ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع وعلى ترك
الانفة والحقد والغضب ولا يقدر على كظم الغيظ وعلى اللطف في النصح وعلى
ترك الرياء وبالجملة فلا يبقى خلق مذموم الا ويضطر المتكبر الى ارتكابه
ولا خلق محمود الا ويضطر الى تركه **فصل** العلاج الجلي لقمع
رذيلة الكبر ان يعرف الانسان نفسه وان اوله نطفة مذرة واخره جيفة
قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ويفهم قوله تعالى قتل الانسان
ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم
اماته فاقبره فليعلم انه خلق من كتم العدم وانه لم يكن شيئا مذكورا
فلا شيء اقل من العدم ثم خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة
ليس له سمع ولا فؤاد ولا بصر ولا حيوة وقدرة وخلق له ذلك كله
وهو بعد على غاية النقصان تستولى عليه الامراض والعلل وتتضاد
فيه الطبايع فيهدم بعضها بعضا فيمرض كرها ويجوع كرها ويريد ان يعلم
الشيء فيجهله ويريد ان ينسى الشيء فيذكره

ويكره الشيء فينفعه ويشتهي الشيء ويضره ولا يأمن في لحظة من ان يختلس
روحه او عقله او صحته او عضو من اعضائه ثم آخره الموت والتعرض للعقاب
والحساب فان كان من اهل النار فالخنزير خير منه فمن اين يليق به الكبر وهو
عبد مملوك لا يقدر على شيء قال الحسن البصري لبعض من يتبختر في مشيته
ما هذه مشية من في بطنه خراء فكيف يليق الكبر بمن يغسل العذرة بيده مرتين
في كل يوم وهو حامل لها على الدوام فصل علاج الكبر على التفصيل
بالنظر الى ما به التكبر وهي اربع خصال الاولى العلم قال صلعم آفة العلم
الخيلاء وقال لا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم وقل ما
يخلو العالم من آفة الكبر فانه يرى نفسه فوق الناس بالعلم الذي هو اشرف فضيلة
عند الله عز وجل فيتكبر تارة بالدين بان يرى نفسه عند الله عز وجل افضل
من غيره وتارة في الدنيا بان يرى حقه واجبا على الناس ويتعجب منهم ان
لم يتواضعوا له وهذا بان يسمى جاهلا اولى لان العلم الحقيقي لا يعرف
من يجهل ربه ونفسه وخطر خاتمته وحجة الله تعالى عليه وبلاحظ الخاتمة فلا يرى
جاهلا الا ويقول انه عصى الله عز وجل بجهل وانا عصيته بعلم فحجة الله تعالى
على آكد قال ابو الدرداء رض من ازداد علما ازداد وجعا وتواضعا قال تعالى
لنبيه عليه السلام

واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عم يكون قوم يقرؤن القرآن
فلا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا
ثم التفت وقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ومن هذا
اشتد حذر السلف حتى انه صلى حذيفة رضي الله عنه مرة بقوم فلما سلم
قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس
في القوم افضل مني وينبغي ان يتذكر الان انه كم من مسلم نظر الى
عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره ثم كانت خاتمة عمر رضي الله عنه كما كانت
وذلك المسلم ارتد بعده فكان المتكبر من اهل النار والمتكبر عليه من اهل الجنة
وما من عالم الا ويتصور ان يختم له بالسوء ويختم للجاهل بالسعادة فكيف
يكون الكبر مع معرفة ذلك وقد قال صلعم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى
في النار فتندلق اقتابه فتدور به كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل
النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر
وآتيه فاي عالم سلم عن ذلك فلم لا يشغله خوفه عن التكبر وقد قال الله تعالى
في بلعم بن باعورا وكان من اكابر العلماء فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث الاية لانه اخلد الى الشهوات وقال لعلماء اليهود كمثل الحمار
يحمل اسفارا

فلينظر في الاخبار التي وردت في علماء السوء حتى يغلب خوفه كبره وانّما
وانّما يبقى الكبر مع هذا لمن اشتغل بعلم غير نافع في الدين كالجدل واللغة
وغيرهما او لمن اشتغل بالعلم وهو خبيث الباطن فازداد خبثه بسببه
السبب الثاني الورع والعبادة ولا يخلو المتعبد في باطنه عن كبر (اي الكبر) وقد تنتهى الحماقة
ببعضهم الى ان يحمل مصائب الناس ومسراتهم على كرامته فمن آذاه ومات او مرض
يقول قد رايتم ما فعل الله تعالى به وربما يقول عند الايذاء سترون ما يجرى
عليه وليس يدرى الاحمق ان جماعة من الكفار ضربوا الانبياء وآذوهم
ثم متعوا في الدنيا فلم ينتقم الله منهم بل ربما اسلم بعضهم فسعد في الدنيا والآخرة
فكانه يرى نفسه افضل من الانبياء ومؤذيه اخس من الكفار وحق العابد
لو نظر الى عالم ان يتواضع له لجهله وان نظر الى فاسق ان يقول لعل
فيه خلقا باطنا يستر معاصيه الظاهرة ولعل في باطني حسدا او رياء
او خبثا خفيا مقتني الله تعالى عليه فلا يقبل اعمال الظاهرة وان الله تعالى
ينظر الى القلوب لا الى الصور ومن الخبث الباطن الكبر اذ روى ان رجلا من بني اسرائيل
يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فسقه جلس الى عابد من بني اسرائيل وقال لعل الله
يرحمني ببركته فقال العابد في نفسه كيف يجلس معي مثل هذا الفاسق وقال له قم عني فاوحى
الله تعالى الى نبي زمانه مرهما

ليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وروى ان رجلا وطئ
رقبة عابد من بني اسرائيل وهو ساجد فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله
اليه ايها المتألي علي بل لا يغفر الله لك فالاكياس يحذرون من ذلك ما كان (الذي)
يقوله عطاء السلمي مع شدة ورعه كان لو هبت ريح او وقعت صاعقة يقول ما يصيبكم كلكم
ذلك الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وقال بعضهم في عرفات انا ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني
فيهم فانظر كم فرق بين من يخلص العمل والورع ثم يخاف على نفسه وبين من يتكلف اعمالا ظاهرة
لعلها لا تخلو عن الرياء والآفات ثم يتمنى على الله بعمله السبب الثالث الكبر بالنسب وعلاجه
ان ينظر في نسبه فان اباه نطفة مذرة وجده التراب ولا اقذر من النطفة ولا اذل من التراب
ثم المفتخر بالنسب يفتخر بخصال غيره ولو نطق اباؤه لقالوا من انت في نفسك وما انت
الا دودة من بول من له خصال حميدة ولذلك قيل • لئن فخرت بآباء ذوي حسب
لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا • وكيف يتكبر بنسب ذوي الدنيا لعلهم صاروا حممة
في النار يودون لو كانوا خنازير وكلابا لينخلصوا مما هم فيه وكيف يتكبر بنسب اهل الدين
وهم في انفسهم ما كانوا يتكبرون وكان شرفهم بالدين ومن الدين التواضع فلقد كان احدهم
يقول ليتني تبنة وليتني كنت طائرا اكلهم قد شغلهم خوف العاقبة عن الكبر مع عظم علمهم
وكيف يتكبر بنسبهم من هو عاطل (عاري) عن خصالهم السبب الرابع الكبر بالمال والجمال والاتباع

والكبر بها جهل فانها امور خارجة عن الذات اعني المال والاتباع وكيف يتكبر بخصلة
تمتد اليها ايدي السارق والغاصب وكيف يفتخر بالجمال وحمى يوم تفسده والجدري
يزيله ولو تفكر الجميل في اقذار باطنه لادهشه ذلك عن تزيين ظاهره ولو
يتعهد الجميل بدنه اسبوعا بالغسل والتنظيف لصار اقذر من الجيفة من تغير النكهة
والصنان ورائحة العذرة وكراهية الوسخ والمخاط والرمص فمن اين للمزبلة ان يفتخر
بجمالها والانسان بالحقيقة مزبلة فانه منبع الاقذار والنجاسات **الاصل التاسع**

العجب قال الله عز وجل ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الاية وقال تعالى وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا وقال ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقال عليه السلام
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ابن مسعود رضي الله عنه
الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان القانط لا يطلب السعادة
لقنوطه والمعجب لا يطلبها لظنه انه قد ظفر بها وقال صلعم لو لم تذنبوا لخفت عليكم
ما هو اعظم من ذلك العجب العجب وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا فقالت اذا
ظن انه محسن ونظر رجل الى بشر بن منصور وهو يطيل الصلوة ويحسن العبادة فلما فرغ قال
قال لا يغرنك ما رايت مني فان ابليس عبد الله تعالى صحبة الاف سنين ثم صار الى ما صار اليه

فصل حقيقة العجب استعظام النعمة وخصالها التي هي من النعم والركون اليها مع نسيان اضافتها
الى المنعم

ولو يترك الجميل بدنه اسبوعا بلا غسل ولا تنظيف (صوابه)

والامن منه والهافان انضاف اليه انه رأى لنفسه عند الله حقا ومكانا سمي ذلك ادلالا
وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترتفع فوق رأسه وعلامته لولا ان يتعجب من رد دعائه
ويتعجب من استقامة حال من يوذيه والعجب هو سبب الكبر ولكن الكبر يستدعي متكبرا عليه والعجب
مقصور على الانفراد اما من رأى نعمة الله على نفسه بعمل او علم او غيره وهو خائف
على زوالها وفرح بنعم الله عليه من حيث انها من الله تعالى فليس بمعجب بل العجب بالامن ونسيان
الاضافة الى المنعم **فصل** العجب جهل محض فعلاجه العلم المحض فانه ان اعجب بقوة او
جمال او امر مما ليس يتعلق باختياره فهو جهل لانه ليس ذلك اليه فينبغي ان يعجب بمن اعطاه
ذلك من غير استحقاق وينبغي ان يتفكر في زوال ذلك المخوف على القرب بادنى مرض
وضعف وان اعجب بعلمه وعمله وما يدخل تحت اختياره فينبغي ان يتفكر في تلك الاعمال
بماذا تيسرت له وانها لا تتيسر الا بعضو وقدرة وارادة ومعرفة وان جميع ذلك من
خلق الله عز وجل ولو خلق الله العضو والقدرة وسلط الدواعي وصرف الصوارف لكان
حصول الفعل ضروريا وليس للمضطر ان يتعجب بما يحصل منه اضطرارا وهو مضطر
الى الاختيار فانه يفعل ان يشاء الله شاء او لم يشأ مهما خلقت فيه المشية قال
الله سبحانه وتعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله فمفتاح العمل انخرام المشية وانصراف الدواعي
الصارفة مع كمال القدرة والاعضاء وكل ذلك بيد الله تعالى ارايت لو كان بيد ملك مفتاح خزانة

منع الموانع عن اتيان الفعل

فاعطاك اياه فاخذت منها اموالا انتعجب بجوده اذ اعطاك المفتاح بغير استحقاق
او بكمالك في اخذه واي كمال في الاخذ بعد التمكين **فصل** من العجائب ان يعجب العاقل
بعلمه وعقله حتى يتعجب ان افقره الله تعالى واغنى بعض الجهال ويقول كيف وسع
النعمة على الجهال وحرمني فيقال له كيف رزقك العلم والعقل وحرمها الجاهل
فهذه عطية منه افتجعلها سببا لاستحقاق عطية اخرى بل لو جمع لك بين العقل
والغناء وحرم الجاهل عنهما كان ذلك اولى بالتعجب وما تعجب العاقل منه الا كتعجب
من اعطاه الملك فرسا واعطى غيره غلاما فيقول كيف يعطي الغلام لفلان ولا فرس له
ويحرمني وانا صاحب الفرس انما صاحب الفرس بعطائه فيجعل عطاءه سبب استحقاق
عطاء اخرى ومن عين الجهل العاقل ان يكون ابدا متعجبا لله تعالى وجوده من حيث
اعطاه العلم والعقل ووفقه للعبادة من غير تقدم استحقاق منه وحرم غيره
ذلك وسلط عليه دواعي الفساد واضطره اليه بصرفه دواعي الخير عنه وذلك
بغير جريمة سابقة منه لا اشاهد ذلك تحقيقا غلب عليه الخوف اذ قد يقول قد
انعم الله تعالى علي في الدنيا من غير وسيلة وخصني به دون غيري ومن يفعل هذا
بغير سبب فيوشك ان يعذب ويسلب النعم ايضا بغير جناية وسبب فماذا اصنع ان كان
ما افاضه علي من النعم مكرا او استدراجا كما قال الله تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء الاية

وكما قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون **الاصل العاشر في الرياء**
قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون وقال
تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وقال تعالى فمن كان يرجو
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا واراد به الاخلاص
وقال صلعم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قيل وما هو قال الرياء يقول
الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون
فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال في حديث طويل يقال للغازي والعالم والمنفق
لو قال فعلت كذا كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم او شجاع او جواد وقد قيل ذهبت
الى النار وقال عم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال واد في جهنم اعد للقراء
المرائين وقد قال تعالى من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بري وانا
اغنى الاغنياء عن الشرك قال عم لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من الرياء وقال عم
ان ادنى الشرك وقال عيسى عم اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح
شفتيه لكي لا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر
بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ولهذا قال عمر رضي الله تعالى عنه لرجل طاطا رقبته
يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب وقال نبينا عم

ان المرائي ينادي يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب
فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا
كيف يستهزئ بي وقال الحسن صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها نفعته
ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا الشهرة فصل حقيقة الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس
بالعبادات واعمال الخير وما يرائي به ستة اصناف الاول الرياء من جهة البدن وهو
اظهار النحول والصفرة ليظهر به السهر والصيام واظهار الحزن ليظن به انه شديد الاهتمام
بامر الدين واظهار شعث الشعر ليظن انه لشدة استغراقه بالدين ليس يتفرغ لنفسه واظهار
ذبول الشفتين ليستدل به على صومه وخفض الصوت ليستدل به على ضعفه من شدة المجاهدة
الثاني الرياء بالهيئة كحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدوء في الحركة وابقاء
اثر السجود على الوجه وتغميض العينين ليظن انه في الوجد والمكاشفة او غائص في الفكر
الثالث الرياء في الثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصيره الى قريب من الساق وتقصير
الكمين وترك الثوب مخرقا ووسخا ليظن انه مستغرق الوقت عن الفراغ له ولبس المرقعة
والسجادة ليظن انه من الصوفية مع افلاسه عن حقائق التصوف ولبس الدراعة والطيلسان
وتوسيع الاكمام ليظن انه عالم والتقنع فوق العمامة بازار ولبس الجوارب ليظن انه متقشف
لشدة ورعه من غبار الطريق ثم منهم من يطلب المنزلة في قلوب اهل الصلاح فيلازم الثوب الخلق

72

ولو لبس ثوبا جديدا لكان عنده كالذبح لانه يخاف ان يقول الناس قد بدا له في الزهد
ومنهم من يطلب المنزلة من السلاطين والتجار ولو لبس خلقان الثياب لازدروه ولو لبس فاخر
الثياب لم يعتقدوا زهده فيطلب المرقعات المصبوغة والفوطة الرقيقة والاصواف
الرقيقة فتكون ثيابهم في القيمة كثياب الاغنياء وفي اللون والهيئة كثياب الصلحاء ولو كلفوا
ان يلبسوا الخلق لكان عندهم كالذبح خيفة من السقوط عن اعين الاغنياء ولو كلفوا
لبس الخز والقصبي والدبيقي وما يباح لبسه وقيمته دون قيمة ثيابهم لاشتد عليهم خوفا
من سقوط منزلتهم عن قلوب الصلحاء اذ يقولون قد بدا له من الزهد الرابع الرياء
بالقول كرياء اهل الوعظ والتذكير وتحسين الالفاظ وتسجيعها والتنطق بالحكمة والاخبار
وكلام السلف مع ترقيق الصوت واظهار الحزن مع الخلو عن حقيقة الصدق والاخلاص
في الباطن ليظن به ذلك وكادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والمبادرة الى
الحديث انه صحيح او سقيم ليظن به غزارة العلم وكتحريك الشفتين بالذكر والامر
بالمعروف بمشهد الناس مع خلو القلب عن التفجع بالمعصية وكاظهار الغضب عند المنكرات
والاسف على المعاصي مع خلو القلب عن التالم به الخامس الرياء بالعمل كتطويل
القيام وتحسين الركوع والسجود واطراق الراس وقلة الالتفات والتصدق والصوم والحج
والاخبات في المشي وارخاء الجفون مع ان الله يعلم من باطنه لو كان خاليا ما فعل شيئا من ذلك

والقصبي اسم بلد

بل ان سامر في الصلوة وتسرع في المشي فقد يفعل ذلك في المشي فاذا شعر باطلاع غيره
عليه عاد الى السكينة كي يظن به الخشوع الخامس الرياء بكثرة التلامذة والاصحاب
وكثرة ذكر الشيوخ ليظن انه لقي شيوخا كثيرة وكمن يحب ان يزوره العلماء والسلاطين
ويقال انه ممن يتبرك به فهذه مجامع ما يرائي به في الدين وكل ذلك حرام بل هو من الكبائر
واما طلب المنزلة في قلوب الناس بافعال ليست بالعبادات واعمال الدين فليست بحرام
ما لم يكن فيه تلبيس كما ذكرناه في طلب الجاه فاهل الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة المال والغلمان
وحسن الثياب الفاخرة وحفظ الاشعار وعلم الطب والحساب والنحو واللغة وغير ذلك من الاعمال
والاحوال ولم يحرم ذلك ما لم ينته الى الايذاء بالتكبر والى اخلاق اخر مذمومة وانما استقصينا
اقسام الرياء لانه اغلب الاخلاق الذميمة على النفوس ومن لا يعرف الشر ومواقعه لا يمكنه ان يتقيه
فصل الرياء على درجات احدها ان لا يكون بالامور الدينية والعبادات كالذي يلبس عند الخروج ثيابا خشنة
خلاف ما يلبس في الخلوة وكالذي ينفق في الصدقات وعلى الاغنياء اموالا ليعتقد انه سخي
لا ليعتقد انه ورع فليس ذلك بحرام فان تملك القلوب كتملك الاموال نعم القليل منه صالح نافع
والكثير منه ملهي عن ذكر الله تعالى كالكثير من المال ومهما انصرفت الهمة الى سعة الجاه فيجر
ذلك الى الغفلة والمعاصي فيكون محذورا لذلك لا لنفسه واما اظهار الشمائل التي ذكرناها
ليعتقد الناس فيه الدين والورع ففيه محذوران احدهما انه تلبيس اذ اراد ان يعتقد الناس انه مخلص مطيع لله تعالى وهو [illegible]

ممقوت عند الله عز وجل ولو سلم الرجل دراهم الى جماعة يتخيل اليهم انه يجود عليهم
بها وانما هي بيت لازمته عصى للتلبيس وان لم يطلب به ان يعتقد صلاحه لان ملك القلوب
بالتلبيس حرام الثاني انه لو اقصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ ومن وقف
بين يدي ملك في معرض الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك وجارية
من جواريه فانظر ماذا يستحق من النكال لاستهزائه بالملك فكانه لو اقصد العباد بالعبادة
فقد اعتقد ان عباد الله تعالى اقدر على نفعه وضره من الله تعالى لو عظمه العباد في قلبه
دعته الى ان يتجمل عندهم بعبادة الله تعالى ولهذا سمي الرياء الشرك الاصغر ثم يزداد الاثم
بزيادة فساد القصد والنية ومن المرائين من لا يطلب الا مجرد الجاه ومنهم من يطلب ان يودع
الودايع ويوقف عنده الاوقاف ومال الايتام ليختزل منها وذلك اخبث لا محالة ومنهم
من يرائي ليقصد اليه النساء والصبيان ليتمكن من الفجور وليكثر عنده المال ليصرفه الى الخمر
والملاهي وهذا هو الاعظم لانه جعل عبادة الله تعالى وسيلة الى مخالفته العياذ بالله فصل
كما يعظم الرياء ويتغلظ اثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث عليه فيعظم ايضا بما به المراياة
وبقوة قصد الرياء اما ما به المراياة فهو على ثلث درجات اغلظها ان يرائي باصل الايمان كالمنافق
يظهر انه مسلم وليس بمسلم وكالملحد ومعتقد الاباحة يظهر انه متدين بالاسلام وقد انسل منه باطنه
الثانية الرياء باصل العبادات كمن يصلي ويخرج الزكوة بين يدي الناس والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه
لم يفعل ذلك

الثالثة وهي دونهما أن لا يرائي بالفرائض ويرائي بالنوافل كالذي يكثر النافلة ويحسن
هيئة الفرائض ويخرج الزكاة من أجود ماله أو يتهجد أو يصوم عرفة وعاشوراء والله يعلم
باطنه أنه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئاً من ذلك وهذا أيضاً حرام وإن كان لا ينتهي شدة العقوبة
فيه إلى حد الرياء بالأصول وأما تغلظه بدرجات القصد فهو أنه قد يتجرد قصد الرياء حتى يصلي
مثلاً على غير طهارة لأجل الناس ويصوم ولو خلا بنفسه لأفطر وقد ينضاف إليه قصد العبادة
أيضاً وله ثلاث أحوال أحدها أن يكون العبادة باعثة مستقلة لو خلا بنفسه ولكن زاده
رؤية غيره نشاطاً وخف عليه العمل بسببه فأرجو أن لا يحبط ذلك القدر عمله بل تصح عبادته
ويثاب عليها ويعاقب على قصد الرياء أو ينقص من ثوابه الثانية أن يكون قصد العبادة
ضعيفاً بحيث لو انفرد عن الناس ما استقل بالحمل على العبادة فهذا لا تصح عبادته والقصد
الضعيف لا ينفي عنه شدة المقت الثالثة أن يتساوى القصدان بحيث يستقل
كل بالحمل لو انفرد ولا ينبعث للفعل بأحدهما بل بمجموعهما فهذا أفسد شيئاً وأصلح مثله
فالمرجو أنه لا يبلغ رأساً برأس ويحتمل أن يقال إذا تساوى القصدان فأحدهما كفارة
للآخر وقوله أنا أغنى الأغنياء عن الشرك يدل على أنه لا يقبله ولا يثيبه عليه أما أنه يعاقب
عليه ففيه نظر فالأغلب والعلم عند الله تعالى أن لا يخلو عن إثم وعقاب فصل اعلم أن
بعض الرياء جلي وبعضه خفي من دبيب النمل أما الجلي فما يبعث على العمل حتى لولاه لم يرغب في العمل

وأخفى منه أن لا يستقل بالحمل عليه ولكن يخفف العمل ويزيد في نشاط كالذي يتهجد كل ليلة
ولو كان عنده ضيف يزيد نشاطه وأخفى منه أن لا يزيد نشاطه ولكن لو اطلع غيره على تهجده قبل
فراغه وبعده فرح به ووجد في نفسه هزة وذلك يدل على أن الرياء كان فيه كامناً كمون النار
تحت الرماد حتى ترشح منه السرور عند الاطلاع وقد كان غافلاً قبله وأخفى منه أن لا يسر بالاطلاع
لكن يتوقع أن يبدأ بالسلام ويوقر ويتعجب ممن يقصر في حقه ولا يسامحه في المعاملة ولا يحترمه
وذلك يدل على أنه منّ على الناس بعمله فكأنه يتوقع احترامهم وتوقيرهم بعبادته مع إخفائه عنهم وأمثال
هذه الخفايا لا يخلو عنها إلا الصديقون وجميع ذلك إثم ويخاف منه إحباط العمل نعم لا بأس
أن يفرح باطلاع غيره عليه لو كان فرحه بالله تعالى من حيث أظهر منه الجميل وستر منه القبيح مع
أنه قصد سترهما جميعاً فيفرح بلطف صنع الله تعالى وكذلك يفرح لأنه يستبشر بأنه حيث أحسن
صنعه في الدنيا فكذلك يصنع في الآخرة أو يفرح ليقتدي به من رآه أو يطيع الله
بحمده عليه وعلامة هذا أن يفرح أيضاً لو اطلع على غيره ممن ترتجى قدوته ومن أجل
إخفاء أبواب الرياء وشدة استيلائه على الباطن احترز أولو الحزم فأخفوا
عباداتهم وجهدوا أنفسهم وقد قال عليه السلام إن الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة ألم يكن يرخص
عليكم في السعر ولم تكونوا تبدؤون بالسلام ألم تكن تقضى لكم الحوائج لا أجر لكم فقد
استوفيتم أجوركم فاجتهد إذا أردت الإخلاص أن يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان

ولا تفرق في عباد ذلك بين وجودهم وعدمهم وعلمهم بها او غفلتهم عنها واقنع بعلم الله
وحده وتطلب الاجر منه فانه لا يقبل الا الخالص كيلا تحرم عن فايدته في احوج اوقاتك اليه

فصل لعلك تقول لا اقدر على الانفكاك عن الرياء الخفي كما وصفته فان قدرت على الجلي
فهل تنعقد عبادتي مع ذلك فاعلم ان وارد الرياء لا يخلو اما ان يرد على اول العمل
او في دوامه او بعد الفراغ منه اما ما يقارن الابتداء فيبطله ويمنع انعقاده ان صار باعثا
مؤثرا في الحمل على العمل بل اول العقد يجب ان يكون خالصا وانما يبطل الرياء الباعث
على اصل العمل واما الذي لا يحمل الا على المبادرة في اول الوقت مثلا فالظن والعلم
عند الله تعالى ان اصل الصلوة يصح وانما يفوته فضيلة المبادرة ويعصي بقصد المراياة
لكن يسقط الفرض عنه واما ما يطرأ في دوام الصلوة ان ابطل باعث الصلوة فتبطل
الصلوة مثاله ان يحضر في اثناء الصلوة نظارة ويتذكر نسيانا شيئا ولو خلا لقطع الصلوة
لكنه اتم حياء من الناس فهذا لا يسقط الفرض لان النية قد انقطعت وانقطع باعث
العبادة واما الذي لا تنقطع نيته لكن صار مغمورا مغلوبا كما لو حضر قوم فيغلب على نفسه
الفرح باطلاعهم وانغمر باعث العبادة فالظن انه ان انقضى ركن ولم يعاوده
الباعث الاصلي فسدت صلوته لانا انما نستصحب نية البداية بشرط ان لا يطرأ ما لو قارن
ابتداءها لمنع وان لم ينغمر باعث العبادة ولكن حصل مجرد سرور ولم يؤثر في العمل

على الانفكاك

مع اول العمل

من قيام او ركوع

اي ان لا يعرض

اي لا يزيد

الاستصحاب ابقاء ما كان على ما كان

بل في تحصيل الصلوة فقط فغالب الظن ان الصلوة لا تفسد وتتادى الفرض واما ما يطرأ
بعد الصلوة من ذكر وسرور ومراياة فلا ينعطف على ما مضى لكن يعصي به ويأثم ويكون
عقابه بقدر قصده واظهاره ومهما ظهر له داعية ذكر العبادة اما بالتصريح او بالتعريض
فذلك يدل على ان الرياء كان خفيا في باطنه

فصل لو عرفت حقيقة الرياء وكثرة
مداخله فعليك بالتشمر لمعالجته وعلاجه في دفع الاسباب الباعثة عليه وهي ثلث حب المدح
وخوف الذم والطمع اما حب المدح كمن يهجم على صف القتال ليقال انه شجاع او يظهر
العبادات ليقال انه ورع وعلاجه ما تقدم في علاج حب الجاه وهو ان يعلم انه كمال وهمي
لا حقيقة له وعلاجه في الرياء خاصة ان يقرر على نفسه ما فيه من الضرر فان العسل وان كان
لذيذا فاذا علم ان فيه سما سهل تركه فليقرر على نفسه انه يقال له في يوم فقره بسبب رياءه
يا فاجر يا غاوي استهزأت بالله تعالى وراقبت العباد وتحببت اليهم اشتريت حمدهم
بذم الله تعالى وطلبت رضاءهم بسخطه اما كان احد اهون عليك من الله تعالى فلو لم يكن الا هذا الخزي
والخجل لكان كافيا في المنع عنه كيف وقد انضم اليه العقوبة واحباط العبادة وانه ربما
تترجح به كفة السيئات بعد ان فازت كفة الحسنات فيكون سبب هلاكه وليقرر على نفسه
ان رضاء الناس غاية لا تدرك ومن طلب رضاء الناس بسخط الله تعالى سخطهم عليه فكيف
يترك رضاء الله تعالى بما لا يطمع في حصوله واما الباعث الثاني وهو الخوف من ذمهم فيقرر على

في معالجته

على نفسه ان ذمهم لن يضره ان كان محمودا عند الله تعالى فلم يتعرض للازم له ومقته خوفا من ذم
الخلق ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء لمقتوه ويابى الله الا ان
يكشف ستره حتى يعرف نفاقه فيمقته الناس ايضا بعد ان مقته الله تعالى ولو اخلص
واعرض بقلبه عنهم وجرد نظره الى الله تعالى لكشف لهم اخلاصه واحبوه واما باعث
الطمع فيدفعه بان يعلم ان ذلك امر موهوم وفوات رضاء الله تعالى ناجز ويعلم ان الله تعالى
هو المسخر للقلوب وان من طمع في الخلق لم يخل عن الذل والمهانة والمنة ومن اعرض
عن الطمع في الخلق كفاه الله تعالى وسخر له القلوب فاذا احضر في قلبه نعيم الآخرة والدرجات الرفيعة
وعلم ان ذلك يفوت بالرياء اعرض قلبه عن الخلق واجتمع همه وفاضت عليه انوار
الاخلاص وامن الله تعالى بعونه وتوفيقه **فصل** لعلك تقول فررت على نفسي هذا الكلام
ونفرت عن الرياء قلبي ولكن ربما يهجم على واردات الرياء بغتة في بعض العبادات عند اطلاع
الخلق فما العلاج عند هجومه فاعلم ان اصل هذا العلاج ان تخفي عبادتك
كما تخفي فواحشك ففيه السلامة روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها
فقال اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا واخفاء العبادة
انما يتيسر في البداية فاذا صار عادة الف الطبع لذة المناجاة في الخلوة ومهما
هجم واردات الرياء فعلاجه ان تجدد على قلبك ما رسخ فيه من قبل من المعرفة بالتعرض
لمقت الله عز وجل

مع عجز الناس عن منفعتك ومضرتك حتى تنبعث منه كراهية لداعية الرياء ثم التشهي
تدعو الى اجابة الرياء بتحبيب العمل والفرح به والكراهية تدعو الى رده والاعراض عنه
وتكون اليد للاقوى فان قويت الكراهية حتى منعتك من الركون اليه واستنجحت
حالتك التي كنت عليها فلم تزد ولم تنقص ولا تتكلف اظهار الفعل وايثاره فقد
اندفع عنك الاثم ولم تكلف اكثر من ذلك واما دفع الخواطر ودفع الطبع عن الميل الى
اقوال الناس فلا يدخل تحت التكليف وانما منتهى التكليف الكراهية والاباء عن
اجابة الداعية **فصل** يجوز اظهار الطاعات لاجل اقتداء الناس وترغيبهم
اذا صحت النية ولم يكن معه تشهي خفية وعلامته ان يقدر ان الناس لو اقتدوا باحد
اقرانه وكفي مؤنة الترغيب واخبر بان اجره في الاسرار كاجره في الاظهار فلا يرغب
في الاظهار فان كان ميله الى ان يكون المقتدى به اكثر ففيه داعية الرياء لانه ان
كان يطلب سعادة الناس وخلاصهم فقد حصل ذلك بغيره ولم يبقه الا الاظهار نفسه
وكذلك يجوز كتمان المعاصي والذنوب ولكن بشرط ان يكون غرضه ان يعتقد فيه الورع
بل لا يعتقد فيه الفسق ولا الناس يفرحه باستتار معاصيه وحزنه بانكشافها اما فرحه بستر ان لا
الله تعالى عليه واما فرحا بموافقة امر الله تعالى فانه تعالى يحب كتمان المعاصي وينهى عن المجاهرة
بها واما لانه يكره ان يذم فيتألم به اذ التألم بذم الناس ليس بحرام بل يوجبه الطبع وانما الحرام
وانه ... ولانه

الفرح بمدح الناس اياه بالعبادة فان ذلك كالجزاء ياخذه على العبادة واما لانه يخاف
ان يقصد بسوء لو اعرف معصيته واما لانه يستحيي من ظهورها وللحياء غير الرياء
ولذلك قد يمدح به واما ترك الطاعة خوفا من الرياء فلا وجه له قال الفضيل الرياء
ترك العمل خوفا من الرياء اما العمل لاجل الناس فهو شرك بل ينبغي ان يعمل ويخلص
الا لو كان العمل مما يتعلق بالخلق كالقضاء والامامة والوعظ فاذا علم من نفسه
بعد الخوض فيه لا يملك نفسه بل يميل الى دواعي الهوى فيجب عليه الاعراض والهرب كذلك
فعل جماعة من السلف واما الصلوة والصدقة فلا يتركهما الا لو لم تحضره اصلا
نية العبادة بل لو تجرد نية الرياء فلا يصح عمله فليتركه اما ما اعتاد فعله فحضر جماعة
فيخاف على نفسه الرياء فلا ينبغي ان يتركه بل ينبغي ان يستمر على عادته ويجتهد في دفع عرق الرياء

خاتمة في مجامع الاخلاق اعلم ان الاخلاق المذمومة كثيرة
ولكن ترجع اصولها الى ما ذكرناه ولا يكفيك تزكية النفس عن بعضها حتى تتزكى
عن جميعها ولو تركت واحدا منها غالبا عليك فذلك يدعوك الى البقية لان
بعضها ترتبط بعضها ببعض وتتقاضى بعض الاخلاق الذميمة بعضا ولا ينجو الا من
اتى الله بقلب سليم والسلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الامراض بل انما تنال
بالصحة المطلقة كما ان الحسن لا يحصل بحسن بعض الاعضاء ما لم يحسن جميع الاطراف

والنجاة في حسن الخلق قال النبي عم اثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وقال عم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقيل له ما الدين قال الخلق الحسن وقال حسن الخلق
خلق الله تعالى وقال افضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وقد كثرت الاقاويل
في بيان حقيقته وحده والاكثرون تعرضوا لبعض ثمراته ولم يحيطوا بالجميع تفصيلا
والذي يطلعك على حقيقته ان تعلم ان الخَلق والخُلق عبارتان فيراد بالخلق
الصورة الظاهرة وبالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد
يدرك بالبصر ومن روح ونفس تدرك بالبصيرة لا بالبصر ولكل واحد منهما هيئة
اما قبيحة واما حسنة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا ولذلك اضافه الله تعالى
الى نفسه واضاف البدن الى الطين فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي ووصف الروح بامر رباني فقال قل الروح من امر
ربي واعني بالروح والنفس هنا معنى واحدا وهو الجوهر العارف المدرك
من الانسان بالهام الله تعالى كما قال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها
قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وكما ان للحسن الظاهر اركانا كالعين والخد
والانف ولا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها فكذلك الصورة الباطنة لها اركان
لا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق وهي اربعة معان قوة العلم وقوة الغضب وقوة
الشهوة وقوة العدل

بين هذه القوى الثلث فاذا استوت هذه الاركان الاربعة واعتدلت وتناسقت
حصل حسن الخلق اما قوة العلم فاعتدالها وحسنها ان تصير بحيث يدرك بها الفرق
بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل
والقبيح في الاعمال فاذا انحصلت هذه القوة كذلك حصلت منها ثمرة الحكمة وهي
راس الفضائل قال الله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر
الا اولوا الالباب واما قوة الغضب فاعتدالها ان تحصل انقباضها وانبساطها
على موجب اشارة الحكمة والشرع وكذلك قوة الشهوة واما قوة العدل فهي في
ضبط قوة الغضب وقوة الشهوة تحت اشارة الدين والعقل فالعقل منزلته
منزلة الناصح وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة
العقل والغضب والشهوة وهما اللذان تنفذ بهما الاشارة وهما كالكلب والفرس
للصايد فان حسن بعض منه دون بعض كان كما لو حسن بعض اعضاء الوجه
فلا يطلق اسم الحسن له الا لو احسن الجميع واعتدل فاذا حسنت واعتدلت
انشعب منه جميع الاخلاق المحمودة واما قوة الغضب فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة
والله تعالى يحب الشجاعة وان مالت الى طرف الزيادة سميت تهورا وان مالت
الى النقصان سمي جبنا وتتشعب من اعتدالها خلق الكرم والنجدة والشهامة

والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتؤدة واما افراطها فيحصل منه
خلق التهور والصلف والبذخ والاستشاطة والكبر والعجب واما تفريطها
فيحصل منه الجبن والمهانة والذلة والخساسة وعدم الغيرة وضعف الحمية على
الاهل وصغر النفس واما الشهوة فيعبر عن اعتدالها بالعفة وعن افراطها
بالشره وعن تفريطها وضعفها بالجمود فيصدر من العفة الحياء والسخاء
والصبر والسماح والقناعة والورع والمساعدة والظرف وقلة الطمع ويصدر
عن افراطها الحرص والشره والوقاحة والتبذير والتقتير والرياء والهتكة
والمجانة والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء
وغير ذلك واما قوة العقل فيصدر من اعتدالها حسن التدبير وجودة الذهن
وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفس
واما افراطها فيحصل منه الجربزة والدهاء والمكر والخداع ويحصل من تفريطها
البله والحمق والغمارة والبلادة والانخداع فهذه هي روابط الاخلاق
وانما معنى حسن الخلق في الجميع وسط بين الافراط والتفريط فخير الامور
اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم ولذلك قال الله عز وجل ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا
الآية

وقال تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم ومهما مال واحد من هذه الجملة الى الافراط
والتفريط فبعد لا يكمل حسن الخلق **فصل** طريق اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة
والرياضة ونعني بالمجاهدة ان تكلف الصفة المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها فتعمل
بنقيض موجبها فان غلب البخل فلا تزال تتكلف البذل بالمجهود وتداوم عليه مرة بعد اخرى
حتى يسهل عليك البذل في محله فان غلب التبذير فلا تزال تتكلف الامساك حتى يصير عادة
عليك الامساك في محله وكذلك في خلق الكبر وسائر الاخلاق وقد ذكرناه في كتاب رياضة
النفس على التفصيل فينبغي ان تعلم ان من يبذل تكلفا فليس بسخي وان من يتواضع
تكلفا وهو ثقيل على نفسه فهو عاطل عن خلق التواضع بل الخلق عبارة عن هيئة النفس
يصدر عنها الفعل بسهولة من غير روية وتكلف لكن التكلف هو طريق تحصيل
الخلق فانه لا يزال يتكلف اولا حتى يصير ذلك طبعا وعادة فيفهم من هذا ان البخيل
قد يبذل والسخي قد يمسك فلا ينظر الى الفعل بل الى الهيئة الراسخة التي تصدر منها الافعال
بيسر من غير تكلف واعلم ان تفاوت الناس في الحسن الباطن كتفاوتهم في الحسن
الظاهر ولن يبلغ الحسن المطلق الا على الندور وانما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اثنى الله تعالى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم وليس النجاة موقوفة على الكمال البالغ
لكن على ان يكون الميل الى الحسن اكثر فان القبيح المطلق في الظاهر ممقوت والحسن المطلق
معشوق

وما بينهما متفاوت درجات فالقريب من الحسن المطلق اسعد في الدنيا من القريب الى القبيح المطلق
وكذلك تتفاوت سعادة الآخرة بحسب تفاوت حسن الصورة الباطنة **فصل**
اعلم انك قد تظن بنفسك حسن الخلق وانت عاطل عنه فاياك ان تغتر وينبغي ان
تحكم فيه غيرك فتسأل عنه صديقا بصيرا لا يداهنك وبالجملة اذا نبهك غيرك الى
سوء الخلق اوشك ان تكون كذلك لان اكثر الاخلاق يتعلق بالغير فينبغي ان تظهر
لهم ومن مواقع الغرور فيه مثلا ان تغضب فتظن انك تغضب لله تعالى وتظهر
العبادة وتظن انك تظهر الاقتداء وتكف عن الاكل وعن طلب الدنيا وتكظم
الغيظ وانما يهون عليك ذلك ان تعرف به فيكون الرياء هو الباعث على الجميع
وكذلك تكثر مواقع الغرور فيه على ما ذكرناه في كتاب الغرور فان هذا الكتاب
لا يحتمل استقصاءه **فصل** ينبغي ان تعتقد هذه الاخلاق من قلبك وتبدأ
بالاهم وتقبل على اغلب هذه الصفات فتكسرها على التدريج واظن ان الاغلب عليك
حب الدنيا وسائر المعاصي والاخلاق المذمومة تتبعها ولا يمكنك الخلاص من حب
الدنيا الا بان تطلب خلوة خالية وتتفكر في سبب اقبالك على الدنيا واعراضك عن
الآخرة فلا تجد له سببا الا الجهل المحض والغفلة فان اقصى عمرك في الدنيا مائة سنة
فهب ان مملكة وجه الارض قد سلم لك من الشرق والغرب مائة سنة البس نفسك

بها المملكة في مدة لا آخر لها وهي مملكة الآخرة فان كان لابد في خيالك طول الابد
فقدر الدنيا كلها مملوة ذرا وقدر طائرا ياخذ في كل الف الف سنة حبة واحدة
فتفنى الذرة ولم ينقص من الابد شيء لان الباقي ايضا لا نهاية له كما كان قبل ذلك
فانت ترى نفسك ترضى بتعب الاسفار اما في تجارة او طلب رياسة وهذا التعب
الناجز لاجل شيء موهوم ربما يدركك الموت قبله وربما لا يصفو لك ان ظفرت به
وانما تريد ذلك لانك تستحقر التعب سنة مثلا بالاضافة الى بقية العمر وجملة عمرك
بالاضافة الى الابد اقل من سنة بالاضافة الى عمرك بل لا اضافة بينهما فتفكر
فيه لينكشف لك جهلك على القرب ولعلك تقول انما افعل ذلك على توقع العفو
فان الله تعالى كريم رحيم فاقول فلم لا تترك الحراثة والتجارة وطلب المال على توقع
العثور على كنز في خراب فان الله كريم لا ينقص من ملكه شيء لو عرفك في منامك
كنزا من الكنوز حتى تأخذه فان قلت ذلك نادر وان كان داخلا في قدرة الله تعالى
فاعلم ان توقع العفو مع خراب الاعمال والاخلاق كتوقع كنز في خراب
بل ابعد منه وانذر وقد تهكم الله سبحانه عليه فقال وان ليس للانسان الا ما سعى وقال
ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض وتعبك في طلب
المال فقال تعالى وما من دابة في الارض الآية فما بالك تكذب بكرمه في الدنيا ولا تتكل عليه

ثم تخدع نفسك بالكرم في الآخرة وانت تعلم ان رب الدنيا والآخرة واحد
فصل لعلك تقول عواقب امور الدنيا قد انكشفت لي بالعيان واطمان
قلبي اليها واما الآخرة فلم اشاهد ولست اجد التصديق الحقيقي في قلبي فلذلك
فترت رغبتي في ترك الدنيا نقدا بما هو موعود نسيئة ولست اثق به فاقول
لو كنت من ارباب البصائر لانكشف لك امر الآخرة صريحا كما انكشف امر الدنيا
ولو لم تكن من اهل فتفكر في اقاويل ارباب البصائر فان الناس في امر الآخرة اربعة
اصناف صنف اثبتوا الجنة والنار كما وردت به القرآن وقد سمعت انواع نعيمها وانكال
جحيمها وصنف لم يثبتوا اللذات والآلام الحسية بل اثبتوها على سبيل التخيل كما
في المنام حتى يكون لكل واحد من جنة او نار يراها وحده وزعموا ان تاثير ذلك
فيه كتاثير الحقيقة لان تالم النائم كتالم اليقظان وانما يخلص عنه بالتنبه وذلك في
الآخرة دائم لا انقطاع له وصنف ثالث اثبتوا آلاما عقلية ولذات عقلية و
زعموا ان ذلك اعظم من الحسية ومثلوا ذلك باشتغال لذة الملك واستشعار
زوالها فان زوال الملك يؤثر آلاما كثيرة بدنية على ما يظفر به عدوه وياخذ
مملكته ويتبجح مع ان ظفر العدو لا يؤلم البدن وهؤلاء هم اصناف النظار اعني
الاصناف الثلثة وفيهم الاولياء والانبياء والحكماء وكلهم اتفقوا على اثبات
سعادة مؤبدة وشقاوة مؤبدة

وان السعادة لا تنال الا بترك الدنيا والاقبال على الله عز وجل ولو مرضت ولم تكن
من اهل البصيرة في الطب ورأيت افاضل الاطباء قد اتفقوا على شيء لم تتوقف
في اتباعهم وصنف رابع ليسوا من النظار في الامور الالهية بل من الاطباء والمنجمين
اقتصر نظرهم على الطبايع الاربع ومزاجها ورأوا قوام الروح موقوفا عليها ولم
يتفطنوا لحقيقة الروح الالهي الحقيقي الذي هو العارف بالله تعالى بل لم يدركوا
الا الروح الجسماني الذي هو بخار انفجر من حرارة القلب ينتشر في العروق الضوارب
الى جميع البدن فيقوم به الحس والحركة وهي الروح التي توجد للبهائم ايضا واما
الروح الخاص الانسي المنسوب الى الله سبحانه وتعالى حيث قال ونفخت فيه من روحي
فلم يتفطنوا له فظنوا ان الموت عدم وانه يرجع الى فساد المزاج وانت
في حق هؤلاء بين امرين اما ان تجوز غلطهم او تعلم قطعا صحة قولهم فان جوزت
خطأهم لزمك الاعراض عن الدنيا بمجرد الاحتمال فانك لو كنت صادق الجوع
وظفرت بطعام وهممت باكله فاخبرك صبي ان فيه سما وان حية ولغت فيه
فاسيت الجوع وتركت الاكل لانك تقول ان كان كاذبا فليس يفوتني الا لذة الاكل
وان كان صادقا ففيه الهلاك ومثل هذا الاحتمال لا يمكن الهجوم عليه فليت شعري
احتمال الخلود في النار كيف يسخر العقل الهجوم عليه وكيف لا يكون كاليقين
التام

في الحذر منه حتى تنبه الشاعر مع ركاكة عقله فقال رحمه الله تعالى عليه
زعم المنجم والطبيب كلاهما • لا تحشر الاموات قلت اليكما • ان صح قولكما فلست بخاسر •
وان صح قولي فالخسار عليكما • وان قلت اني اعلم ضرورة صدق هؤلاء
فان الموت عدم وانه لا عقاب ولا ثواب فان الانبياء والاولياء مغرورون
او ملبسون وانما الذي انكشف له حقيقة الحق هو الطبيب الجاهل وزعمت اني
اعلم ذلك كما اعلم ان الاثنين اكثر من واحد حتى لا يخالجني فيه ريب فيدل هذا
على فساد المزاج وركاكة العقل والبعد عن قبول العلاج لكن مع هذا
يقال لك ان كنت تطلب الراحة في الدنيا فقد يتقاضاك عقلك ايضا مجانبة
الشهوات وكسرها فان الراحة ايضا في الحرية والخلاص عن اسر الشهوات
لا في اتباعها فانها اذا تسلطت على النفس فهي آلام ناجزة تحمل النفس
على احتمال كل ذل ومشقة وما المستريح في الدنيا الا تاركها والزاهد
فيها واما طالبها فلا يزال منها في عناء فالمعطل ايضا ان عقل
قليلا ترك الدنيا لكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها فان
لم تكن في امر الآخرة على تخمين ولا من مشاهدة آفات الدنيا على يقين فما انت
الا من الحمقى المغرورين ولتعلمن نبأه بعد حين ولمثلك يقال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون
وصلى الله على محمد وآله اجمعين

القسم الرابع الاخلاق المحمودة وهي عشرة اصول

الاصل الاول التوبة فانها مبدا طريق السالكين ومفتاح سعادة
المريدين قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال وتوبوا الى
الله جميعا وقال صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن
لا ذنب له وقال عليه السلام لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في
ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها من طعامه وشرابه فوضع راسه
فنام نومة فاستيقظ وقد انفلتت (ذهبت) راحلته فطلبها حتى اشتد عليه
الجوع والعطش او ما شاء الله عز وجل قال ارجع الى المكان الذي كنت فيه
فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته
عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا
براحلته وزاده **فصل** حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الى
طريق القرب ولكن لها ركن ومبداء وكمال اما مبداؤها فهو الايمان
ومعناه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه ان الذنوب سموم
مهلكة فتشتعل منه نار الخوف والندم وينبعث من هذه النار صدق
الرغبة من التلافي والحذر اما في الحال فبترك الذنوب واما في الاستقبال فبالعزم
على الترك

والتدارك

واما في الماضي فبالتلافي على حسب الامكان وبذلك يحصل الكمال **فصل**
لو عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة على كل احد وفي كل حال ولذلك قال
الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا فخاطب الجميع مطلقا اما وجوبها فلان معناها معرفة
كون الذنوب مهلكة والانبعاث لتركها وهو جزء من الايمان اعني من المعرفة فكيف
لا يجب واما وجوبها على كل احد فهو ان الانسان مركب من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية
وربوبية حتى يصدر من البهيمية الشره والشهوة والفجور ومن السبعية الغضب والعداوة
والبغضاء ومن الشيطانية المكر والحيلة والخداع ومن الربوبية الكبر والعز وحب
المدح والاستيلاء واصول من الاخلاق هذه الاربع وقد عجنت في طينة الانسان
عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها وانما ينجو من ظلماتها بنور الايمان المستفاد من العقل
والشرع فاول ما يخلق في الادمي البهيمية فيغلب عليه الشره والشهوة في الصبا ثم يخلق
فيه السبعية فيغلب عليه المعاداة والمنافسة ثم يخلق فيه الشيطانية فيغلب عليه المكر والخداع
لانه تدعوه السبعية والبهيمية الى ان يستعمل كياسته في حيل قضاء الشهوة وتنفيذ الغضب
ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو ثم بعد ذلك
يخلق العقل الذي يظهر فيه نور الايمان وهو من حزب الله وجنود الملائكة وتلك
الصفات من جنود الشيطان وجنود العقل تكمل عند الاربعين ويبدو اصله عند البلوغ

واما سائر جنود الشياطين فيكون قد سبق الى القلب قبل البلوغ واستولى عليه
والفته النفس واسترسلت في الشهوات متابعة لها الى ان يرد نور العقل فيقوم
القتال والتطارد بينهما في معركة القلب فان ضعف جند العقل ونور الايمان
لم يقو على ازعاج جنود الشياطين فتبقى جنود الشيطان مستقرة آخرا كما سبق
الى النزول اولا وقد سلم للشيطان مملكة القلب وهذا القتال ضروري في فطرة
الادمي اذ لا يتسع خلقة الولد لما لا يتسع له خلقة الاب وانما حكى لكم حال آدم صلوات
لتنبيه ان ذلك مكتوب عليه وهو مكتوب على جميع اولاده في القضاء الازلي الذي
لا يقبل التبديل فاذا لا يستغني احد عن التوبة **فصل** واما وجوبها في كل حال
فلان الانسان لا يخلو في جميع احواله عن ذنب في جوارحه او في قلبه ولا يخلو عن خلق
من اخلاق الذميمة مما يجب تزكية القلب عنه فانه مبعد عن الله تعالى والاشتغال بازالته توبة
لانه رجوع عن طريق البعد الى طريق القرب فان خلا عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة
عن الله تعالى وذلك ايضا طريق البعد ويلزمه الرجوع عنه بالذكر ولذلك قال الله تعالى واذكر ربك
اذا نسيت فان كان حاضرا على الدوام وانى يتصور ذلك فلا يخلو عن ملازمة مقام نازل
عن المقامات الرفيعة وراءه وعليه ان يترقى الى ما فوقه ومهما ترقى منه استغفر من
مقامه الذي خلفه لانه تقصير بالاضافة الى ما ادركه وذلك لا نهاية له فلذلك قال عم

انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وكان ذلك توبة منه
الا ان توبة العوام عن الذنوب الظاهرة وتوبة الصالحين عن الاخلاق الذميمة الباطنة
وتوبة المتقين عن مواقع الريبة وتوبة المحبين عن الغفلة المنبهة للذكر وتوبة العارفين
عن الوقوف على مقام يتصور ان يكون وراءه مقام والمقامات في القرب من الله تعالى
لا نهاية لها وتوبة العارف لا نهاية لها ايضا **فصل** التوبة اذا اجتمعت شرائطها
فهو مقبول لا محالة ولا يخفى عليك ذلك ان فهمت معنى القبول فمعنى القبول ان يحصل في قلبك
استعداد القبول ليتجلى انوار المعرفة في قلبك وانما قلبك كالمرآة تحجبه عن التجلي كدورات
الشهوات والرغبة فيها ويرتفع من كل ذنب ظلمة الى القلب ومن كل حسنة نور الى القلب والحسنات
تصقل النفس ولذلك قال النبي عم اتبع السيئة الحسنة تمحها وللتوبة الى القلب نسبة الصابون
الى الثوب ولا بد ان يزول منه الوسخ لو استعمل فيه على وجهه ومن تاب فانما يشك في قبول التوبة
لانه ليس يتيقن تمام شروطها كما ان من شرب المسهل لا يتيقن حصول الاسهال به
لانه لا يدري وجود تمام الشرائط في ادويتها ولو تصور ان يعلم ذلك لتصور ان يعلم القبول
في حق الشخص المعين ولكن هذا الشك في الاعيان لا يشككنا في ان التوبة في نفسها بطريق
القبول لا محالة **فصل** علاج التوبة حل عقد الاصرار فانه لا مانع منها سوى الاصرار
ولا حامل عليه سوى الغفلة والشهوة وذلك مرض في القلب وعلاجه كعلاج امراض الابدان

لكن هذا المرض اكثر من مرض البدن لثلثة اسباب احدها انه مرض لا يعرف صاحبه انه
مريض وهو كبرص على وجه من لا مرآة له فانه لا يعالجه لانه لا يعرفه ولو اخبره غيره
ربما لم يصدقه الثاني ان عاقبة هذا المرض لم يشاهدها الانسان ولم يجربها فلا جرم
تراه يتكل على عفو الله ويجتهد في علاج مرض البدن غاية الجهد الثالث وهو الداء
العضال فقد الاطباء فان الطبيب هو العالم العامل فقد مرض العلماء في هذه الاعصار
مرضا عسر عليهم علاج انفسهم لان الداء المهلك هو حب الدنيا وغلب ذلك على العلماء
واضطروا الى الكف عن تحذير الخلق من الدنيا كيلا ينكشف فضيحتهم فافتضحوا لما
اصطلحوا على الاقبال على الدنيا والتجاذب لها والتكالب عليها وبهذا السبب
عم الداء وانقطع الدواء واشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم يصلحوا
لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا بل صار كل واحد منهم كصخرة في فم الوادي
لا هي تشرب ولا تترك الماء حتى يشرب به غيرها وجملة القول في علاجه ان تنظر في سبب الاصرار
وهو ترجع الى خمسة اسباب اولها ان العقاب الموعود ليس بنقد والطبع
يستهين بما لا يؤخذ محققا في الحال وعلاجه ان يتفكر لتعلم ان كل ما هو آت
قريب وان البعيد ما ليس بآت وان الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه لعله
في آخر ايامه او في آخر سنة من عمره ثم يتفكر انه كيف يتعب في الاسفار فيركب الاخطار

خوفا من الفقر في الاستقبال الثاني ان اللذات والشهوات اخذت بمخنقه في
الحال فليس يقدر على قلعها وعلاجه ان يتفكر انه لو ذكر له طبيب نصراني بان شرب
الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وهو الذ الاشياء عنده كيف يتركه
فليعلم ان الله تعالى ورسوله اصدق من الطبيب والخلود في النار اشد من الموت
بالمرض وليقدر على نفسه انه يشق عليه ترك اللذات اياما فلابد فكيف لا يشق
عليه ملابس النار والحرمان عن الفردوس ونعيمه ابد الدهر الثالث انه يسوف
بالتوبة يوما فيوما وعلاجه ان يتفكر ويعلم ان بنا خطر الشقا والشقاق
على ما ليس اليه جهل فمن اين يعلم انه يبقى الى ان يتوب واكثر صياح اهل النار
من التسويف لانهم سوفوا حتى فاجاهم مرض ساقهم الى الموت كيف وانما يسوف
لانه يعجز عن قمع الشهوة في الحال فان كان ينتظر يوما يسهل فيه قمع الشهوات
فهذا اليوم لم يخلق اصلا بل مثاله مثال امرء يريد ان يقلع شجرة عجز عنها لضعفه
وقوة رسوخ الشجرة فيؤخرها الى السنة القابلة وهو يعلم ان الشجرة تزداد
كل يوم رسوخا وقوته تزداد كل يوم قصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل
الرابع ان يعد نفسه بالكرم والعفو وذلك غاية الحمق اوردها الشيطان في معرض الدين
قال النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله تعالى

الخامس ان يكون العفو بالله شاكا في امر الآخرة وقد ذكرنا علاجه في خاتمة الاخلاق
الذميمة **فصل** التوبة عن الذنوب كلها مهمة واجبة وعن الكبائر اهم والاصرار
على الصغائر ايضا كبيرة فلا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار (مع رجوع واستغفار)
وتواتر الصغائر عظيم التأثير في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء
على حجر فانه يحدث فيه حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر وتعظم الصغيرة
باسباب احدها ان يستصغرها العبد ويتهاون بها فلا يغتم بسببها قال بعضهم
الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا الثاني السرور بها
والتبجح بسببها واعتقاد التمكن منها نعمة حتى ان المذنب ليفتخر فيقول اما رأيتني
كيف شتمته وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته في المعاملة وذلك عظيم التأثير في
تسويد القلب الثالث ان يتهاون بستر الله تعالى عليه ويظن ان ذلك كرامة عند الله
ولا يدري انه ممقوت فقد امهل ليزداد اثما فيكون في الدرك الاسفل من النار
الرابع ان يجاهر بالذنب ويظهره بعد فعله وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين
الخامس ان تصدر الصغيرة عن عالم يقتدى به وذلك عظيم لانه يبقى بعد موته فطوبى
لمن مات ومات معه ذنوبه ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
بها الى يوم القيمة وروي ان بعض علماء بني اسرائيل تاب عن ذنوبه وبدعته فاوحى الله الى نبي زمانه
ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار

وعلى الجملة فلا باعث على التوبة الا الخوف الصادر عن البصيرة والمعرفة فلنذكر
فضيلة الخوف **الاصل الثاني في الخوف** وقد جمع الله تعالى للخائفين الهدى
والرحمة والعلم والرضوان وناهيك بذلك فضلا فقال الله تعالى وهدى ورحمة
للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال عم رأس الحكمة مخافة الله
وقال من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله تعالى من كل شيء
وقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا
امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة
فصل اعلم ان حقيقة الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال
وقد يكون ذلك الخوف من جريان ذنوب وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة الله وصفاته التي توجب الخوف
لا محالة وهذا اكمل واتم لان من عرف الله خافه بالضرورة ولذلك قال تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء وقد اوحى الله تعالى الى داود عم خفني كما تخاف السبع الضاري
ولذلك قال النبي عم انا اخوفكم لله تعالى واعلم ان الواقع في مخالب السبع انما لا يخاف
اذا لم يعرف السبع فان علم ان من صفة السبع انه يهلكه ولا يبالي فان تركه لم يكن
لرقته عليه وشفقته فانه احقر عنده من ان يشفق عليه فلا بد من ان يخافه ولله المثل
الاعلى وهو العزيز الحكيم

ولكن من عرف انه لو اهلك الاولين والاخرين لم يبال ولم ينقص شيء من ملكه قل فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا وكم اهلك من
عباده في الدنيا وعرضهم لانواع العذاب ولم تأخذه رقة ولا شفقة فان ذلك جار
عليه فلا بد وان يخاف فمعرفة الجلال والعزة والاستغناء تورث الهيبة بالضرورة وهذا اكمل
انواع الخوف وافضلها **فصل** علاج الخوف وتحصيله على تبتبين احدهما معرفة
الله تعالى فانها توجب الخوف بالضرورة فان الواقع في مخالب السبع لا يحتاج الى علاج
ليخاف ان كان يعرف السبع ومن عرف جلال الله تعالى واستغنائه وانه خلق الجنة وخلق
لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وانه تمت كلمته بالسعادة والشقاوة في حق
كل احد صدقا وعدلا وان ذلك لا يتصور تغييره ولا يصرفه عن تنفيذ قضائه الازلي
صارف وهو لا يدري ما الذي سبق به القضاء في حقه ولا يدري ما الذي يختم له به
واحتمل عنده ان يكون مقضيا له بشقاوة الابد فهذا لا يتصور ان لا يخاف واما
من عجز عن حقيقة المعرفة فعلاجه النظر الى الخائفين ومشاهدة احوالهم و
سماع ذلك فان اخوف خلق الله الانبياء والاولياء والعلماء واهل البصيرة
واعظم الخلق امنا الغافلون الاغبياء الذين لا يمتد نظرهم الا الى السابقة ولا
الى الخاتمة ولا الى معرفة جلال الله تعالى كما ان الصبي لا يخاف الحية ما لم ينظر الى ابيه يخاف منها

٨٤

ويهرب منها وترتعد فرايصه لو رآها فينظر اليه فيقلده ويستشعر خوفه وان لم يعرف
بالحقيقة صفة الحية وقد قال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبرائيل عليه السلام قط الا وهو يرتعد
خوفا من النار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرائيل وميكائيل
فرقا
يبكيان فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان قالا يا رب ما نأمن مكرك فقال تعالى
هكذا كونا لا تأمنا مكري ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقيل لما
خلق الله تعالى النار طارت افئدة الملائكة عن اماكنها فلما خلق الله تعالى بني آدم عادت
وكان ازيز قلب ابرهيم عليه السلام يسمع في الصلوة من مسيرة ميل وبقي داود
اربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت الرعي من دموعه وقال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه لطاير ليتني مثلك يا طاير ولم اخلق وقال ابو ذر رضي الله عنه
وددت لو اني شجرة تعضد وقالت عائشة رضي الله عنها وددت لو اني كنت نسيا
تقطع
منسيا وقد حكينا احوال الخائفين في كتاب الخوف فليتأمل القاصر عن ذوق
المعرفة احوال الانبياء والاولياء والعارفين ليعلم انه احق بالخوف
منهم لو تأمل ذلك بالحقيقة غلب خوفه **فصل** الخوف سوط يسوق العبد
الى السعادة ولا ينبغي ان يفرط بحيث يورث القنوط فذلك مذموم بل
لو غلب بسبب ان يمنع الرجاء به نعم ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء ما دام العبد
مقارفا للذنوب

فاما المطيع المجرد لله تعالى ينبغي ان يعتدل خوفه ورجاؤه مثل عمر رضي الله عنه
حيث قال لو نودي ليدخل النار جميع الخلق الا رجل واحد لرجوت ان اكون
انا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة جميع الخلق الا رجل واحد لخفت ان اكون ذلك
واما الاقرب الموت فالرجاء وحسن الظن بربه اولى به والرجا يخالف التمني
فان من لا يتعاهد الارض ولا يبث البذر ثم ينتظر الزرع فهو متمني مغرور وليس
براج وانما الراجي من تعهد الارض وسقاها وبث البذر وحصل كل سبب يتعلق
باختياره ثم بقي يرجو ان يدفع الله الصواعق والقواطع والآفات الى ان يمكنه من الحصاد
بعد الانبات ولذلك قال عز وجل ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم وبالجملة فثمرة الرجاء
الترغيب في الطلب وثمرة الخوف الترغيب في الهرب ومن رجا شيئا طلبه ومن خاف
شيئا هرب منه واقل درجات الخوف ما يحمل على ترك الذنوب وعلى الاعراض عن الدنيا
وما لا يحمل على ذلك فهو حديث نفس وخواطر لا وزن لها تشبه رقة النساء
ولا ثمرة لها بل الخوف لفائدة ثمرة الزهد في الدنيا فلنذكر الزهد ومعناه

الاصل الثالث في الزهد

وقد قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال من كان

يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة
من نصيب وقال في حق قارون فخرج على قومه في زينته وقال الذين يريدون الحيوة الدنيا
يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا فبين ان الزهد من ثمرات العلم وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح
وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته في الدنيا الا
ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة
ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وعن معنى الشرح
قال النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل وهل لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال استحيوا من الله حق الحياء قيل
انا نستحيي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون وقيل من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة
قلبه وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام
وقال لا يكمل العبد حقيقة الايمان حتى ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء
احب اليه من كثرته وقال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب
نفسه وقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال من اراد
ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا فصل للزهد حقيقة واصل وثمرة

اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن قال سمعت ابا علي سعيد بن احمد
يقول سمعت ابي يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت
محمد بن الليث يقول سمعت حامد اللفاف يقول سمعت
حاتم الاصم يقول ما من صباح الا والشيطان يقول لي
ما تأكل وما تلبس واين تسكن فاقول له آكل الموت
والبس الكفن واسكن القبر
من كتاب الصوفية

سمعت ابا عبد الله بن يوسف الاصفهاني يقول سمعت ابا نصر
منصور بن احمد بن ابرهيم الفقيه يقول سمعت ابا محمد بن
نصير يقول روي عن حاتم الاصم انه قال من دخل في مذهبنا
هذا فليجعل في نفسه اربع خصال من الموت موتا ابيض
وهو الجوع وموتا اسود وهو احتمال الاذى من الخلق
وموتا احمر وهو العمل ومخالفة الهوى وموتا اخضر
وهو طرح الرقاع بعضها على بعض في كتاب الصوفية

وأما حقيقته فهو عزوف النفس عن الدنيا وانزواؤها عنها طوعاً مع القدرة عليها
وأصلها العلم والنور الذي يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر ويتضح فيه أن الآخرة خير
وأبقى وأن نسبة الدنيا إلى الآخرة أقل من نسبة خزفة إلى جوهرة وثمرتها القناعة من الدنيا
بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب فالأصل نور المعرفة فيثمر حال الانزواء ويظهر على الجوارح
بالكف إلا عن قدر الضرورة في زاد الطريق والضرورة من زاد الطريق مسكن وملبس ومطعم
وأثاث أما المطعم فله طول وعرض وأما طوله فبالإضافة إلى الزمان وأقصر درجات الاقتصار
على دفع الجوع في الحال فإذا دفع غرثه لم يدخر شيئاً للعشاء وأوسطه أن يدخر
لشهر إلى أربعين يوماً فقط وأدناه أن يدخر لسنة فإن جاوز ذلك خرج عن جميع
أبواب الزهد إلا أن لا يكون له كسب ولا يأخذ من الأيدي كداود الطائي فإنه ملك عشرين
ديناراً فأمسكها وقنع بها عشرين سنة فذلك لا يبطل مقام الزهد ودرجته في
الآخرة إلا عند من شرط التوكل في الزهد وأما عرضه فأقله نصف رطل وأوسطه
رطل وأعلاه مد والزيادة عليه تبطل رتبة الزهد وأما الجنس فأقله ما يقوت
ولو النخالة وأوسطه خبز الشعير وأعلاه خبز البر غير منخول فإن نخل فهو
تنعم لا زهد وأما الأدام فأقله الخل والبقل والملح وأوسطه الأدهان وأعلاه اللحم
وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن دام لم يكن صاحبه زاهداً قالت عائشة رضي

٨٢

كان يأتي أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله مصباح ولا نار وقيل
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر وأما الملبس فأقله
ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد وأعلاه قميص وسراويل ومنديل من الجنس الخشن
ويكون بحيث لو غسل ثوبه لم يجد غيره فإن كان صاحب قميصين لم يكن زاهداً وقال
أبو بردة أخرجت عائشة رضي الله عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وصلى رسول الله صلعم في خميصة لها علم فلما سلم
قال شغلني النظر إلى هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم وكان شراك نعله قد
خلق فأبدل بشراك جديد فلما سلم عن صلاته قال أعيدوا الشراك الخلق فإني نظرت
إليه في الصلاة وكان قد احتذى نعلين جديدين فأعجبه حسنهما فخر ساجداً
فقال أعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية أن يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول
مسكين رآه وقد عد في قميص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم
واشترى علي رضي الله عنه في خلافته ثوباً بثلاثة دراهم وقطع كميه من الرسغين
وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال بعضهم قومت ثوب سفيان ونعله بدرهم
ودانقين وقال علي رضي الله عنه إن الله عز وجل أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل
أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره وأما المسكن

واقصى

شهرا الى

واربعة دوانيق

فادناه ان يقنع بزاوية في مسجد او رباط كاهل الصفة واعلاه ان يطلب لنفسه
موضعا خاصا وهي حجرة اما بشراء او اجارة بشرط ان لا يزيد سعته على
قدر الحاجة ولا يرفع بناءه ولا يهتم بتجصيصه وفي الاثر ان من رفع بناءه فوق
ستة اذرع ناداه مناد الى اين يا افسق الفاسقين ومات رسول الله صلعم
ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا (بيتا من قصب) فقال ان الامر اعجل
من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتا من خص فقيل له لو بنيت فقال هذا
كثير لمن يموت وقال صلعم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة
وقال كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر او برد واما
اثاث البيت ففيه ايضا درجات وادناها حال عيسى عم اذ لم يكن معه الا مشط
وكوز فرأى انسانا يمتشط باصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب
بيديه فرمى الكوز واوسطه ان يعمل الجنس واحدا في كل غرض
ويجتهد ان يستعمل واحدا في اغراض وقال عمر رض لعمير بن سعد
وهو امير حمص ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل
بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها

واغسل رأسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي فما كان بعد
هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال صدقت وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار
ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا وكان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي ينام فيه وسادة من ادم حشوها ليف وعباءة خشنة
فهذه سيرة الزهاد في الدنيا فمن حرم هذه الرتبة فلا اقل من ان يتحسر على فواتها ويجتهد
ان يكون قربه منهم اكثر من قربه من المتنعمين في الدنيا **فصل** الزهد على درجات احدها
ان يزهد ونفسه مائلة الى الدنيا ولكن يجاهدها وهذا المتزهد وليس بزاهد ولكن بداية
الزهد التزهد الثانية ان ينفر نفسه عن الدنيا ولا تميل اليها لعلمه بان الجمع بينها
وبين نعيم الآخرة غير ممكن فتسمح نفسه بتركها كما تسمح نفس من يبذل درهما ليشتري
جوهرة وان كان الدرهم محبوبا عنده وهذا زهد ∴ الثالثة ان لا تميل نفسه
الى الدنيا ولا تنفر عنها بل يكون وجودها وعدمها عنده بمثابة واحدة ويكون
المال عنده كالماء وخزائن الله تعالى كالبحر فلم يلتفت قلبه اليه رغبة ونفورا
وهذا هو الاكمل لان الذي يبغض شيئا مشغول به كالذي يحبه ولذلك ذمت
الدنيا عند رابعة العدوية فقالت لولا قدرها في قلوبكم ما ذممتموها وحمل الى
عائشة رضي الله عنها مائة الف درهم فلم تنفر عنها ولكن فرقتها في يومها

لما بقي

فقالت لها خادمتها لو اشتريت بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لو ذكرتني
لفعلت فهذا هو الغني وهو اكمل من الزهد ولكنه مظنة غرور الحمقى اذ كل
مغرور يتشوق في نفسه ان لا علاقة لقلبه مع الدنيا وعلامة ذلك ان لا يدرك
الفرق بين ان يسرق جميع ماله او يسرق مال غيره فما دام يدرك التفرقة فهو
مشغول به **فصل** كمال الزهد هو الزهد في الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منصبا
فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيئا فقد عظم الدنيا اذ الدنيا عند ذوي
البصائر لا شيء وصاحبها كمن منعه عن دار الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة
خبز وشغله بها ودخل دار الملك وجلس على سرير الملك فالشيطان كلب على باب الله تعالى
والدنيا كلها اقل من لقمة بالاضافة الى الملك اذ اللقمة لها نسبة الى الملك
لفنيت بامثالها والاخرة لا يتصور ان يفنى بامثال الدنيا لانها لا نهاية لها
فصل الزهد باعتبار الباعث عليه على درجات احدها ان يكون باعثه الخوف
من النار وهذا زهد الخائفين الثانية وهي اعلا منه ان يكون باعثه الرغبة
في نعيم الاخرة وهذا زهد الراجين والعبادة على الرجاء افضل منها عنها
على الخوف لان الرجاء يقتضي المحبة الثالثة وهي اعلاها ان يكون الباعث
عليه التنزه عن الالتفات الى ما سوى الحق تعالى تنزيها للنفس عنه واستحقارا
لما سوى الله تعالى

وهذا زهد العارفين وهو الزهد المحقق وما قبله معاملة اذ ينزل صاحبها
عن شيء عاجلا ليعتاض عنه اضعافه آجلا **فصل** الزهد باعتبار ما فيه
من الزهد على درجات وكماله الزهد في كل ما سوى الله تعالى في الدنيا والاخرة
ودونه الزهد في الدنيا خاصة دون الاخرة ثم يدخل فيه كل ما فيه حظ وتمتع في الدنيا
من مال او جاه او تنعم ودون ذلك ان يزهد في المال دون الجاه او في بعض الدنيا
دون البعض وهو ضعيف لان الجاه الذ واشهى من المال فالزهد فيه اهم **فصل**
الزهد ان تزوى عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها اما ان انزوت عنك
وانت راغب فيها فذلك فقر وليس بزهد ولكن للفقر ايضا فضل على الغني لانه منع
عن التمتع بالدنيا فهذا هو الافضل ممن مكن من الدنيا والتمتع بها حتى الفها
واطمأن اليها ولم يتجاف قلبه عنها فيعظم الالم والحسرة عند الموت وتكون الدنيا
كانها جنته ويكون كانها سجن الفقير اذ ينتهي الخلاص من آلامها والفقر من
اسباب السعادة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده عن الدنيا وهو يحبه
كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وقال يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائها
بخمسمائة عام وقال خير هذه الامة فقراؤها وقال اذا رايت الفقر مقبلا
فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته

وقال موسى عم يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير
واعلم ان الفقير ان كان قانعا بما اعطي غير شديد الحرص على الطلب فدرجته قريب من درجة
الزاهد قال صلعم طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم
الفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى وقال احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع واوحى الله
الى اسمعيل صلوات الله عليه وسلم اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء
الصادقون وعلى الجملة انما يعظم ثواب الفقر عند القناعة والصبر والرضاء والصبر على الفقر
مبداء الزهد ولا تتم هذه المقامات الا بالصبر فلنذكره **الاصل الرابع في الصبر**
قال الله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال
عز من قائل اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال تعالى ولنجزين الذين
صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا
وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وذكر الله تعالى في القران الصبر في نيف وسبعين
موضعا وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر
ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة
وسئل مرة عن الايمان فقال هو الصبر وقال عيسى ع انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون
فصل حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وهو من خاصية الادمي

الصبراء ع

الذي هو مركب من شعبة ملكية وبهيمية لان البهيمية لم تتسلط عليها الا دواعي الشهوة والملائكة
لم يتسلط عليهم الشهوة بل جرد للشوق الى مطالعة جمال الحضرة الربوبية والابتهاج
بدرجة القرب منها فهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون فلم يتسلط فيهم داعية الشهوة
فلم يتصور الصبر لملك ولا لبهيمة بل الانسان تسلط عليه جندان يتطاردان احدهما
من حزب الله تعالى وملائكته وهو العقل وبواعثه والثاني من جنود الشياطين وهي الشهوة
ودواعيها وبعد البلوغ تظهر بواعث الدين والعقل اد يحمل على النظر الى العواقب
ويتحدى بقتال جند الشيطان فان ثبت باعث الدين في مقابلة باعث الهوى
حتى غلبه فقد حصل مقام الصبر اذ لا يتصور الصبر الا عند تعارض الباعثين على التناقض
وذلك كالصبر على شرب الدواء البشع اذ يدعو اليه داعي العقل ويمتنع منه
داعي الشهوة وكل من غلبته شهوته لم يقدم عليه ومن غلب عقله شهوته فصبر على مرارته
ينال الشفاء وشطر الايمان انما يتم بالصبر لان جملة اعمال الايمان على خلاف
باعث الشهوة فلا يتم الا بثبات باعث الدين في مقابلته ولذلك قال الصوم نصف
الصبر لان الصبر ثباتان في مقابلة داعي الشهوة وثان في مقابلة داعي الغضب
والصوم هو كسر لداعية الشهوة **فصل** الصبر ثلاث درجات بحسب ضعفه وقوته
الدرجة العليا ان تقمع داعية الهوى بالكلية حتى لا تبقى لها قوة المنازعة

ويتوصل اليها بدوام الصبر وطول المجاهدة وذلك من الذين قيل لهم ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا واياهم ينادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك راضية مرضية الدرجة الثانية ان تقوى داعية الهوى وتسقط منازعة
باعث الدين ويغلب الهوى ويسلم القلب الى جند الشيطان وذلك من الذين قيل فيهم
ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وعلامته شيئان
احدهما ان يقول انا مشتاق الى التوبة ولكن تعذرت علي فلست اطمع فيها
فهذا هو القانط وهو الهالك الثاني انه لا يبقى فيه شوق الى التوبة ولكن
يقول الله كريم رحيم وهو مستغن عن توبتي فلا تضيق الجنة الواسعة والمغفرة
الشاملة عني وهذا المسكين قد صار عقله اسير شهوته فلا يستعمل الا
الا في استنباط حيل الشهوة فصار عقله كالمسلم الاسير بين الكفار وهم يستخدمونه
في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها على العنق والظهر الى بيوتهم
فانظر كيف يكون حال العبد اذا اخذه اعداء اولاد الملك وسلمه الى اخس اعدائه
حتى استرقه واستسخره وفي مثل حاله يكون قدوم هذا الغافل المنهمك
على الله نعوذ بالله تعالى منه الدرجة الوسطى ان لا يفتر على المجاهدة ولكن
يكون الحرب بينهما سجالا تارة له اليد وتارة عليه اليد وهذا من المجاهدين

ازدواد الا بالتوبة

الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا الآية وعلامة هذا ان يترك من الشهوات
ما هو ضعيف ويعجز عما هو اغلب وربما يغلبها في بعض الاوقات دون بعض
وهو في جميع الاحوال متحسر على عجزه ومتشمر للمعاودة الى مجاهدته وقتاله وذلك
هو الجهاد الاكبر ومهما اتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وبالجملة فقد قصر عن
البهيمة انسي لم يقاوم بقوة عقله شهوته وقد ابد بالعقل وحرم عنه البهيمة
ولذلك قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل فصل اعلم ان الحاجة الى الصبر عامة في جميع
الاحوال لان جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو عن نوعين فانه اما ان يوافق هواه او يخالفه
فان وافق هواه كالصحة والسلامة والثروة والجاه وكثرة العشيرة فما احوجه الى الصبر عليها
فانه ان لم يضبط نفسه طغى واسترسل في التنعم واتباع الهوى ونسي المبدأ والمنتهى
ولذلك قال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة
السراء فلم نصبر ولذلك قيل يصبر على البلاء كل مؤمن ولا يصبر على العافية الا صديق ومعنى
الصبر فيها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك وديعة عنده تسترجع على القرب وان لا ينهمك في الغفلة
والتنعم ويؤدي حق شكر النعمة وذلك مما يطول شرحه النوع الثاني ما يخالف الهوى وذلك اربعة
اقسام الاول الطاعات والنفس تنفر عن بعضها بحكم الكسل كالصلوة وعن بعضها بالبخل
كالزكوة وعن بعضها بهما جميعا كالحج والجهاد والصبر على الطاعات من اشد ما يحتاج المطيع
الى الصبر في ثلثة احوال

احدهما اول العبادة بتصحيح الاخلاص والصبر عن شوايب الرياء ومكايد الشيطان ومكايد النفس
وغرورها الثانية حالة العمل كيلا يتكاسل عن تحقيق ادابه بفروضه وسننه ويدوم على شرط الادب
مع حضور القلب ونفي الوسواس الثالثة بعد الفراغ وهو ان يصبر عن ذكره وافشائه للتظاهر به رياء
وسمعة وكل ذلك من الصبر الشديد على النفس القسم الثاني في المعاصي وقد قال صلى الله عليه وسلم
المجاهد من جاهد هواه والمهاجر من هجر السوء والصبر على المعاصي اشد لا سيما عن معصية
صارت عادة مالوفة اذ يتظاهر فيه على بواعث الدين جندان جند الهوى وجند العادة
فان انضم الى ذلك سهولة فعله وخفة المؤنة فيه لم يصبر عنها الا الصديقون وذلك كمعاصي اللسان
فانها هينة سهلة وذلك كالغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس ويحتاج في دفع ذلك
الى اشد انواع الصبر القسم الثالث ما لا يرتبط باختيار العبد ولكن له اختيار في دفعه
وتداركه كالاذى الذي يناله من غيره بيدا ولسانا فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة
يجب وتارة يستحب وقال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى
وقال الله عز وجل ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى
ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين القسم الرابع ما لا يدخل اوله وآخره تحت الاختيار
كالمصائب بموت الاعزة وهلاك الاموال والمرض وذهاب بعض الاعضاء وساير انواع البلاء

الصبر عليه من اعلى المقامات قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القران على ثلاث مقامات
صبر على اداء الفرايض وله ثلثماية درجة وصبر على محارم الله وله ستماية درجة
وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى وله تسعماية درجة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما
خيرا من دمه فان ابرأته ابرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال اذا وجهت
الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة
ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلعم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال
من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك فقد عرفت انك
لا تستغني عن الصبر في جميع اوقاتك وبه يظهر انه شطر الايمان وشطره الآخر فيما
يتعلق بالاعمال وهو الشكر وقد قال صلعم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
وهذا باعتبار النظر الى الاعمال والتعبير بالايمان عنها **الاصل الخامس الشكر**
وقد قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال لئن شكرتم لازيدنكم وقال
واشكروا لي ولا تكفرون وقال وسيجزي الله الشاكرين وقال ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وقال النبي صلى الله عليه وسلم للطاعم الشاكر منزلة الصائم
الصابر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي في تهجده فقالت عائشة رضي الله عنها

وما يبكيك فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
وقال ينادي يوم القيمة ليقم الحامدون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون
الجنة قيل ومن الحامدون قال هم الذين يشكرون الله على كل حال وقال الحمد رداء
الرحمن **فصل** اعلم ان الشكر من المقامات العالية وهو اعلى من الصبر والخوف والزهد وجميع
المقامات التي سبق ذكرها لانها ليست مقصودة في انفسها وانما تراد لغيرها فالصبر
يراد منه قهر الهوى والخوف سوط يسوق الخائف الى المقامات المقصودة المحمودة
والزهد هرب من العلائق الشاغلة عن ذكر الله تعالى واما الشكر فمقصود في نفسه
ولذلك لا ينقطع في الجنة وليس فيها توبة ولا خوف ولا صبر ولا زهد والشكر دائم
في الجنة ولذلك قال الله تعالى وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وتعرف ذلك بان
تعرف حقيقة الشكر وانه ينتظم من علم وحال وعمل اما العلم فهو الاصل
فيثمر الحال والحال تثمر العمل فهذه ثلثة اركان الاول العلم بالنعمة والمنعم
بان النعم كلها من الله تعالى وهو المتفرد بجميعها والوسايط كلهم مسخرون
مقهورون وهذه المعرفة وراء التقديس والتفريد فانهما داخلان فيه بل
الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرفت ذاتا مقدسة
وعرفت انه لا مقدس الا واحد فهو التوحيد ثم اذا علمت ان كل ما في العالم

من ذلك الواحد والكل نعمة منه خاصة فهو الحمد والى هذا الترتيب الاشارة بقوله عليه السلام
من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله
فله ثلثون حسنة وهذا لان التقديس والتوحيد داخلان في الحمد وزيادة الدرجات وهذه
بازاء هذه المعارف واما ذكر اللسان ففضلها بحسب صدورها عن المعرفة او
تجديدها للاعتقاد في القلب فان آلة الفم آلة لازالة الغفلة ينمحي اثرهما واعلم
انك اذا اعتقدت ان لغير الله دخلا في النعمة الواصلة اليك لم يصح حمدك ولم
يتم معرفتك وشكرك وكنت كمن يخلع عليه الملك وهو يرى ان لعناية الوزير
دخلا في خلعة الملك وفي ايصالها اليه او في تيسيرها وكل ذلك اشراك
في النعمة ويتوزع فرحك في النعمة عليهما نعم لو رايت الخلعة الواصلة اليك بتوقيع الملك
بقلمه فذلك لا ينقص من شكرك لانك تعلم ان القلم مسخر له لا دخل له في النعمة بنفسه ولذلك لا يلتفت
قلبك الى الفرح بالقلم والشكر وكذلك لا يلتفت الى الخازن والوكيل لانه يعلم انهما مضطران
الى العطاء بعد الامر مسخران لا مدخل لهما بانفسهما في النعمة فكذلك من انفتح بصيرته علم ان الشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامر الله تعالى كالقلم والخازن في التوقيع فان قلوب الخلق خزاين الله تعالى ومفاتحها بيد الله عز وجل
فيفتحها بان يسلط عليها دواعي جازمة حتى يعتقد ان خيرتها في البذل مثلا وعند ذلك لا تستطيع
ترك البذل فيكون مضطرا الى الاختيار لما سلط عليه من دواعي الاختيار فانه لا يعطيك احد شيئا

الا لغرض نفسه ليستفيد به في الآجل ثوابا او في العاجل ثناء وذكرا او غير ذلك وما لم يعلم ان منفعته في منفعتك
فلا يعطيك فاذا ليس هو منعما عليك اذ يبتغي انما المنعم عليك من سخره بتسليط هذه الدواعي عليها
وقذف في نفسه ان غرضه منوط بالاداء والانعام فان عرفت الامور كذلك كنت موحدا وتصور منك الشكر
بل بهذه المعرفة وهو عين الشكر قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت
فكيف شكرك قال علم ان ذلك مني فكانت معرفته ذلك شكرا الركن الثاني الحال المستمرة من المعرفة
وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والاجلال ومن يرسل اليه بعض الملوك فرسا فيتصور
ان يفرح به لثلثة اوجه احدها من حيث انه ينتفع بالفرس والثاني من حيث يستدل به على عناية الملك بشانه
والثالث انه سينعم عليه بما هو اعظم منه ومن حيث ان الفرس يكون مركبا له حتى يسافر الى حضرة الملك ويخدمه
والاول ليس من الشكر في شيء فانه فرح بالنعمة لا بالمنعم والثاني داخل في الشكر شيئا لكنه ضعيف بالاضافة
الى الثالث فكمال الشكر ان يفرح بما يفتح الله تعالى من نعمه لا بالنعمة من حيث هي نعمة بل بها من حيث انها
وسيلة اذ بنعمته تتم الصالحات وعلامة هذا ان لا يفرح بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله بل يغتم
بها بما زوى الله عنه من شغل الدنيا وفضولها وهذا الكمال الشاكر فمن لم يستطع فعليه بالحال
واما الاول ففرح بالنعمة لا بالمنعم وليس ذلك من الشكر في شيء الركن الثالث العمل وذلك
بان يستعمل نعمه في محابه لا في معاصيه وهذا لا يقوم به الا من عرف حكمة الله في جميع خلقه
وانه لماذا خلق كل شيء وشرح ذلك يطول ومنه طرف وقد ذكرنا في الاحياء مثلا وجعلنا من ان يبتلى عينيه نعم فشكرهما ان يستعملهما في مطالعة كتاب الله وكتب العلم ومطالعة السموات

ليعتبر بها ويعظم خالقها وان يستر كل عورة يراها من المسلمين ويستعمل اذنه في سماع الذكر
وما ينفعه في الآخرة ويعرض عن الاصغاء الى الهجر والفضول ويستعمل اللسان في ذكر الله تعالى
كلام الفحش
والحمد في اظهار الشكر منه دون الشكوى ومن سئل عن حاله فشكا فهو عاص لانه شكى من
الملك الى عبد ذليل لا يقدر على شيء فان شكر فهو مطيع واما شكر القلب فاستعماله في الفكر
والذكر والمعرفة واضمار الخير للخلق وحسن النية **فصل** اعلم انه انما يتمكن من كمال الشكر
من شرح الله صدره فهو على نور من ربه يرى من كل شيء حكمته وان سره محجوب الله فيه ومن لم ينكشف
له ذلك فعليه باتباع السنة وحدود الشرع ففيها اسرار الشكر وليعلم انه لو نظر الى
غير محرم مثلا فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس وكل نعمة لا يتم النظر اليها الا بها فان الابصار
انما يتم بالعين وبالشمس ونور الشمس انما يتم بالسموات فكانه كفر نعمة الله في السموات والارضين
وقس على هذا كل معصية فانها انما تتمكن باسباب يستدعي وجود جميعها خلق السموات
والارض ولهذا غور عميق اشرنا اليه في كتاب الشكر من كتاب احياء العلوم ويكفيك ههنا
مثال واحد وهو ان الله تعالى خلق الدراهم والدنانير لتكون حاكمة في الاموال كلها بعدل
وتساوى في الاحوال
بها القيم ولولاها لتعذرت المعاملات اذ لا يدري كيف يشترى الثياب بالزعفران
والدواب بالاطعمة فانها لا مناسبة بينهما وانما يشترك كان في روح المالية
ومقدار معيار رواجها هو النقدان فمن كنزهما كان كمن كنز حاكما من حكام
المسلمين

ويحرانته

حتى تعطلت الاحكام ومن اخذ منهما آنية كان كمن استعمل حاكما من حكام المسلمين
في الحياكة والفلاحة التي يقدر عليها كل احد حتى يتعطل الحكم وذلك اشد من الحبس
ومن ادّخر فيهما وجعلهما مقصد تجارته ومصارفته بنير جيدهما ورديهما
كان كمن شغل الحاكم عن الحكم واتخذ سخرة لنفسه يحتطب له ويحتش ويكتسب له القوت
وكل ذلك ظلم وتغيير لحكم الله عز وجل في خلقه وعباده معاذ الله تعالى في محابته ومن لا يكشف
له بنور البصيرة هذه الاسرار عرف على لسان الشرع صورته دون معناه وقيل الذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون
وقيل من شرب في اناء من ذهب او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وقيل الذين يأكلون
الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس الآية فالصالحون
يقفون على الحدود ولا يعرفون الاسرار والعارفون المطلعون على الاسرار بانفسهم
وشاهدوا شواهد الشرع ازدادوا نورا على نور والعميان الجاهلون يحرمون
الوقوف على الحدود والعثور على الاسرار جميعا فلاهم كعبيد انقياد ولا كاحرار
كرم وهم الذين قال فيهم ولكن حق القول مني لاملان جهنم الآية وقال الله افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق الآية وقال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
الى قوله فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى

94

وايا الله حكمته في خلقه وقد القينت الى الخلق على لسان الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين
كما فصلت في جملة الشريعة من اولها الى آخرها وما من حد من حدود الشرع الا وفيه
سر وخاصية وحكمة يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهلها وشرح ذلك يطول
فليطلب من كتاب الشكر ولا يتصور تمام الشكر الا ممن قام لله تعالى وحده مخلصا لا رغبة
فيه لغيره تعالى فلنذكر الاخلاص والصدق الاصل السادس الاخلاص
اعلم ان للاخلاص حقيقة واصلا وكمالا فهذه ثلثة اركان واصله النية اذ فيها
الاخلاص وحقيقته نفي الشوب عن النية وكماله الصدق اكركن الاول النية وقد قال
الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه ومعنى النية
ارادة وجهه وقد قال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات الحديث وقال ان الملائكة
ترفع صحيفة عمل العبد فيقول الله تعالى القوها فانه لا يريد بها وجهي واكتبوا له كذا
وكذا فيقول الملائكة انه لم يعمل منها شيئا فيقول الله تعالى انه نواه وقد قال عم
الناس اربعة رجل آتاه علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني
الله ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل آتاه مالا ولم يؤته علما
فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في
الوزر سواء وقال من غزا ولم ينو الا عقالا فله ما نوى ويقال ان رجلا في
بني اسرائيل

مرّ بكثبان من رمل في ايام قحط فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس
فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله قد قبل صدقتك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان
طعاما فتصدقت به وقال عم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
فقيل ما بال المقتول فقال لانه اراد قتل صاحبه وقال من تزوج امراة على صداق
وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق
فصل حقيقة النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة وبيانه
ان جميع اعمالك لا يصح الا بقدرة وارادة وعلم والعلم يهيج الارادة والارادة باعثة
للقدرة والقدرة خادمة الارادة بتحريك الاعضاء مثاله انه خلق فيك شهوة الطعام
الا انها قد تكون فيك راكدة كانها نائمة فاذا وقع بصرك على طعام حصلت المعرفة
بالطعام فانتهضت الشهوة للطعام فامتدت اليد اليه وانما امتدت بالقوة التي
فيها المطيعة لاشارة الشهوة فانتهضت الشهوة لحصول المعرفة المستفادة من طليعة الحس وكما خلق
فيك شهوة الى الاشياء الحاضرة خلق فيك ايضا ميل اللذات الآجلة ينهض
ذلك الميل باشارة المعرفة الحاصلة من العقل والقدرة ايضا تخدم هذا الميل بتحريك
الاعضاء فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة والذي يغزو قد يكون
الباعث له ميل الى المال فذلك نيته وقد يكون الباعث ميل الى ثواب الآخرة فذلك نيته فاذا

النية عبارة عن الارادة الباعثة ومعنى اخلاصها تصفية الباعث عن الشوب
فصل اذا حصل العمل بباعث النية فالنية والعمل بهما تمام العبادة
فالنية احد جزئي العبادة لكنها خير الجزئين لان الاعمال بالجوارح ليست مرادة
الا لتاثيرها في القلب ليميل الى الخير وينفر عن الشر فيتفرغ للفكر والذكر الموصلين
له الى الانس والمعرفة الذين هما سبب سعادته في الآخرة فليس المقصود من وضع الجبهة
على الارض وضع الجبهة على الارض بل خضوع القلب ولكن القلب يتاثر باعمال الجوارح
وليس المقصود من الزكوة ازالة الملك بل ازالة رذيلة البخل وهو قطع علاقة القلب
عن المال وليس المقصود من الاضحية لحومها ولا دماؤها ولكن استشعار القلب
للتقوى بتعظيم شعائر الله تعالى والنية عبارة عن نفس ميل القلب الى الخير فهو متمكن من
حدقة المقصود فهو خير من عمل الجوارح الذي انما يراد منه سراية اثره الى المحل
المقصود وهو القلب ولذلك يورث جميع اعمال القلب ومن الجوارح فيه اثرا وعمل
دون حضور القلب هباء ولا اثر له ومهما قصد معالجة المعدة فما يصل من الادوية
بالشرب اليها انفع لا محالة مما يطلى به ظاهر المعدة ليسري اليها اثره ولذلك
لو لم يسر اثر الطلاء الى المعدة كان باطلا وبهذا التحقيق يعرف سر قوله عليه السلام
نية المؤمن خير من عمله **فصل** اذا عرفت فضل النية وانها تحل حدقة المقصود

الصدر

فيوثر فيها فاجتهد ان تستكثر من النية في جميع اعمالك حتى تنوي بعمل واحد نيات كثيرة
ولو صدقت رغبتك هديت لطريقه ويكفيك مثال واحد هو ان الدخول في المسجد
والقعود فيه عبادة ويمكن ان تنوي فيه ثمانية امور اولها ان تعتقد انه بيت الله تعالى
وان داخله زائر الله تعالى فينوي ذلك قال عم من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى فحق
على المزور اكرام زائره وثانيها نية المرابطة لقوله تعالى وصابروا ورابطوا
وقيل معناه انتظار الصلوة بعد الصلوة وثالثها الاعتكاف ومعناه كف السمع
والبصر والاعضاء عن الحركات المعتادة فانه نوع صوم قال عم رهبانية امتي القعود
في المساجد ورابعها الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر للفكر في الآخرة وكيفية الاستعداد
لها وخامسها التجرد للذكر وسماعه او اسماعه لقوله عم من غدا الى المسجد لا يذكر الله تعالى او يذكر به
كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى وسادسها ان يقصد افادة علم وتنبيه من يسيء الصلوة
ونهيا عن منكر وامر بمعروف حتى يتيسر بسببه خيرات ويكون شريكا فيها وسابعها ان
يترك الذنوب حياء من الله تعالى بان يحسن نيته في نفسه حتى يستحيي منه ان يقارف ذنبا وثامنها
ان يستفيد اخا في الله تعالى فان ذلك غنيمة وذخيرة لدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين
المحبين لله وفي الله تعالى وقس على هذا سائر الاعمال فباجتماع هذه النيات تزكو الاعمال
وتلتحق باعمال المقربين كما انه بنقيضها تلتحق باعمال الشياطين لكن يقصد من القعود
في المسجد التحدث
بالباطل

٩٦

والتفكه باعراض الناس ومجالسة اخدان اللهو واللعب وملاحظة من يجتاز به من النسوان
والصبيان ومناظرة من ينازعه من الاقران على سبيل المباهات والمرايات باقتناص
قلوب المستمعين لكلامه وما يجري مجراه وكذلك لا ينبغي ان يغفل في المباحات عن حسن النية
ففي الخبر ان العبد يسأل يوم القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين
باصبعه وعن لمس ثوب اخيه ومثال النية في المباحات ان من يتطيب يوم الجمعة يمكنه ان يقصد
التنعم بلذته والتفاخر باظهار ثروته او التزويق للنساء واخدان الفساد ويتصور
ان ينوي اتباع السنة وتعظيم بيت الله تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع الاذى عن غيره بدفع الرائحة الكريهة
وايصال الرائحة اليهم بالرائحة الطيبة وحسم باب الغيبة اذا شموا منه رائحة كريهة
والى الفريقين الاشارة بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من تطيب في الله جاء يوم الجمعة وريحه اطيب
من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة **فصل** اعلم ان النية
لا تدخل تحت الاختيار فلا ينبغي ان تغتر فتقول بلسانك وقلبك نويت القعود في المسجد
كذا وكذا وتظن انك قد نويت لما عرفت من قبل ان النية هي الباعث المحرك الذي لولاه لم يتصور
وجود العمل والنية المكلف كقول القائل نويت ان احب فلانا واعشقه واعظمه
ونويت ان اعطش او اجوع او اشبع فان لكل هذه دواعي وصوارف وتحققها اسبابها
لو لا يتصور حصولها دون اسبابها وقول القائل نويتها قبل تحققها حديث نفس
لا نية

فمن وطئ لغلبة شهوة الوقاع من أين ينفعه قوله نويت الوطء لحراثة الولد وتكثير
من به المباهات بل لا نظفر بانبعاث هذه النيات من قلبك إلا إذا قوي إيمانك وتمت معرفتك
(بحقارة) الحظوظ العاجلة وعظم ثواب الآخرة حتى لو غلب ذلك عليك انبعث منك الرغبة
ضرورة في كل ما هو وسيلة إلى الثواب وإن لم ينبعث فلا نية لك ولمثل هذا توقف
السلف من جمل من الخيرات حتى روي أن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن
البصري وقال ليس تحضر في النية وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى أجد له نية
وقال أنا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد ومن عرف حقيقة النية
وعلم أنها روح العمل فلا يتعب نفسه بعمل لا روح له وتحقيق ذلك أن المباح قد يصير
أفضل من العبادة لو أحضرت فيه نية فمن له نية في الأكل والشرب ليقوى على العبادة
وليس ينبعث له نية الصوم في الحال فالأكل أولى له ومن مل العبادة وعلم أنه لو نام
لزال نشاطه فالنوم أفضل له بل لو علم مثلا أن الترفه بدعابة وحديث مزاح
في ساعة يرد نشاطه فذلك أفضل من الصلاة مع الملال قال صلعم إن الله لا يمل
حتى تملوا وقال أبو الدرداء إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا
لي على الحق وقال علي رض روحوا النفس فإنها إذا أكرهت عميت وهذه دقائق
يستثقلها الظاهريون من الفقهاء كما يستثقل الضعيف من الأطباء

معالجة المحرور باللحم والحاذق منهم قد يأمر به ليعيد قوة المريض حتى يحتمل الدواء
النافع بعده الركن الثالث في الإخلاص النية وقد قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين حنفاء وقال ألا لله الدين الخالص وقال الذين تابوا وأصلحوا
واعتصموا وأخلصوا دينهم لله وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى
الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببته من عبادي وقال
لمعاذ أخلص العمل يجزك القليل منه وقال ما من عبد يخلص العمل أربعين يوما
إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه **فصل** حقيقة الإخلاص تجرد الباعث
الواحد ويضاده الإشراك وهو أن يشترك باعثان وكل ما يتصور أن يمازجه
غيره فإن صفا من كل شوب يسمى مخلصا وقد عرفت أن النية هي الباعثة
فمن لا يعمل إلا للرياء فهو مخلص ومن لا يعمل إلا لله فهو مخلص ولكن خصص
الاسم بأحد الجانبين بالعادة كالإلحاد فإنه ميل ولكن خصص بالميل إلى الباطل
وزوال الإخلاص (وربما) بشوائب الرياء قد ذكرناه ولكن قد يزول بأغراض أخر فإن
(مبتدأ) (اعتماد على شريطة التفسير)
الصائم قد يقصد مع العبادة أن ينتفع بالحمية الصالحة الحاصلة بالصوم
وقد يقصد المعتق بالعتق أن يتخلص من مؤنة العبد وسوء خلقه والحاج
ليصح مزاجه بحركة السفر أو يهرب من مشقة تعهد العيال أو من إيذاء
الأعداء

او من التبرم بالمقام مع الاهل والمتعلم يتعلم العلم ليسهل عليه طلب المعاش او يكون
محروسا بعز العلم عن الظلم او يكتب مصحفا ليجود خطه او يحج ماشيا ليخفف مؤنة
الكراء او يتوضأ ليتنظف او يتبرد او يغتسل لتنظيف رايحته ويعتكف
ليخف عليه كراء المسكن او صام ليخفف عن نفسه تعب الطبخ وشراء الطعام او يتصدق
ليدفع عن نفسه ابرام السائل او يعود مريضا ليعاد اذا امرض فهذه الاغراض قد يتجرد
وقد يشوب قصد العبادة شوبا خفيا فاذا خطر شيء من هذه الاغراض في الفعل
فقد ذهب الاخلاص وذلك عسير جدا ولذلك قال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد
ولكن ذلك عزيز وقال ابو سليمان الداراني طوبى لمن صحت له خطوة واحدة
لا يريد بها الا الله تعالى وكان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي

فصل اعلم ان مزاج هذه الشوائب على مراتب فانها قد تغلب وقد تكون مغلوبة
وقد تكون مساوية لقصد العبادة ولا يمحو اصل الثواب في المباحات ومهما بقي شوب
من ارادة لله تعالى وله ثواب بقدر ذلك الشوب والباقي لا ثواب عليه فاما اذا كان في
عبادة امر بان يخلصها لله تعالى فان كان الشوب غالبا بطلت العبادة وان كان
مساويا او مغلوبا بطل الاخلاص ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وحصول
اصولها عن انتفاء الشوائب كلها ففيه نظر اشرنا اليه في الرياء ويطلب استقصاؤه
من كتاب الاحياء

الركن الثالث الصدق وهو كمال الاخلاص قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الاية وقال صلعم الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا
وقال تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا ويكفي بفضيلة الصدق
ان يدرك به فضيلة الصديقين اعلم ان للصدق مراتب ستا من بلغ في جميعها
رتبة الكمال استحق اسم الصديق واولها الصدق في القول في جميع الاحوال اما يتعلق
بالماضي والمستقبل والحال ولهذا الصدق كمالان احدهما الحذر عن المعاريض
ايضا فانه ان كان صادقا في نفسه فيفهم خلاف الحق والمحذور عن الكذب تفهيم
خلاف الحق اذ يكتسب القلب صورة معوجة كاذبة بازاء كذب اللسان واذا مال
وجه القلب من الصحة الى الاعوجاج لم يتجل الحق له على الصحة حتى لا يصدق رؤياه
والمعاريض لا توقع في هذا المحذور لانه صادق في نفسه لكن توقع في المحذور الثاني
وهو تحصيل المعنى فلا ينبغي ذلك الا لغرض صحيح وكماله الثاني ان يرعى الصدق
في اقواله مع الله فاذا قال وجهت وجهي وفي قلبه شيء سوى الله تعالى فهو كاذب
واذا قال اياك نعبد وهو مع ذلك عبد الدنيا او لنفسه او لغيره لم يمكنه تحقيق صدق
هذه الكلمة في يوم القيمة ولذلك قال عيسى عم يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلعم
تعس عبد الدرهم والدينار الصدق الثاني في النية وهو ان يتمحض فيه داعية الخير

لتطييب ريحه

التحرز عن ان يدنس الفعل لا احد ولو لغيره

اذ يفعله

في تلك الحالة

فان فيه شوب فقد فات الصدق يقال هذا صادق الحموضة وصادق الحلاوة اذا كان محضا
فيرجع هذا الى نفس الاخلاص والصدق الثالث في العزم فان العبد قد يعزم على التصدق
ان رزق مالا او على العدل ان رزق ولاية وعزمه تارة يكون مع ضعف وتردد
وتارة يكون جزما قويا لا تردد فيه فالجزم القوي يسمى قويا صادقا كما في
عمر رضي الله عنه من نفسه حيث قال لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر
على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه ودرجات عزم الصديقين في القوة قد تتفاوت
واقصاؤها ان ينتهي الى الرضاء بضرب الرقبة دون حقيقة والصدق الرابع الوفاء
بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم اولا ولكن عند الوفاء ربما تتولى على التحقيق لان
المؤنة في العزم هين وانما الشدة في التحقيق ولذلك قال تعالى رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه وقال ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى قوله فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
الصدق الخامس في الاعمال بان يكون بحيث لا يدل على شيء من الباطن الا والباطن متصف به
ومعناه استواء السريرة والعلانية فالماشي على هدوء يدل على انه ذو وقار
في باطنه فان لم يكن كذلك في الباطن والتفت قلبه الى ان يخيل الى الناس انه ذو وقار
في باطنه فذلك رياء وان لم يلتفت الى الخلق قلبه ولكنه غافل فليس ذلك برياء ولكن
يفوت به الصدق

فيه اثم

عن كمال ع

بحكمه

ولذلك قال رسول الله صلعم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي
صالحة وقال عبد الواحد كان الحسن البصري اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به واذا
نهى عن شيء كان من اترك الناس له ولم ار قط احدا اشبه سريرة بعلانية منه
الصدق السادس وهو اعلى ابواب الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجاء والحب
والرضاء والتوكل وغيرها فان لهذه المقامات اوائل يطلق الاسم بها ولها حقائق
وغايات اذ يقال هذا هو الخوف الصادق وهي الشهوة الصادقة ولذلك قال الله انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من
آمن بالله واليوم الآخر الآية فهذه درجات الصدق فمن تحقق جميعها فهو صديق ومن لم يصب
بعضها فرتبته بقدر صدقه ومن جملة الصدق تحقيق القلب بان الله هو الرزاق وعلم
التوكل عليه فلنذكره

الاصل السابع التوكل

قال الله تعالى فليتوكل
المتوكلون وقال الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال ان الله يحب المتوكلين وقال
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال اليس الله بكاف عبده وقال ان الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من
انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله
اليها

وكان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا امرني ربي
فقال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة
للتقوى **فصل** حقيقة التوكل عبارة عن حالة تصدر عن التوحيد
ويظهر اثرها على الاعمال فهو ثلثة اركان المعرفة والحال والعمل الركن الاول المعرفة
وهي الاصل واعني بها التوحيد فانه انما يتوكل على من لا يرى فاعلا سوى الله تعالى
وكمال هذه المعرفة بترجمة قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير اذ فيه ايمان بالتوحيد وكمال القدرة والجود والحكمة التي تحق بها الحمد فمن قال ذلك
صادقا مخلصا فقد تم توحيده وثبت في قلبه الاصل الذي منه ينبعث حال التوكل واعني بالصدق
فيه ان يصير معنى القول وصفا لازما لذاته غالبا على قلبه لا يتسع بتقدير غيره **فصل**
هذا التوحيد له لبان وقشران وطبقات اربع كاللوز له لب ثم الدهن لب لبه والقشر العليا قشر
فالقشرة العليا القول باللسان الثاني الاعتقاد بالقلب جزما وهو درجة عوام الخلق ودرجة المتكلمين
اذ لا يتميز عن العوام الا بمعرفة الحيلة في دفع تشويش المبتدعة عن هذه الاعتقادات
الثالث وهي اللب ان ينكشف بنور الله عز وجل حقيقة هذا التوحيد وسره بالحقيقة وذلك بان يرى الاشياء
الكثيرة ويعلم انها بجملتها صادرة عن فاعل واحد على الترتيب وذلك بان يعرف سلسلة الاسباب
وكيفية تسلسلها وارتباط اول السلسلة بمسبب الاسباب وهنا هذا المقام بعد في تفرقه

لانه يرى الافعال وكثرتها وارتباطها بالفاعل الرابع وهي لب اللب ان لا يرى
في الوجود الا واحدا او يعلم ان الموجود بالحقيقة واحد وانما الكثرة فيه في حق
من تفرق نظره كالذي يرى من الانسان مثلا رجله ثم يده ثم وجهه ثم راسه فيغلب عليه
كثرته فان راى الانسان جملة واحدة لم يخطر بباله الآحاد بل كان يدرك الشيء الواحد
فكذلك الموحد لا يفرق نظره بين السماء والارض وسائر الموجودات بل يرى الكل في
حكم الشيء الواحد وهذا الغور يستدعي كشفه تطويلا فاطلبه من كتاب التوحيد والشكر
من كتاب الاحياء لتقف على تلويحات منه والفناء في التوحيد انما يقع في هذا التوحيد
وذلك بان يصير مستغرقا بالواحد الحق حتى لا يلتفت قلبه الى غيره ولا الى نفسه فان نفسه من حيث
هي نفسه غير الله وان لم يتحقق له معنى الغيرية بنظر آخر واعتبار على وجه اخر
فصل حقيقة التوكل انما تستدعي توحيد الفعل ولا تستدعي الفناء في توحيد
الذات بل المتوكل يجوز ان يرى الكثرة والاسباب والمسببات ولكن ينبغي ان يشاهد
ارتباط السلسلة بمسببها وما عندي ان ذلك يخفى عليك فيما يدخل فيه اختيار الآدميين
فانك ان رايت المطر سببا في النبات فتعلم ان المطر مسخر بواسطة الغيم والغيم مسخر بواسطة
الريح والابخرة للجبال وكذلك الجبال اجمادا مسخرة الى ان ينتهي الى الاول لا محالة
وان كنت لا تعرف عدد الوسايط فلا يضرك ذلك وانما الذي يخفى عليك افعال الآدميين

فانك تقول من اطعمني طعاما فانما يطعمني باختيار ان شاء اعطى وان شاء منع فكيف
لا اراه فاعلا وانما مثلك في الالتفات اليه مثل النملة ترى سواد خط على بياض
يحصل من حركة القلم فتضيف ذلك الى القلم اذ حدقتها الصغيرة الضعيفة لا تمتد
الى الاصبع ومنها الى اليد ومنها الى القدرة المحركة لليد ومنها الى الارادة التي القدرة
مسخرة لها ومنها الى المعرفة التي يتوقف انبعاث الارادة وانجزامها عليها ومنها
الى صاحب القدرة والعلم والارادة فكذلك انت تضيف افعال العباد الى اراداتهم ومعرفتهم
وقدرتهم اذ ليس يمتد نظرك الى القلم الذي تصدر المعرفة به في الواح القلوب ومنه الى الاصابع
التي تنتهي الى قلوب العباد ومنها الى اليد التي تخمر طينة آدم ومنها الى القدرة التي بها تتحرك
اليد لتخمير الطينة ومنها الى القادر الذي منه يبدو واليه يعود وذلك لانك لا تعرف قول
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته ولا معنى قوله تعالى خمرت طينة آدم بيدي
ولا معنى قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فانك لا تعلم قلما الا من قصب ولا يدا واصابع
الا من لحوم وعظام ولا صورة الا الالوان والاشكال فان انكشف لك ذلك علمت انك اذ رميت
ما رميت ولكن الله رمى حيث سلط عليك دواعي جازمة ومعرفة حاكمة على القطع بان نجاتك
في الرمي مثلا حتى انبعث القدرة التي انفذ تحليلها خادمة للارادة والمعرفة خدمة بالتسخير والاضطرار
علمت انك مضطر الى عين الاختيار فتفعل ان شئت ذكرت اذا شاء الله شئت ام ابيت

وهذا الآن فيه سر يحرك قاعدة الجبر والاختيار ويوهم تناقض التوحيد وتكليف الشرع
وقد شرحناه في كتاب التوكل والتوحيد والشكر من كتب الاحياء فاطلبه ان كنت
من اهله **فصل** لا يكفي الايمان بتوحيد الفعل والذات في اثبات حالة التوكل
حتى ينضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذ به تحصل الثقة بالوكيل الحق
وهو ان تعتقد جزما وتتيقن ذلك بالبصيرة ان الله تعالى لو خلق الخلق كلهم على عقل
اعقلهم بل على اكمل ما يتصور ان يكون عليه حال العقل ثم زادهم اضعاف ذلك علما
وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت ولطائف الحكمة ودقائق
الخير والشر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت لما دبروه باحسن مما هو عليه ولم يمكنهم
ان يزيدوا او ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا البتة دفع مرض
وعيب ونقص وفقر وضر وجهل وكفر ولا ان يغيروا ما قسمه الله تعالى من رزق واجل
وقدرة وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا اجمع ذلك عدلا محضا لا جور فيه
وحقا صرفا لا نقص فيه واستقامة تامة لا قصور فيها ولا تفاوت بل كل
ما يرون نقصا فيرتبط فيه كمال آخر اعظم منه وما ظنوه ضررا فتحته نفع اعظم منه
لا يتوصل الى ذلك النفع الا به وعلموا قطعا ان الله تعالى حكيم جواد رحيم لم يبخل على
الخلق اصلا ولم يدخر في اصلاحهم امرا وهذا الآن بحر آخر في المعرفة يحرك امواجه

سر القدر الذي منع من ذكره المكاشفون وتحير فيه الاكثرون ولا يعقله
الا العالمون ولا يدرك تاويله الا الراسخون وان حظ العوام ان يعتقدوا
ان كل ما يصيبهم لم يكن ليخطئهم وما يخطئهم لم يكن ليصيبهم وان ذلك واجب الحصول
بحكم المشية الازلية وانه لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر
وحصوله بقدر معلوم منتظر وما امرنا الا واحدة كلمح البصر الركن الثاني حال التوكل
ومعناه ان يكل امرك الى الله عز وجل وتثق به بقلبك وتطمئن بالتفويض اليه
نفسك ولا يلتفت الى غير الله تعالى اصلا ويكون مثالك مثال من وكل في خصومة
في مجلس القاضي من علم انه اشفق الناس عليه واقواهم في كشف الباطل ولحن فهمه
واحرصهم عليه فانه يكون ساكنا في بيته مطمئن القلب غير متفكر في كل الخصومة
غير مستعين باحاد الناس لعلمه بان وكيله حسبه وكاف في غرضه وانه لا يقاوم
غيره فمن تحقق معرفته بان الرزق والاجل والخلق والامر بيد الله تعالى وهو متفرد
به لا شريك له وان جوده وحكمته ورحمته لا نهاية لها ولا يوازيها احد غيره
وجوده اتكل قلبه بالضرورة عليه وانقطع نظره من غيره فان لم ينقطع
فلا يكون ذلك الا لاجل الامرين احدهما ضعف اليقين بما ذكرناه وضعف
اليقين انما يكون لتطرق شك اليه او لعدم استيلائه على القلب فان الموت
يقين

٢٠٨

لا شك فيه ولكنه لا يستولي على القلب فهو كشك لا يقين فيه الا ان يكون القلب في الفطرة جبانا
ضعيفا والجبن والجراءة فطرتان والجبن يوجب كون النفس مطيعة للاوهام فانه لا شك في بطلانها حتى قد يخاف
الانسان ان يبيت مع الميت في دار او في بيت مع علمه بان الله لا يحييه وان قدر عليه كقدرته على ان
يقلب في بيته العصا حية وهو لا يخاف ذلك بل قدرته العمل بالعادة فيتعذر عليه تناوله
مع علمه بانه تبيله كاذب ولكن ذلك لجور النفس وطاعة الاوهام فهما لا يخلوان عن شيء منه وان ضعف
وكذلك لا يبعد ان يحصل اليقين بالتوحيد بحيث لا يحتاج الى ريب ومع ذلك فيفزع القلب الى الاسباب **فصل**
اذا عرفت ان التوكل عبارة عن حالة القلب في الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات الى غيره فاعلم ان فيه
ثلاث درجات احدها ما ذكرناه وهو كالثقة بالوكيل في الخصومة بعد اعتقاد كماله في الهداية والقدرة
والشفقة والثانية وهي اقوى منها تضاهي حالة الصبي في ثقته بامه وفزعه اليها في كل ما يصيبه وذلك لثقته
بشفقتها وكفايتها ولكنه في توكله فان عن توكله فانه ليس يحصل له التفات وكسب وان كان لا يخلو توكله
عن نوع ادراك واما التوكل على الوكيل بالخصومة فكالمكتسب بالفكر والنظر والثالثة وهي ان يكون بين
يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فانه يزعق بامه ويتعلق بذيلها بل هذا كالصبي
علم انه وان لم يزعق بامه فانها تطلبه وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان لم يسئلها اللبن فهي تبتدي
بارضاعه فيكون هذا الشخص في حق الله تعالى ساقط الاختيار لعلمه بان مجرى القدر فلا يبقى فيه متسع
لغير الانتظار لما يجري عليه فهذا المقام يابى الدعاء والسؤال ولا يمنع الدعاء في المقام الثاني

ويمتنع التدبير في المقام الاخير ويمتنع في الثاني ايضا الا في التعلق بالوكيل فقط وفي الاول يمتنع
بالتعلق بغيره ولا يمتنع بالطريق الذي رسمه الوكيل وسنه له و
امره به الركن الثالث في الاعمال وقد يظن الجهال ان شرط
التوكل ترك الكسب وترك التداوي والاستسلام للمهلكات
وذلك خطأ لان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى
على التوكل وندب اليه فكيف ينال ذلك بمحظوره وتحقيقه ان سعي
العبد لا يعدو على اربعة اوجه وهو جلب ما ليس بموجود من المنفعة او حفظ الموجود او دفع
الضرر كيلا يحصل او قطعه كما نزل الاول اجلب النافع واسبابه ثلثة اما مقطوع به واما
مظنون ظنا ظاهرا يوثق به او موهوم اما المقطوع به فمثاله ان لا يمد اليد الى
الطعام وهو جائع ويقول هذا سعي وانا متوكل او يريد الولد ولا يواقع اهله او يريد
الزرع ولا يبث البذر وهذا جهل لان سنة الله تعالى لا تتغير وقد عرفك ان ارتباط
هذه المسببات بهذه الاسباب من سنته التي لا تجد لها تبديلا وانما التوكل فيه بامرين احدهما ان اليد والطعام
والبذر وقدرة التناول في جميع ذلك من قدرة الله تعالى والثاني ان لا يتكل عليها بقلبه على خالقها وكيف
يتكل على اليد وربما تفلج في الحال وتهلك الطعام وذلك تحقيق قولك لا حول ولا قوة الا بالله
فالحول هي الحركة والقوة هي القدرة فاذا كان هذا حالك فانت متوكل وان سعيت اما المظنون

فكاستصحاب الزاد في البوادي والاسفار فليس تركه شرطا في التوكل بل هي سنة الاولين
بل يكون الاعتماد على فضل الله تعالى بدفع السراق وابقاء الزاد والجوع والقدرة
على التناول واما الموهومات فكالاستقصاء في حيل المعيشة والاستنباط
في دقائق الامور فيها وذلك ثمرة الحرص وقد يحمل على اخذ الشبهة وكل ذلك يناقض
التوكل والدليل عليه ان النبي عليه السلام وصف المتوكلين بانهم لا يكتوون
ولا يسترقون ولم يصفهم بانهم لا يسكنون الامصار ولا يكتسبون فما نسبته الى التسبب
كنسبة الرقية والكي فهو طرف فتركهما من شرط التوكل الفن الثاني ترتيب الاسباب

تدبير الاسباب ام

في الادخار فالمتوكل الفرد اذا ادخر لسنة فما فوقه ابطل توكله وان قنع بقوت
يومه وفرق الباقي فهو تمام التوكل وان ادخر لاربعين يوما قال سهل التستري
بطل توكله ولا ينال المقام المحمود الذي وعد للمتوكلين وقال الخواص لا يبطل واتفقوا
على ان الزيادة تبطل الا ان كان معيلا فله ان يدخر قوت عياله سنة كذلك
فعل رسول الله صلعم في حق عياله وفي حق نفسه كان لا يدخر من غدائه الى عشائه
ولا شك ان طول الامل يناقض التوكل ومهما قلت مدة الادخار كانت الرتبة اعظم
ولكن سنة الله تعالى جارية بتكرار الارزاق عند تكرار السنة فالادخار لاكثر من سنة
غاية الضعف وليس من التوكل في شيء فاما ادخار الكوز واثاث البيت فذلك
جائز

لان سنة الله تعالى لم تجر بتكرارها كتكرار الارزاق ويحتاج اليها في كل وقت في لبس ثوب الشتاء

فانه لا يحتاج اليه في الصيف وادخاره على خلاف التوكل قال النبي صلى الله عليه وسلم في فقير دفن

انه يحشر يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كان كالشمس الضاحية كان اذا جاء الشتاء

ادخر حلة الصيف لصيفه الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة كالفرار من السبع

ومن الجدار المائل ومجرى السيل او دفع الامراض بالادوية وذلك ايضا له درجات

فاستنبطها بالقياس الى ما ذكرناه وقد فسرناه في الاحياء **وصل**

اعلم ان ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه وقوي قلبه واما الضعيف الذي يضطرب قلبه

لو لم يدخر لم يتفرغ للعبادة فالافضل له ان يدع طريق المتوكلين ولا يحمل

نفسه ما لا يطيق اذ فساد ذلك في حقه اكثر من صلاحه بل يعالج كل واحد على حسب

حاله وقوته وقد تنتهي القوة الى ان يجوز السفر في البوادي من غير زاد

وذلك لمن يصبر عن الطعام اسبوعا ويقنع بالحشيش فان ذلك لا يعوز غالبا

في البادية فاما الضعيف اذا فعل ذلك فهو عاص ملق نفسه في التهلكة والقوي

ان حبس نفسه في كهف جبل ليس فيه حشيش ولا يجتاز به انسان فذلك ايضا حرام

لانه يخالف سنة الله تعالى وانما جاز له ذلك في البوادي لان سنة الله جارية بانها

لا تخلو عن الحشيش وقد يجتاز بها الآدمي [illegible] فاذا افتقر نادرا فلم يكن عاصيا فيه بل ذلك ان رفق متكلا على [illegible] الطعام في البادية [illegible] التعفف [illegible] اسباب الخبز الواضحة فافهم

١٠٤

الاصل الثامن في المحبة قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال قل ان كان

اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها

وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله الآية

وقال صلعم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما

وقال احبوا الله لما يغذوكم واحبوني لحب الله تعالى وقال ابو بكر الصديق

رضي الله تعالى عنه من ذاق خالص محبة الله تعالى منعه ذلك من طلب الدنيا

واوحشه من جميع البشر وقال الحسن البصري رحمه الله من عرف ربه تعالى احبه

ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل واذا تفكر حزن

وصل اعلم ان اكثر المتكلمين انكر محبة الله تعالى ولو لوها وقالوا لا معنى

لها الا الامتثال للاوامر والافعال لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئا ولا يناسب

طباعا فكيف نحبه وانما يتصور منا ان نحب من هو من جنسنا وهؤلاء

مرحومون لجهلهم بحقائق الامور وقد كشف الغطاء من هذا في كتاب

المحبة من كتاب الاحياء فطالعها الصادق منها اسرارا تخلو الكتب

عنها فاقنع بتلويحات واشارات **وصل** اعلم ان كل لذيذ

محبوب ومعنى كونه محبوبا ميل النفس اليه فان قوي الميل سمي عشقا

ومعنى كونه مبغوضا نفرة النفس عنه لكونه مولما فان قوي البغض
والنفرة سمي مقتا واعلم ان الاشياء التي تدركها بالحواس وجميع مشاعرك
اما ان تكون موافقة لك ملائمة وهو اللذيذ او تكون منافية مخالفة
وهو المولم او لا موافقة ولا مخالفة وهو الذي لا الم فيها ولا لذة فكل لذيذ
محبوب اي للنفس الملتذة به ميل لا محالة اليه واعلم ان اللذة تتبع الادراك والادراك
ادراكان ظاهر وباطن اما الظاهر فبالحواس الخمس فلا جرم لذة العين
في الصور الجميلة ولذة الاذن في النغمات الموزونة الطيبة
ولذة الشم في المطعوم والروائح الملائمة الموافقة ولذة جملة البدن في ملامسة
الناعم اللين وجملة ذلك محبوبة للنفس اي للنفس ميل اليها واما ادراك الباطن فهو اللطيفة
التي محلها القلب تارة يعبر عنها بالعقل وتارة بالنور وتارة بالحس السادس
فلا تنظر الى العبارات فتغلط بل قال النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم
ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فسمع ان الطيب والنساء فيهما
حظ الشم واللمس والبصر والصلوة لا حظ فيها للحواس الخمس بل للادراك السادس
الذي محله القلب ولا يدركها من لا قلب له وان الله يحول بين المرء وقلبه ومن اقتصر من لذته
على الحواس الخمس فهو بهيمة لان البهيمة تشاركه فيها وانما خاصية الانسان التمييز
بالبصيرة الباطنة

ولذة البصر الظاهر في الصور الجميلة الظاهرة ولذة البصيرة في الصور الجميلة الباطنة
وصل لعلك تقول ما معنى الصورة الجميلة الباطنة فاقول ما عندي انك
لا تحس من نفسك حب الانبياء والعلماء والصحابة ولا تدرك في نفسك تفرقة
بين الملك العادل العالم الشجاع الكريم العطوف على الخلق وبين الظالم
الجاهل البخيل الفظ الغليظ وما عندي انه اذا حكي لك صدق ابي بكر وسياسة
عمر وسخاوة عثمان وشجاعة علي رضوان الله عليهم اجمعين لا تجد في نفسك هزة وارتياحا
وميلا الى هؤلاء والى كل موصوف بخلال الكمال من نبي وصديق وعالم
وكيف تنكر هذا وفي الناس من يفدي نفسه ارباب المذاهب ويحمله حبه لهم على البذل
بالمال والنفس والذب عنهم وحبهم يجاوز ذلك حد العشق وانت تعلم ان
حبك لهؤلاء ليس لصورهم الظاهرة فانك لم تشاهدها ولو شاهدتها ربما لم
تستحسنها وان استحسنت فلو تشوهت صورهم الظاهرة وبقيت صفاتهم
المعنوية الباطنة لبقي حبهم واذا فتشت عن محبوبك منهم رجع بعد التفصيل
الطويل الذي لا يحتمله هذا الكتاب الى ثلاث صفات العلم والقدرة والنزاهة
عن العيوب اما العلم فكعلمهم بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وعجائب ملكوته ودقائق
شريعة انبيائه واما القدرة فكقدرتهم على انفسهم بكسر شهوتها وحملها على الصراط
المستقيم

حملها

وقدرتهم على العباد بسياساتهم وارشادهم الى الحق واما النزاهة فكسلامة
باطنهم عن عيب الجهل والبخل والحسد وخبائث الاخلاق واجتماع كمال العلم والقدرة
مع حسن الاخلاق وحسن الباطن وهى الصورة الباطنة التى لا محل لتدركها البهيمة
ومن في مثل حالها بالبصر الظاهر ثم اذا احببت هؤلاء لهذه الصفات وعلمت
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اجمع منهم لهذه الخصال كان حبك له اشد بالضرورة
فارفع نظرك الآن من النبى الى المرسل النبى وخالقه والمتفضل على الخلق
ببعثه لتعلم ان بعثه الانبياء حسنة من حسناته ثم انسب قدرة الانبياء
وعلمهم وطهارتهم الى علم الله سبحانه وقدرته وقدسه لتعلم انه
لا قدوس سوى الواحد الحق وان غيره لا يخلو من عيب ونقص بل العبودية
اعظم انواع النقص فاى كمال لمن لا قوام له بنفسه ولا يملك لنفسه موتا
ولا حيوة ولا رزقا ولا اجلا واى علم لمن يشكل عليه صفات باطنه
في مرضه وصحته بل لا يعلم جميع جوارحه الباطنة وتفصيلها وحكمها
بالتحقيق فضلا عن ملكوت السموات والارض وانسب هذا الى العلم
الازلى المحيط بجميع الموجودات ومعلومات لا نهاية لها الذى لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات والارض والى قدرة خالق السموات والارض

الذى

الذى لا يخرج موجود عن قبضة قدرته في وجوده وبقائه وعدمه وانسب نزاهته
من العيوب الى قدسه لتعلم انه لا قدوس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التى
اعطاه ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وما اوتوا من العلم الا قليلا فانظر الآن
هل يمكنك ان تنكر ان الصفات والى مد محبوبة او تنكر ان الموصوف بكمال الجلال هو الله تعالى
وانظر كيف تنكر حبه بعد ذلك **فصل** ان قصرت بصيرتك عن ادراك الجلال والكمال
والميل الى مطالعته والفرح به والعشق له فلا تقصر عن الميل الى المنعم المحسن اليك ولا تكونن
اقل من الكلب فانه يحب صاحبه الذى يحسن اليه وتأمل هذا في العالم هل لاحد احسان اليك سوى
الله تعالى وهل لك حظ ولذة وتنعم في شىء وحصل على نعمة الا والله سبحانه خالقها ومبقيها
وخالق الشهوة اليها والتلذذ بها وتفكر في اعضائك ولطف صنع الله بك فيها لتحبه باحسانه
اليك فتكون من عوام الخلق اذ لم تقدر ان تحبه لجماله وجلاله كما تحبه الملائكة لذلك وامتثل
قوله عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم من نعمه واحبونى لحب الله تعالى وعند هذا تكون كالعبد السوء
يحب مولاه ويعمل للاجرة والنفقة فلا جرم يزيد حبك وينقص بزيادة الاحسان ونقصانه
وذلك ضعيف جدا بل الكامل من يحب الله تعالى لجلاله وجماله ومحامد صفاته التى لا يتصور ان يشاركه
فيها وكذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان اود الاوداء الى من عبدنى بغير نوال لكن ليعطى
الربوبية حقها وفى الزبور ومن اظلم ممن عبدنى لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا
الم اكن اهلا ان اطاع

ومرّ عيسى بطايفة من العبّاد وقد نحلوا فقالوا نخاف النّار ونرجو الجنّة فقال
مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومرّ بقوم آخر كذلك فقالوا نعبده حبّا له وتعظيما
لجلاله فقال انتم اولياء الله تعالى ومعكم امرت ان اقيم **فصل** العارف لا يحبّ
الا الله تعالى فان احبّ غيره فليحبّه لله عزّ وجلّ اذ قد يحبّ المحبّ عبد المحبوب واقاربه
وبلده وتصنيفه وكلّ ما هو بسببه وكلّ ما في الوجود صنع لله عزّ وجلّ وتصنيفه
وكلّ الخلق عباد الله تعالى وان احبّ الرسول احبّه لانّه رسول محبوبه وان احبّ الصحابة
فلانّهم محبوبوا رسوله ولانّهم محبّو وعبيد والمواظبون على طاعته وان احبّ
طعاما فلانّه يقوّي مركبه الّذي به يصل الى محبوبه اعني البدن وان احبّ الدّنيا
فلانّه زاده الى محبوبه وان احبّ النظر الى الازهار والانوار والصّور الجميلة
فلانّها صنعة محبوبه ومنبّهة لالاء على جماله وجلاله ومذكّرات لصفاته التي
هي المحبوبة في ذاتها وان احبّ المحسن اليه والمعلّم ايّاه علوم فيحبّه لانّه واسطة بينه
وبين محبوبه في ايصال علمه وحكمته اليه ويعلم انّه الّذي قيّضه لتعليمه وارشاده
والانفاق عليه من ماله وانّه لولا تسليط الدّواعي عليه واضطراره بسلسلة
البواعث والاغراض الى ارشاده والانفاق عليه لما فعله واعظم الخلق احسانا
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لله المنّة والفضل بخلقه وبعثه كما قال هو الّذي

هو الّذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة
فما الرسول الّا عبد مسخّر مبعوث مجبول على تبليغ الرّسالة بالاضطرار ولذلك
قال الله تعالى انّك لا تهدي من احببت ولكنّ الله يهدي من يشاء وتامّل سورة الفتح
وقوله تعالى ورايت النّاس يدخلون في دين الله افواجا فسبّح بحمد ربّك واستغفره
انّه كان توّابا فقد انزله منزلة النّظارة وقال اذا رايت عباد الله يدخلون
في دين الله فقل بحمد الله لا بحمدي وهو معنى التسبيح بحمد ربّه فان التفت قلبك
الى نفسك وسعيك واستغفره ليتوب عليك واعلم انّه ليس لك من الامر شيء
ومن ههنا نظر عمر رضي الله تعالى عنه حيث وصل كتاب خالد بعد فتح مكّة من خالد
من خالد سيف الله المسلول على المشركين الى ابي بكر امير المومنين فقال انّ نعم
الله المسلمين نظر خالد الى نفسه وسمّاها سيفا مسلولا على المشركين ولولا حفظ
الحقّ كما هو لعلم ان ليس ذلك بسيف ولكن لله تعالى سرّ في ارادته في ارادة نصرة
الاسلام فينصره بخطرة واحدة وهو خاطر رعب يُلقيه في قلب الكفّار فينهزم
وينصر غيره اليه فينهزم ويقع الهزيمة فينظر خالد ومن هو في مثل حاله
انّه على كلمة الاسلام بصرامته وحدّة سيفه ويطّلع عمر رضي الله عنه ومن هو
في مثل حاله من الصّديقين والاولياء على حقيقة الحال ويعلم حاجة خالد
الى الاستغفار

وان يسبح بحمد ربه اذا راى ذلك كما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذن لا مومن موجب للمحبة الا امران احدهما الاحسان والاخر غاية الجلال
والجمال بكمال الجود والحكمة والقدرة والعلم والتقديس من العيب
والنقص ولا احسان الا منه ولا جلال ولا جمال ولا قدس الا له فكل ما
في العالم من حسن واحسان فهو حسنات جوده يسوقها الى عباده بخطره و
حسنة من صح
يخلقها في قلب المحسن وكل ما في العالم من صورة مليحة وهيئة جميلة تدرك
بعين او سمع او شم فاثر من آثار قدرته وهي بعض معاني جماله وجلاله
فليت شعري لمن عرف بالمشاهدة المحققة والبرهان القاطع جميع هذا
كيف يتصور ان يلتفت الى غير الله تعالى او يحب غير الله عز وجل

فصل

اعلم ان لذة العارف في الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية اعظم
من كل لذة يتصور ان يكون في الدنيا سواها وذلك لان اللذة على قدر
الشهوة وقوة الشهوة على قدر الملاءمة والموافقة مع المشتهى ولما كان
اوفق الاشياء للابدان الاغذية فاوفق الاشياء للقلوب المعرفة فالمعرفة
غذاء القلب واعني بالقلب الروح الرباني الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من
امر ربي وقال تعالى ونفخت فيه من روحي فاضافه الى نفسه وهذا الروح لا يكون للبهائم

ولمن هو في مثل حالها من الانس بل يختص به الانبياء والاولياء ولذلك قال
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فالمعرفة اوفق الاشياء لهذا الروح لان الاوفق
لكل شيء خاصيته فالصوت الطيب لا يوافق البصر لانه ليس من خاصيته وخاصية
روح الانسان معرفة الحقائق وكل ما كان المعلوم اشرف كان العلم به الذ ولا اشرف
من الله تعالى ولا اجل منه فمعرفته ومعرفة صفاته وذاته وعجائب ملكه وملكوته
الذ الاشياء عند القلب لان شهوة ذلك اشد الشهوات ولذلك يخلق آخرا بعد
سائر الشهوات فكل شهوة تتاخر فهي اقوى مما قبلها فاول ما يخلق شهوة
الطعام ثم شهوة الوقاع فيترك شهوة الطعام لاجلها ثم يخلق له شهوة الرياسة
والجاه والغلبة فيستحقر فيها شهوة المنكح والمطعم ثم يخلق له شهوة المعرفة
التي هي استيلاء على كل الموجودات فيستحقر فيها الجاه والرياسة وهي آخر شهوات الدنيا
واقواها وكما ان الصبي ينكر شهوة الوقاع ويتعجب ممن يتحمل مؤنة النكاح لاجلها
فاذا بلغ شهوة الوقاع اكب عليها وانكر شهوة الجاه والرياسة ولم يبال بفواتها في قضاء
شهوة الفرج فكذلك المشغوف بشهوة الجاه والرياسة ينكر لذة المعرفة اذ لم تخلق
بعد فيه شهوتها وقد تنتهي شهوة شره على الجاه الى مرض قلبه حتى لا يقبل شهوة معرفة
الله عز وجل

اصلا كما يفسد مزاج المريض فتسقط شهوته للغذاء حتى يموت وقد ينعكس طبعه فيشتهي
الطين والاشياء المضرة المهلكة وهي مقدمات الموت فكذلك مرض القلب وقد
ينتهي الى حد ينكر المعرفة ويبغضها ويبغض اهلها والمقبلين عليها
ولا يدرك الا لذة الرياسة او المطعم والمنكح وذلك هو الميت الذي لا يقبل العلاج
وفي مثله قيل انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وفيهم قيل اموات غير احياء وما
يشعرون ايان يبعثون **فصل** هذه المعرفة وان عظمت لذتها فلا نسبة
لها الى لذة النظر الى وجه الله الكريم الدار الآخرة وذلك لا يتصور في الدنيا
لسر لا يمكن الآن كشفه ولا ينبغي ان يفهم من النظر ما يفهمه العوام والمتكلمون
فتحتاج في تقديره الى جهة ومقابلة فذلك من نظر من اقعده القصور
في بحبوحة عالم الشهادة حتى لم يجاوز المحسوسات التي هي مدركات البهائم لكن ينبغي ان تفهم
ان الحضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجيب على ما هو عليه من البهاء والعظمة
والجلال والمجد في قلب العارف كما ينطبع مثلا صورة العالم المحسوس في حواسك فكانك تنظر
ه اليه فان غمضت عينيك فان فتحت العين وجدت الصورة المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل
فتح العين لا تخالفها في شيء الا ان الابصار في غاية الوضوح بالنسبة الى التخيل وكذلك

ينبغي ان يعلم ان في ادراك ما لا يدخل في الخيال والحس ايضا درجتين متفاوتتين في الوضوح
غاية التفاوت ونسبة الثانية الى الاولى كنسبة الابصار الى التخيل فتكون الثانية
غاية الكشف فتسمى لذلك مشاهدة ورؤية ولم تسم رؤية لانها في العين
اذ لو خلقت في الجبهة لكانت رؤية بل لانها غاية الكشف وكما ان تغميض الاجفان
حجاب عن غاية الكشف في المبصر فكدورة الشهوات وشواغل هذا القالب المظلم
حجاب عن غاية المشاهدة ولذلك قال الله تعالى لن تراني وقال لا تدركه الابصار
فاذا ارتفع الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة وتكون لكل
واحد على قدر معرفته فلذلك تزيد لذة اولياء الله تعالى في النظر على لذة غيرهم
يتجلى الله تعالى لابي بكر خاصة ويتجلى للناس عامة وكذلك لا يراه الا العارفون
لان المعرفة بذر النظر بل هي التي تنقلب مشاهدة كما ينقلب التخيل ابصارا
فلذلك لا يقتضي مقابلة وجهة وسر هذا طويل فاطلبه من كتاب المحبة **فصل**
لو كان معشوقك وانت تراه من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار وفي
حالة ضعف الضوء وفي حالة اجتمع عليك تحت ثوبك عقارب وزنابير
تلدغك وتشغلك فلا يخفى ان لذتك في مشاهدة معشوقك تضعف فلو اشرقت
الشمس فجأة وارتفع الستر الرقيق وانصرفت عنك العقارب والزنابير وهجم
عليك العشق المفرط
البليغ

فلا نسبة لهذه اللذة العظيمة التي تحصل الآن الى ما كان قبل ذلك وكذلك فافهم
انه لا نسبة للذة النظر الى لذة المعرفة بل هي اعظم منها كثيرا فالستر الدقيق قالبك
والعقارب شواغل الدنيا وغمومها وشهواتها وهجوم العشق شدة الشهوة
لانقطاع المضعفات والمنقضات عنها واشراق الشمس هو اسعد لو حدقة القلب
لاحتمال تمام التجلي فانها في هذه الحيوة لا تحتمله كما لا يحتمل بصر الخفاش نور الشمس
فصل انما ضعفت شهوة معرفة الله تعالى لزحمة سائر الشهوات وانما خفيت
معرفة الله تعالى مع جلائها لشدة ظهورها ومثاله انك تعلم ان اظهر الاشياء
المحسوسات ومنها المبصرات ومنها النور الذي يظهر لك الاشياء ثم لو كانت
الشمس دائمة لا تغيب ولا يقع لها ظل لكنت لا تعرف وجود النور وكنت تنظر الى الالوان
فلا ترى الا الحمرة والسواد والبياض واما النور فلا تدركه الا بان تغيب
الشمس او يقع لها حجاب بما له ظل فتدرك باختلاف الاحوال بين الظلمة والضياء
ان النور شيء آخر يعرض للالوان فتصير مبصرة ولو تصور لله سبحانه غيبة او
لانوار قدرته حجاب عن بعض الاشياء لادركت من التفاوت ما يضطرهم الى المعرفة
ولكن الموجودات كلها لما تساوت في الشهادة لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت
خفي الامر لشدة جلائه ولو تصور انقطاع انوار قدرته عن السموات والارض

لانهدمت وانخسفت وادرك في الحال من التفاوت ما يضطر الى المعرفة بالقدرة
والقادر وهذا مثال ذكرناه وتحته اسرار وفيه مواقع غلط فاجتهد لعلك تقف
على اسراره ولا ترتبك في مواقع غلطه فمنه غلط من قال انه في كل مكان وكل
من نسبه الى مكان او جهة فقد زل وظل ورجع غاية نظره الى التصرف في المحسوسات
البهائم ولم يجاوز الاجسام وعلائقها واول درجات الايمان مجاوزتها
فبه يصير الانسان انسانا فضلا عن ان يصير مؤمنا **فصل** اعلم ان للمحبة
علامات كثيرة يطول احصاؤها ومن علاماتها تقديم امر الله تعالى على هوى النفس
والتوقي بالورع ورعاية حدود الشرع ومن علاماتها الشوق الى لقاء الله تعالى
والخلو عن كراهية الموت الا من حيث يتشوق الى زيادة المعرفة فان لذة المشاهدة
بقدر كمال المعرفة فانها بذر المشاهدة فتختلف لا محالة باختلافها ومن
علاماتها الرضاء بالقضاء ومواقع قدر الله عز وجل فلنذكر معنى الرضاء
حتى لا يغتر الانسان بما يصادف في نفسه من خطرات تخطر فيظن انها حقيقة الحب
لله تعالى فان ذلك عزيز جدا **الاصل السابع الرضاء بالقضاء** قال الله تعالى رضي الله
عنهم ورضوا عنه وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر
اجتباه وان رضي اصطفاه وقال عم اعبد الله تعالى بالرضاء فان لم تستطع

فبالصبر على ما تكره خير كثير وقال عم لطائفة ما انتم فقالوا المؤمنون فقال عم ما علامة
ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون
ورب الكعبة وفي رواية انه عم قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفيما
اوحى الله تعالى الى داود صلوات الله عليه ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة
مناجاتي من قلوبهم ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وقال
نبينا عليه السلام قال الله تعالى انا الله لا اله الا انا فمن لم يصبر على بلائي ولم يشكر
نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سوائي وقال عم قال الله تعالى خلقت الخير
وخلقت له اهلا وخلقت الشر وخلقت له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسرت الخير
على يديه وويل لمن خلقته للشر ويسرت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف
واوحى الله تعالى الى داود عم يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت
لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما اريد

فصل قد انكر الرضا جماعة وقالوا لا يتصور الرضا بما يخالف الهوى
وانما يتصور الصبر فقط وانما اوتوا من انكار المحبة ونحن نحققها وعلامتها الرضا
بالبلاء وبما يخالف الطبع والهوى وذلك يتصور من ثلثة اوجه احدها ان
يدهشه مشاهدة الحب وافراطها عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد في حب المخلوقين

وفي غلبة الشهوة والغضب حتى ان الغضبان يصيبه الجراح ولا يحس بها في الحال وحتى ان
يصيبه شوكة في رجله فلا يحس بها ثم اذا سكن حرصه وظفر بمراده عظم المه واذا تصور
ان ينغمر الم يسير بحب يسير تصور ان ينغمر الم كثير بحب قوي بالغ فان كل واحد
من الحب والالم يقبل الزيادة والشدة ومهما تصور هذا في عشق يرجع الى الميل
الى صورة مركبة من لحم ودم مشحونة بالاقذار والخبائث وانما تدرك
بعين ظاهرة يغلب الغلط عليها حتى قد ترى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح
جميلا فكيف لا يتصور في ادراك جمال الحضرة الربوبية والجلال الازلي الابدي الذي
لا يتصور انقطاعه ونقصانه المدرك بالبصيرة الباطنة التي هي اصدق
واوضح عند اهلها من البصر الظاهر ومن هذا الاصل قال الجنيد رح قلت
لسري السقطي رح هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف
قال لا وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء احبه
حتى لو احب النار احببت الدخول في النار وقال عمر بن عبد العزيز رح
ما بقي لي فرح الا في مواقع قدر الله تعالى وضاع لبعض الصوفية ولد صغير
ثلثة ايام فقيل له لو سالت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه
فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي الوجه الثاني من الرضاء ان يحس بالالم

ويكره بالطبع ولكن يرضى به بعقله وايمانه لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء كما يرضى
المريض بالم الفصد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح بمن يهدي اليه
الدواء وان كان بشعا وكذلك يرضى التاجر بمشقة السفر وهو خلاف طبعه فهذا
ايضا يشاهد مثله في الاغراض الدنيوية فكيف ينكر في السعادة الاخروية
وروي ان امراة فتح الموصلي رحه عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها
اما تجدين الم الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه فاذا من
ايقن ان ثواب البلاء اعظم مما يقاسيه لم يبعد ان يرضى به الوجه الثالث
ان يعتقد ان لله تعالى تحت كل اعجوبة لطيفة بل لطايف وذلك يخرج عن قلبه لم وكيف
حتى لا يتعجب مما يجري على العالم من مخاطبة الجاهل تشويشا واضطرارا وميلا
عن الاستقامة ويعلم ان تعجبه كتعجب موسى من الخضر عليهما السلام لما خرق سفينة
الايتام وقتل الغلام واعاد الجدار كما في سورة الكهف فلما كشف الخضر عن
السر الذي اطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما اخفي عنه من تلك الاسرار
وكذلك افعال الله تعالى مثاله ما حكي عن رجل من الراضين انه كان يقول في كل ما يصيبه الخيرة فيما قدر الله
وكان في بادية ومعه اهله وليس له الا حمار يحمل عليه خباءه وكلب يحرسهم وديك يوقظهم
فجاء ثعلب واخذ الديك فقال خيرة وجاء ذيب وقتل الحمار فحزن اهله فقال خيرة

ثم اصيب الكلب فمات فقال خيرة فتعجب اهله من ذلك حتى اصبحوا وقد سبي من حولهم
واسترقوا اولادهم وكان قد عرف مكان بعضهم بصراخ الديك ومكان بعضهم
بنباح الكلب ومكان بعضهم بنهيق الحمار فقال قد رايتم الخيرة فيما قدر الله
فلو لم يهلكهم الله لهلكتم وهلكنا وهكذا روي ان نبيا يتعبد في جبل وكان
في القرب منه عين فاجتاز بها فارس وشرب ونسي عندها صرة فيها دنانير فجاء
آخر فاخذ الصرة ثم جاء رجل فقير على ظهره حزمة حطب فشرب واستلقى يستريح
فرجع الفارس في طلب الصرة فلم يرها فاخذ الفقير فطلبه وعذبه فلم يجد ما عنده
فقتله فقال النبي عم الهي ما هذا اخذ الصرة ظالم آخر وسلطت هذا الظالم
على هذا الفقير حتى قتله فاوحى الله تعالى اليه اشتغل بعبادتك فليس معرفة اسرار
الملك من شانك ان هذا الفقير كان قد قتل ابا الفارس فمكنته من القصاص
وان ابا الفارس كان قد اخذ من مال آخذ الصرة فرددته اليه من تركته فمن
ايقن مثال هذه الاسرار لم يتعجب من افعال الله تعالى وتعجب من جهل نفسه ولم
يقل لم وكيف فيرضى فيما دبره الله في ملكوته وههنا وجوه اربع تتشعب
عن محض المعرفة بجمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة الى المسببات
ومعرفة قضاء الاول الذي هو كلمح البصر ومعرفة القدر الذي هو سبب ظهور تفاصيل القضاء

وانها رتبت على اكمل الوجوه واحسنها وليس في الامكان احسن منها واكمل ولو كان
وادخر لكان بخلا لا جودا او عجزا يناقض القدرة وينطوي تحت ذلك معرفة
سر القدر وكما ان من ايقن ذلك لم ينطو ضميره الا على الرضاء فكذلك كل
ما يجري من الله وشرح ذلك يطول ولا رخصة فيه ايضا فلنجاوزه **فصل**
لعلك تقول كيف اجمع بين الرضاء بقضاء الله تعالى وبين بغض اهل الكفر
والعصيان وقد تعبدت به شرعا وذلك من الله تعالى فيهم فاعلم ان طائفة
من الضعفاء ظنوا ان ترك الامر بالمعروف من جملة الرضاء بالقضاء وسموه
حسن الخلق وهو جهل محض بل عليك ان ترضى وان تكره جميعا والرضاء والكراهية
يتضادان اذا توارد على شيء واحد من وجه واحد ولا يتناقض ان يقتل
عدوك الذي هو عدو عدو لك ايضا فترضاه انه من حيث عدوك وتكرهه
انه من حيث عدو عدوك فكذلك للمعصية وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه بقضائه
ومشيته فهو من هذا الوجه مرضي به ووجه الى العاصي من حيث انه صفته
وكسبه وعلامة كونه ممقوتا من الله تعالى فهو من هذا الوجه ممقوت ومكروه وقد تعبدك الله تعالى
ببغض من يبغضه من المخالفين لامره فعليك بما تعبدك به والامتثال له
ولو قال لك محبوبك اني اريد ان امتحن حبك بان اضرب عبدي وارهقه الى ان يشتمني

فمن ابغضه فهو محبي ومن احبه فهو عدوي فيمكنك ان تبغض عبده اذا شتمه مع انك
تعلم انه الذي اضطره الى الشتم وكان ذلك مراده منه فتقول اما فعله في الشتم
فاني ارضى به من حيث انه تدبير في عبدك ومرادك ممن اردت ابعاده واما شتمه
من حيث هو صفته وعلامة عداوته فاني ابغضه لاني احبك فابغض لا محالة من عليه
علامة عداوتك وهذه دقيقة زل فيه الضعفاء فلذلك نبهنا فتوقف فيها **فصل**
كذلك ينبغي ان لا تظن معنى الرضاء بالقضاء ترك الدعاء بل ترك السهم الذي ارسل
اليك حتى يصيبك مع قدرتك على دفعه بالترس بل تعبدك الله تعالى بالدعاء ليستخرج
به من قلبك صفاء الذكر وخشوع القلب ورقته لتستعد به لقبول الالطاف
والانوار فمن جملة الرضاء بقضائه ان تتوصل الى محبوباته بمباشرة ما جعله سببا له
بل ترك الاسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة لرضاه فليس من الرضاء للعطشان
ان لا يمد اليد الى الماء البارد زاعما انه رضي بالعطش الذي هو من قضاء الله بل من
قضاء الله تعالى ومحبته ان يزال العطش بالماء فليس في الرضاء بالقضاء ما يوجب الخروج
عن حدود الشرع ورعاية سنة الله تعالى اصلا بل معناه ترك الاعتراض على الله تعالى
ظاهرا واضمارا مع بذل الجهد في التوصل الى محاب الله تعالى من عباده وذلك
بحفظ الاوامر والنواهي **الاصل العاشر ذكر الموت** اعلم ان المقامات التسع التي ذكرناها
ليست على رتبة واحدة

بل بعضها مقصودة لذاتها كالمحبة والرضا فانها اعلى المقامات وبعضها مطلوبة
لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر اذ التوبة رجوع عن طريق البعد الى طريق
القرب والزهد ترك الشواغل عن القرب والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل
والصبر جهاد مع الشهوات القاطعة لطريق القرب وكل ذلك غير مطلوبة لذاته بل المطلوب
القرب وذلك كالمحبة والمعرفة فانها مطلوبة لذاتها لا لغيرها ولكن لا يتم ذلك الا بقطع
حب غير الله تعالى عن القلب فاحتيج الى الخوف والصبر والزهد لذلك ومن الامور العظيمة
النفع فيه ذكر الموت فلذلك اوردناه ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره اذ به ينقص
حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه
فانه ملاقيكم وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقال من كره لقاء الله
كره الله لقاءه وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء
احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمجلس وقد استعلاه الاكثر الضحك فقال عم شوبوا مجلسكم بذكر هادم اللذات
قيل وما هو قال الموت وقال عم لو تعلم البهائم ما يعلم ابن آدم ما اكلتم منها
سمينا وقال كفى بالموت واعظا وقال تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا
فالصامت الموت والناطق القران وذكر رجل عنده عم واحسن الثناء عليه فقال

فقال كيف كان ذكر صاحبكم الموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم
ليس هنالك وقال رجل من الانصار يا رسول الله من اكيس الناس واكرم الناس فقال اكثرهم
للموت ذكرا واشدهم له استعدادا اولئك الاكياس ذهبوا براحة الدنيا وكرامة الاخرة

فصل اعلم ان الموت عظيم هايل وما بعده اعظم منه وفي ذكره منفعة عظيمة فانه
ينقص الدنيا ويبغضها الى القلب وبغضها راس كل حسنة كما ان حبها راس
كل خطيئة وللعارف في ذكره فايدتان احديهما النفرة عن الدنيا والاخرى
الشوق الى الآخرة فان المحب لا محالة مشتاق ومعنى الشوق في المحسوسات استكمال الخيال
بالترقي الى المشاهدة فان المشتاق اليه مدرك لا محالة بالخيال وغايب عن الابصار
واحوال الآخرة ونعيمها وجمال الحضرة الربوبية مدرك كل ذلك للعارف يعرفه كانه
ينظر من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار وضعف النور فهو مشتاق الى استكمال
ذلك بالتجلي والمشاهدة ويعلم ان ذلك لا يكون الا بالموت فلذلك لا يكره الموت لانه لا يكره
لقاء الله تعالى ولا سبب لاقبال الخلق على الدنيا الا قلة التفكر في الموت وطريق التفكر فيه
ان يفرغ الانسان قلبه عن كل فكر سواه ويجلس في خلوة ويباشر ذكر الموت بصميم قلبه
ويتفكر اولا في اخوانه واحبابه واشكاله الذين مضوا فيذكرهم واحدا واحدا ويتذكر
حرصهم واملهم وركونهم الى الجاه والمال ثم يتذكر مصارعهم عند الموت وتحسرهم على فوات
العمر وتضييعه

ثم يتفكر في اجسادهم كيف تمزقت في التراب وصارت جيفة يأكلها الديدان ثم يرجع الى نفسه
ويعلم انه كواحد منهم امله كآمالهم ومصرعه كمصرعهم ثم ينظر في اعضائه وينظر كيف تتفتت
والى حدقته كيف يأكلها الدود والى لسانه كيف يتبدد ويصير جيفة في قبره فاذا فعلت ذلك
تنغص عليك الدنيا وكنت سعيدا اذ السعيد من وعظ بغيره فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايها الناس كان الموت على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذين نشيع من الاموات
سفر عن قريب الينا راجعون نبوئهم اجداثهم وناكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل
واعظ وامنا كل جائحة **فصل** اصل الغفلة عن الموت طول الامل وذلك عين الجهل ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت
فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حيوتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري
ما اسمك غدا وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي خصلتان اتباع الهوى وطول الامل
واشترى اسامة شيئا الى شهر بمائة فقال عم الا تعجبون من اسامة المشترى الى شهر ان
اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان
حتى يقبض الله عز وجل روحي ولا رفعت طرفي الا وظننت اني واضعها ولا لقمت لقمة الا ظننت
اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم
في الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وقال صلى الله عليه وسلم

نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقال عليه السلام
اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم قال قصروا آمالكم واجعلوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا
من الله حق الحياء **فصل** اعلم ان العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن
عن ذكر الموت بل حاله الفناء في التوحيد لا التفات الى ماض ومستقبل ولا الى حال
من حيث انه حال بل هو ابن وقته بمعنى انه كالمتحد بمذكوره ليست احواله متحدا بالذات
فلا تغفل فتغلط وتسئ الظن وكذلك يخالف الخوف والرجاء لانهما سوطان
يسوقان العبد الى هذه الحالة التي هو ملابسها بالذوق فكيف يذكر الموت وانما يراد
ذكر الموت ليقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت والعارف قد مات مرة في حق الدنيا
وفي حق كل ما يفارقه بالموت فانه قد ترفع وتنزه عن الالتفات الى الآخرة ايضا
فضلا عن الدنيا وقد تنغص عليه ما سوى الله عز وجل ولم يبق له من الموت
الا كشف الغطاء ليزداد به وضوحا لا ليزداد يقينا وهو معنى قول علي رضي الله تعالى عنه
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الناظر الى غيره من وراء ستر رقيق
لا يزداد برفع الستر يقينا بل وضوحا فقط فاذا ذكر الموت يحتاج اليه
من في قلبه التفات الى الدنيا ليعلم انه سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها
ولذلك قال عم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت
فانك مجزي به

فصل لعلك تشتهي ان تعرف حقيقة الموت وماهيته ولن تعرف ذلك ما لم تعرف حقيقة الحيوة
ولن تعرف حقيقة الحيوة ما لم تعرف حقيقة الروح وهي نفسك وحقيقتك وهي اخفى الاشياء
عنك ولا تطمع في ان تعرف ربك قبل ان تعرف نفسك واعني بنفسك روحك التي هي خاصية الامر
المضافة الى الله تعالى في قوله قل الروح من امر ربي وفي قوله ونفخت فيه من روحي دون الروح
الجسماني اللطيف الذي هو حامل قوة الحس والحركة التي تنبعث من القلب وتنتشر في جملة
البدن في تجاويف العروق الضوارب فيفيض فيها نور الحس على العين ونور السمع على الاذن
وكذلك ساير القوى والحواس كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا ادبر
في جوانبه فان هذه الروح تشارك البهائم فيها وتنمحي بالموت لانه بخار اعتدل نضجه
عند اعتدال مزاج الاخلاط فاذا انحل المزاج بطل كما يبطل النور الفائض من السراج
عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه او بالنفخ فيه وبانقطاع الغذاء عن
الحيوان تفسد هذه الروح لان الغذاء له كالدهن للسراج والقتل له كالنفخ في
السراج فهذه هي الروح التي يتصرف في تعديلها وتقويتها علم الطب ولا يحتمل هذه
الروح المعرفة والامانة بل الحامل للامانة الروح الخاصية للانسان ونعني بالامانة
تقلد عهدة التكليف بان يتعرض لخطر الثواب والعقاب في الطاعة والمعصية وهذه الروح لا تموت
ولا تفنى بل تبقى بعد الموت اما في نعيم وسعادة او جحيم وشقاوة فانه محل المعرفة والتراب

اي الادلة النقلية

لا ياكل محل المعرفة والايمان اصلا كما نطق به الاخبار وشهدت له شواهد الاستبصار
ولم ياذن الشرع في تحقيق ذكر صفته اذ لا يحتمله الا الراسخون في العلم وكيف نذكر
وله من عجائب الاوصاف ما لم يحتمله اكثر عقول الخلق في حق الله تعالى فلا تطمع في ذكر
حقيقته وانتظر تلويحا يسيرا في ذكر صفته بعد الموت **فصل** هذه الروح
لا تفنى البتة ولا تموت بل يتبدل حالها فقط ويتبدل منزلها فتترقى من منزل
الى منزل والقبر في حقها اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
اذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها البدن واقتناصها اوائل المعرفة
بواسطة شبكة الحواس والبدن آلتها ومركبها وشبكتها وبطلان الآلة والمركب
والشبكة لا يوجب بطلان الصياد نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد
فبطلانها غنيمة اذ يتخلص من حملها ونقلها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الموت تحفة
المؤمن وان بطلت الشبكة قبل الصيد عظم فيه الحسرة والندامة والالم ولذلك يقول
المقصر رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت بل ان كان الف الشبكة واحبها وتعلق
قلبه بها وبحسن صورتها وصنعتها وما يتعلق بها كان له من العذاب ضعفان
احدهما حسرة فوات الصيد الذي لم يقتنص الا بشبكة البدن والثاني زوال الشبكة مع
تعلق القلب بها والفه لها وهذا مبدأ من مبادي معرفة عذاب القبر ان استقصيته
تحققته قطعا

فصل لعلك تشتهي استقصاء المفضي الى التحقيق فاعلم ان هذا الكتاب لا يحتمله
فاقنع منه بالانموذج اليسير وافهم ان معنى الموت زمانة اليد وانت تعرف زمانة اليد خروجها
عن طاعتك مع وجود شخصها لبطلان القوة التي بواسطتها تستعمل اليد
فافهم ان الموت زمانة مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان قواها وسلب الموت يديك منك صح
ورجلك وعينيك وساير حواسك وانت باق على حقيقتك التي انت بها انت
فانك الآن الانسان الذي كنت في الصبا ولعله لم يبق فيك من تلك الاجسام
شيء بل انحلت كلها وحصل بالغذاء بدلها وانت انت وجسدك غير ذلك
الجسد وان كان لك معشوق تفتقر فيه الى حواسك عظم عذابك لفراقك معشوقك
وجميع ما في الدنيا معشوق ولا ينال الا بالحواس ولا فرق في عذاب العاشق
بين ان يحجب عنه معشوقه وبين ان يعمى عينه او يسلب هو عنه بان يحمل الى
موضع حتى لا يراه فان الالم في عدم ومن احب اهله وماله وعقاره وفرسه
وجاريته وثيابه تالم بفراقها سواء سلبت جميع الاشياء عنه او سلب هو عنها
بان حمل الى موضع آخر وحيل بينه وبينها والموت سلبك عن هذه الاشياء وتحول
بينك وبينها فيكون عذابك بقدر عشقك لها والموت يخلي بينك وبين الله تعالى ويقطع عنك
هذه الحواس الشاغلة المشوشة فتكون لذتك في القدوم على الله عز وجل بقدر حبك له

١١٧

وانس بذكره ولاجل هذا انبهك وقال انا بدك اللازم فالزم بدك (الله يا داود) واجمع العبادات
عن نعيم اهل الجنة ان لهم فيها ما يشتهون واجمع العبارات لعذاب الآخرة قوله
وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا ملذ الا الشهوة ولكن عند مصادمة المشتهى
ولا مولم الا الشهوة ولكن عند مفارقة المشتهى ولا ينبغي ان تغتر الآن فتقول
ان كان هذا سبب عذاب القبر فانا في امان منه اذ لا علاقة بيني وبين متاع الدنيا
فان هذا لا تدركه بالحقيقة ما لم تقطع الدنيا وتخرج عنها بالكلية فكم من رجل
باع جارية على ظن انه لا علاقة بينه وبينها فلما اخذها المشتري اشتعل
قلبه من نيران الآخرة الفراق واحترق بها احتراقا رمى القى نفسه في الماء او النار
ليقتل نفسه ويتخلص منها فكذلك يكون حالك في القبر في كل ما تعلق به قلبك في الدنيا
ولذلك قال المصطفى احبب ما احببت فانك مفارقه ووراء هذا عذاب اعظم منه وهو حسرة
الحرمان عن القرب من الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وينكشف بالموت عظم قدر ما فات
منه وان كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت لان الموت سبب الانكشاف ما لم يكن انكشف مثله
كما ان النوم سبب لانكشاف الغيب بمثال او غير مثال والنوم اخو الموت ولكنه دونه بكثير
فهذان عذابان يتضاعفان على كل ميت كان غير الله احب اليه من الله تعالى وكان انسه
بغير الله اكثر من انسه بالله تعالى وهما ضروريان ان عرفت بالحقيقة الروح وبقاءه
بعد الموت وعلايقه وما يضاده بالطبع وما يوافقه
بالطبع

واما احصاء عددها في تسعة وتسعين فيوقف عليه بنور النبوة فقد فهذا
التنين متمكن من صميم فؤاد الكافر بمجرد جهله بالكفر بل بما يدعو اليه الكفر
كما قال الله تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وقال تعالى اذهبتم
طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها الآية وهذا التنين لو كان كما تظنه خارجا
عن ذات الميت لكان اهون اذ ربما يتصور ان ينحو وهو عنه لا بل هو متمكن
من صميم فؤاده يلدغه لدغا اعظم مما تفهمه من لدغ التنين وهو بعينه صفاته
التي كانت معه في حيوته كما ان التنين الذي يلدغ قلب العاشق اذا باع جارية
وهو بعينه العشق الذي كان متمكنا في قلبه استكنان النار في الحجر وهو غافل عنه
فقد انقلب ما كان سبب لذته سبب المه وهذا سر ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما هي اعمالكم ترد عليكم وقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد
بل سر قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اي الجحيم في باطنكم فاطلبوها
بعلم اليقين لترونها قبل ان تدركوها بعين اليقين بل سر قوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يقل انها ستحيط بل قال هي محيطة
وقوله انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها ولم يقل يحيط بهم

وهو

١١٨

وهو معنى من قال ان الجنة والنار مخلوقتان وقد انطق الله سبحانه لسانه
بالحق ولعله لا يطلع على سر ما يقوله فان لم تفهم بعض معاني القران كذلك
فليس لك نصيب من القران الا في قشوره كما ليس للبهيمة نصيب من البر الا في قشوره
الذي هو التبن والقران غذاء الخلق كلهم على اختلاف اصنافهم ولكن
اغتذاؤهم به على قدر درجاتهم وفي كل غذاء مخ ونخالة وتبن وحرص
الحمار على التبن اشد منه على الخبز المتخذ من اللب وانت شديد الحرص على ان لا تفارق
درجة البهيمة ولا تترقى الى رتبة الانسانية بل الملكية فدونك والانسراح
في رياض القرآن ففيه متاع لكم ولانعامكم فان قلت فهو يتمثل هذا
التنين تمثلا يشاهد مشاهدة تضاهي ادراك البصر ام هو تألم محض
في ذاته كتألم العاشق اذا حيل بينه وبين معشوقه فاقول لا بل يتمثل
حتى يشاهد لكن تمثلا روحانيا لا على وجه يدركه من هو بعد في عالم الشهادة
اذ ينظر في قبره فان ذلك من عالم الملكوت نعم العاشق ايضا قد ينام فيتمثل له
حاله في المنام فربما يرى حية تلدغ صميم فؤاده لانه بعد بالنوم من عالم
الشهادة قليلا فيتمثل له حقايق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة منكشفا له
من عالم الملكوت والموت ابلغ في الكشف من النوم لانه اقمع لنوازع الحس والخيال

وابلغ فى تجريد الروح من غشاوة هذا العالم فلذلك يكون هذا التمثل تاما محققا
دائما لا يزول فانه نوم لا ينتبه منه الا يوم القيمة لقد كنت فى غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد واعلم ان المتيقظ بجنب النايم
ان كان لا يشاهد الحية التى تلدغ النايم فذلك غير مانع
من وجود الحية فى حقه وحصول الالم به كذلك
حال الميت فى القبر **وصل** لعلك تقول قد ابتدعت قولا مخالفا
للمشهور ومنكرا عند الجمهور اذ زعمت ان انواع عذاب الآخرة مدرك بنور
البصيرة والمشاهدة ادراكا مجاوزا حد تقليد الشرايع فهل يمكنك ان تكشف لى
حصر اصناف العذاب وتفاصيله فاعلم ان مخالفتى للجمهور لا انكرها وكيف
ينكر مخالفة المسافر للجمهور والجمهور مستقرون فى البلد
الذى هو مسقط رؤسهم ومحل ولادتهم وهو المنزل
الاول من منازل وجودهم وانما المسافر منهم الآحاد
واعلم ان البلد منزل البدن والقالب وانما منزل الروح
الانسانى عوالم الادراكات والمحسوسات منزله الاول والمتخيلات
منزله الثانى والموهومات منزله الثالث وما دام الانسان فى المنزل الاول فهو دود وفراش فان الفراش ليس له الا الاحساس ولو كان له تخيل وحفظ للمتخيل

بعد

بعد الاحساس لما تهافت على النار مرة بعد اخرى وقد تاذى بها اولا فان الطير وساير الحيوانات
اذا تاذى فى موضع بالضرب يفر منه ولم يعاوده لانه بلغ المنزل الثانى وهو حفظ
المتخيلات بعد غيبوبتها عن الحس وما دام الانسان فى المنزل الثانى بعد فهو بهيمة ناقصة انما حق
ان يحذر عن شئ تاذى به وما لم يتاذ بشئ فلا يدرى انه يحذر منه وما دام فى
المنزل الثالث هو الموهومات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلا فانه يحذر من الاسد اذا رآه اولا
وان لم يتاذ به قط فلا يكون حذره موقوفا على ان يتاذى به مرة بل الشاة
ترى الذئب اول مرة فتحذره وترى الجمل والبقر وهما اعظم منه شكلا واهول منه صورة
فلا تحذرهما اذ ليس من طبعهما ايذاء وهؤلاء الى الآن يشاركه البهايم
وبعد هذا يترقى الانسان الى عالم الانسانية فيدرك اشياء لا يدخل فى حس
ولا تخيل ولا توهم ويحذر به الامور المستقبلة ولا يقتصر حذره الى العاجلة اقتصار
حذر الشاة على ما تشاهد فى الحال من الذئب ومن ههنا تصير حقيقة الانسانية
والحقيقة هى الروح المنسوبة الى الله تعالى فى قوله ونفخت فيه من روحى وفى هذا العالم يفتح له
باب الملكوت فيشاهد الارواح المجردة عن كسوة التلبيس وعشاق الاشكال
وهذا العالم لا نهاية له اما عوالم المحسوسات والمتخيلات والموهومات فمتناهية لانها
مجاورة للاجسام وملتصقة بها والاجسام لا تتصور غير متناهية والسير

في هذا العالم مثاله المشي على الماء ثم يترقى منه الى المشي في الهواء ولذلك لما
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام مشى على الماء فقال نعم ولو ازداد يقينا
لمشى في الهواء واما الترقي في المحسوسات فهو كالمشي على الارض بينها وبين الماء
عالم يجري مجرى السفينة وفيها تتولد درجات الشياطين حتى يجاوز الانسان
عوالم البهائم فينتهي الى عالم الشياطين ومنها يسافر الى عالم الملائكة وقد
ينزل فيه ويستقر وشرح ذلك يطول وهذا العالم كلها منازل الهدى ولكن
الهدى المستوي الى الله يوجد في العالم الرابع وهو عالم الارواح وهو قوله
قل ان الهدى هدى الله ومقام كل انسان ومحله ومنزلته في العلو والسفل
بقدر ادراكه وهو قول علي رضي الله تعالى عنه الناس ابناء ما يحسنون فالانسان
بين ان يكون دودا او حمارا او فرسا او شيطانا ثم يجاوز ذلك فيصير ملكا والملائكة
درجات فمنهم الارضية ومنهم السماوية ومنهم المقربون الم يرتفعوا عن الالتفات
الى السماء والارض قاصر من نظرهم على جمال الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه
خاصة وهم ابدا في دار البقاء اذ ملحوظهم هو الوجه الباقي وما عدا ذلك فالى
الفناء مصيره اعني السماء والارض وما يتعلق بهما من المحسوسات والمتخيلات
والموهومات وهو معنى قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام

وهذه العوالم منازل سفر الانسان فيها ليترقى من حضيض درجة البهائم
الى يفاع درجة الملائكة ثم يترقى من رتبتهم الى رتبة العشاق منهم
وهم العاكفون على ملاحظة جمال الوجه يسبحون للوجه ويقدسونه بالليل
والنهار لا يفترون فانظر الآن الى خسة الانسان وشرفه والى بعد مراتبه
في معراجه والى انحطاط درجته في تسفله وكل الآدمي مردود من
الى اسفل السافلين ثم الذين امنوا وعملوا الصالحات يترقون منها
فلهم اجر غير ممنون وهو جمال الوجه وبهذا يفهم معنى قوله انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان الآية لان معنى الامانة التعرض للعهدة والخطر ولا خطر على سكان
الارض وهم البهائم اذ ليس لهم امكان الترقي من المنزل الثالث ولا خطر على الملائكة
اذ ليس لهم خطر الانحطاط الى حضيض عالم البهائم وانظر الى الانسان وعجائب
عوالمه كيف يعرج الى السماء العلو رقيا ويهوي الى الارض الحقيرة هويا متقلدا هذا
الخطر العظيم الذي لم يتقلده في الوجود غيره فيا مسكين كيف تلذذني بالعافية
وتخوفني عن مجاوزة الجمهور ومخالفة المشهور وبذلك مرحي وسروري ان الذي يكون
متى ذكر الذي يشتهيه قلبي فاطو طومار الهذيان ولا تقعقع لي بعد هذا بالشنان

اي خوف جهنم

فذلك [illegible] في مقام الحيوان لم [illegible] ولم [illegible] واحوال

الشن بفتح الشين [illegible] والشنان جمع

فصل واما مطالبتك اياي بتفصيل عذاب الآخرة وذكر اصنافه
فلا تطمع بالتفصيل فذلك داعية الى الملال والتطويل واقنع بذكر الاوصاف فقد
ظهر لي بالمشاهدة ظهورا اوضح من لحظ العيان ان اصناف عذاب الآخرة ثلثة اعني
الروحاني منها فرقة المشتهيات وخزي خجلة الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات
فهذه ثلثة انواع من النيران الروحانية تتعاقب على الروح من آثار الحب في الدنيا
الى ان ينتهي الى مقاساة النار الجسمانية فان ذلك يكون في آخر الامر فخذ الآن شرح
هذه الاصناف الصنف الاول حرق فرقة المشتهيات فصورته المستفاد
من عالم الحس والتخيل التنين الذي وصف الشرع وعدد رؤوسه وهي عدد الشهوات
ورذايل الصفات تلدغ صميم الفؤاد لدغا مولما وان كان الذي يعبر عنه
فقدر في عالمك هذا ملكا مستوليا على جميع الارض متمكنا من جميع اللذات متمتعا
بها مشتهرا بالوجوه لكن متهالكا عليها مشغوفا بالامارة واستتباع
الخلق بالطاعة مطاعا فيهم فافضه عدوه واسترقه واستعمل على ملاء من رعيته
في تعهد كلابه وصار يتمتع بنعمته ويستمتع باهله وجواريه بين يديه ويتصرف
في خزائنه وذخاير امواله فيفرقها على اعدائه ومعانديه فانظر الآن هل ترى على
قلبه تنينا ذا رؤس كثيرة تلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه وهو يود لو انه

بدنه

يبتلى بدنه بامراض والآم ليتخلص منه فتوهم هذا فربما تستشعر قليلا من الحطمة التي فيها نار
الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده
واعلم ان عذاب كل ميت بقدر رؤس هذا التنين وعدد الرؤس بعدد المشتهيات
ولهذا من كان افقر وتنعم بالدنيا اقل كان العذاب عليه اخف ومن لا علاقة له مع الدنيا اصلا
فلا عقاب عليه اصلا الصنف الثاني خزي خجلة الفاضحات فقدر رجلا خسيسا رذلا
فقيرا جاء فقربه ملك من الملوك ورفعه وقواه وخلع عليه وسلم اليه نيابة ملكه ومكنه من
دخول حريمه وجملة خزائنه اعتمادا على امانته فلما عظمت عليه نعمته طغى وبغى وصار يختزل قطعا
من خزائنه ويفجر باهله وبناته وسرياته وهو في جميع ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد
انه غير مطلع على خيانته فبينما هو في غمرة فجوره وخيانته اذ لاحظ روزنة فرأى
فيها الملك مطلعا عليها منها واعلم انه يطلع كل يوم ولكن يغضي عنه ويمهله حتى
يزداد خبثا وفجورا ويزداد استحقاقا للنكال ليغضب عليه بالآخرة انواع العذاب
فانظر الى قلبه كيف يحترق بنار الخزي والخجل وبدنه بمعزل عنه وكيف يود ان يعذب
بدنه بكل عذاب ولا ينكتم خزيه فكذلك انت تتعاطى في الدنيا اعمالا هي مشتهيات لك
ولتلك الاعمال ارواح وحقايق خبيثة قبيحة انت جاهل بها معتقد حسنها
فينكشف لك في الآخرة حقايقها في صورها القبيحة فتخزى وتجد خجلا تؤثر عليها
الم بدنك

فان قلت كيف ينكشف لي ارواحها وحقايقها فاعلم انك لا تفهم الا بمثال
فمن جملته مثلا ان يوذن رجل في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام ان
بيده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج النساء فيقول له ابن سيرين
هذا رايته لاذانك قبل الصبح فتامل الآن انه لما بعد بالنوم قليلا من
عالم الحس الجسماني انكشف له روح عمله لكن لما كان بعد في عالم التخيل
لان النايم لا يزول تخيله غشاه الخيال بمثال متخيل وهو الخاتم
والختم لكنه مثال ادل على روح العمل من نفس الاذان لان عالم المنام اقرب
الى عالم الآخرة والتلبس فيه اضعف قليلا وليس يخلو عن تلبيس ولاجله
يحتاج الى التعبير فلو قال قائل لهذا المؤذن اما تستحيي ان تختم افواه الرجال
وفروج النساء لقال معاذ الله ان افعل هذا فهو يتاكد لانه يجهله مع انه فعله
لان روحه قاصرة عن ادراك ارواح الاشياء وكذلك لو اكلت لحما طيبا
على اعتقاد انه لحم طير فقال لك قائل اما تستحيي ان تاكل لحم اخيك الميت فلان
لقلت معاذ الله ان افعل ذلك ولان اموت جوعا اهون على من ذلك
فنظرت فاذا هو لحم اخيك الميت قد طبخ وقدم اليك ولبس عليك فانظر
كيف تخزى وتفتضح به وبذنك في معزل من المه فكذلك يرى المغتاب نفسه

في الآخرة

122

الآخرة ولان روح الغيبة تمزيق اعراض الاخوان والتفكه بها وفي عالم
الآخرة تنكشف ارواح الاشياء وحقايقها وكذلك لو كنت ترمي حجارة الى
حايط فقال لك قائل اما تستحيي ان تفعل ذلك والحجارة ترتد من الحايط و
تقع في دارك وتصيب حدقة اولادك فقد عميت احداقهم كلهم لقلت معاذ الله
ان افعل ذلك فقال ادخل دارك فدخلت فاذا هو كذلك فانظر كيف تفتضح وتحرق
قلبك تحسرا على عملك الذي ظننت انه هين وهو عند الله عظيم وهذا روح
حسدك لاخيك فانك تحسده ولا تضره وينعكس عليك ويهلك دينك وتنقل
حسناتك الى ديوانه وهي قرة عينك فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة وبذنك بمعزل
عنه فالقرآن كثيرا ما يعبر عن الارواح فلذلك قال الله في الغيبة ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال في الحسد يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
فيكفيك من المثال امثال الاذان والغيبة والحسد وقس عليه كل فعل نهاك الشرع
عنه فذلك يقبح روح الفعل وحقيقته في حسن ظاهره ايضا من مشكوة
نور الله عز وجل ومن هذا عبر الشرع حيث قال تعرض الدنيا يوم القيمة
في صورة عجوز شوهاء زرقاء صفتها كيت وكيت لا يراها احد الا و
يقول اعوذ بالله عنها فيقال هذه دنياكم التي كنتم تتهالكون عليها

اي ظاهره حسن للبصر الظاهر
وباطنه قبيح للبصيرة الظاهرة

فيصادفون في نفوسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثرون النار عليه
فان اردت ان تفهم كيفية هذه الحالة فاسمع حكاية رجل من ابناء الملوك تزوج
باجمل امراة من بنات الملوك فخرج من الدار وقد سكر وراى ضوء سراج فقصده
على ظن انه من حجرته فدخل الموضع فراى جماعة نياما فصاح بهم فلم يجيبوه
فطلب العروس فراى واحدة نايمة في ثياب جديدة فظن انها العروس فضاجعها واخذ
يقبلها ويغشاها ويجعل لسانه في فيها ويمص ريقها ويتلذذ بذلك في سكره
غاية التلذذ ويتمسح بالرطوبات التي تصيبه من جميع بدنها على ظن ان ذلك
عطر ادخرته له فلما اصبح افاق فاذا هو في ناووس المجوس واذا النايم
موتى وهذه عجوز شوهاء قريبة العهد بالموت عليها الحنوط وكفنها جديد
فصادف في فمه وانفه من رطوبات ريقها ومخاطها وعلى بدنه من قاذورات
اسافلها واذا هو من قرنه الى قدمه ممتلي من قاذوراتها ثم تفكر
في غشيانه اياها وابتلاعه ريقها فهجم على قلبه من الخزي ما تمنى ان يخسف
به الارض حتى ينسى ما جرى عليه ولا يزال يعاوده ذكره ولا ينساه
اصلا بل يجد نفسه ما عملت من سوء محضرا يود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا او بدنه بمعزل عن هذا الخزي والالم وهو في عذاب دايم من الغثيان

[هامش: ... وسكر واخطأ باب حجرته]

والقي

والقيء ويذكر تلك المخازي ويحذر ان يطلع عليه احد فيفتضح خزيه فاذا
هو بابيه وجميع حشمه قد جاؤوا في طلبه واطلعوا على جميع مخازيه فهذه حال من
تمتع بالدنيا ينكشف له كذلك في الآخرة روحه وحقيقته وهو معنى قوله
وحصل ما في الصدور اي يعرض عليها حاصلها اي روحها وحقيقتها
ومعنى قوله يوم تبلى السرائر اي يكشف عن اسرار الاعمال وارواحها القبيحة والحسنة
ولما ان اطيب الاطعمة رجيعه اقذر والنتن كذلك تنعمات الدنيا وحاصلها
وسرها في الآخرة اقبح وافضح ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا
بالطعام وعاقبتها بالرجيع الصنف الثالث حسرة فوات المحبوب فقدر
نفسك مع جماعة من اقرانك دخلتم في ظلمة فكان فيها حجارة لا يرى الوانها فقال
اقرانك نحمل من هذا ما نطيق فلعله يكون فيه ما ننتفع به اذا خرجنا من الظلمة
فقلت ماذا اصنع بها اتحمل في الحال ثقله واكد نفسي فيه وانا لا ادري
ما عاقبته ما هذا الا جهل عظيم فان العاقل لا يترك الراحة نقدا بما يتوقعه
نسية ولا يستيقنه فاخذ كل واحد من اقرانك ما اطاق اخذه واعرضت عن
ذلك تستحمقهم وتسخر بهم لانهم ينوؤن تحت اعبائه وثقله وانت مرفه في الطريق
تعدو وتضحك منهم فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا هي جواهر ويواقيت

يساوي كل واحد الف دينار فاقبلوا على بيعها وتوصلوا بها الى الجاه
والنعمة واصبحوا ملوك الارض واستسخروك لتعهد دوابهم وينفقون عليك كل
يوم قدرا يسيرا من فضلات الطعام فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة في قلبك وبدنك
بنزاعه وكم تقول يا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله ويا ليتنا نرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل وتقول لهم افيضوا علينا من الماء او مما افيض عليكم فيقولون
هذا حرام عليك الم تكن تسخر منا وتضحك فلا بد ان نسخر اليوم منك كما كنت تسخر
فلا يزال ينقطع نياط قلبك من التحسر ولا ينفعك التحسر لكن تتسلى وتقول الموت
يخلصني من هذا فاعلم ان حال تارك الطاعات في الآخرة كذلك ينكشف له
ولكن لا يطمع في الموت المخلص بل حسرة ابدية والالم يتضاعف كل يوم وان كان الذين
بنزاعهما وعنه العبارة بقوله تعالى افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين وكذلك يفيض على اهل المعرفة والطاعة
من انوار جمال الوجه ما يحصل به من اللذة مبلغ لا يوازيه نعيم الدنيا بل يعطى
آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد به الخبر لا بمعنى تضاعف
المقدار بالمساحة بل تضاعف الارواح كما ان الجوهرة تكون عشرة امثال
فرس لا بالوزن والمقدار بل بروح المالية اذ قيمته عشرة امثاله واعلم

ان

ان تحريم تلك اللذة وافاضتها عليهم ليس من جنس تحريم الرجل نعمة على عبده بغضب او باختيار
حتى هو يتصور تغييره بل هو كتحريم الله تعالى على الابيض ان يكون اسود في حالة البياض
وعلى الحار ان يكون باردا في حال الحرارة وذلك لا يتصور فيه التبديل بل مثال ذلك
ان يقول رجل شيخ للعالم الكامل وهو من الجهال الذي كان بليدا في اصل الفطرة ولم
يمارس قط علما ولم يتعلم لغة افض على قلبي من دقائق علومك فيقول ان الله تعالى حرمه على الجاهلين
معناه ان الاستعداد للقبول انما يكتسب بذكاء فطري وممارسة طويلة للعلم
بعد تعلم اللغة والعربية وامور اخر كثيرة فاذا بطل الاستعداد وفات استحالة الافاضة
كما يستحيل افاضة الحرارة على البارد مع بقاء البرودة فلا تظنن ان الله تعالى يغضب عليك
فيعاقبك انتقاما ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول لم تعذبني ولم يضره معصيتي
بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم فاعلم ان هذه الحسرة دائمة لان منشاها تضاد
صفتين لا تزال التضاد بينهما ابدا مثاله ان الذي يعلق بحبل في عنقه او رجله انما يتالم
لتضاد الصفتين لا لصورة الحبل والتعلق لكن صفة الطبيعة تطلب الهوى الى اسفل والمنع
القهري بالحبل يمانع الصفة الطبيعية فيتولد الالم فيه من تمانعهما فكذلك روح
الانسان التي من الروح الالهي باصل فطرته فيحكم الطبع حنين وشوق الى

وله بحكم الطبع

ولها عالم العلوي عالم الارواح والمرافقة الملك الاعلى ولكن اغلال الشهوات

وسلاسلها تجذبها الى اسفل السافلين وهي شهوات الدنيا وهي صفة عارضة قهرت

الصفة الطبيعية ومنعتها عن نيل مقتضاها والالم يتولد من بينهما والثالث ايضا انما

تولم للمضادة فان الملايم للتركيب بقاء الاتصال والنار تضاد الاتصال بالتفريق بين الاجزاء

ولو لم يكن قد رايت النار وسمعت بان شيئا لطيفا تماس بدنك فيولمك لاستنكرته وقلت

شئ لا صلابة فيه كيف يولم بالمس واعلم ان التضاد مولم سواء كان بسبب خارج او داخل

فان سم العقرب يسعى في العضو يولم الفرط برودته المضادة لحرارة البدن

فلا تظنن ان الالام كلها تدخل من خارج فان قلت ان العقرب انما لدغت من خارج

فاعلم ان الم السن والم العين لا يقصر عنه وانما سببه انصباب خلط داخل مضاد

لمزاج العين والسن وليس ذلك باهون من لدغ الحية والعقرب واعلم ان تضاد الصفات

يولم القلب ايلاما لا ينقص عما يولم السن والعين ومثاله في اضعف الصفات ان البخيل

المرائي اذا طلب منه عطية على ملاء من الناس عند من يريد ان يعرفه بالسخاء تالم قلبه

لتضاد صفتين اذ البخل يتقاضاه ان لا يعطي وحب الجاه يتقاضاه ان يعطي

وقلبه بين هاتين الصفتين كشخص ينشر بمنشار بنصفين فهذا مثال حسرة الفوت

وعظمها بقدر ما ينكشف من جلالة قدر الغايب ولا تعلم بالحقيقة في هذا العالم

بل في عالم الكشف وهو نبأ عظيم انتم عنه معرضون واعلم ان هذه الاصناف الثلثة

لها ترتيب فالصنف الاول يلقاه الميت المعذب وهي حرقة فرقة المشتهيات

وذلك تتبين حب الدنيا ولذلك اضيف ذلك الى القبر وانما يبقى هذا الان اغلب الاشياء

على قلب الميت في الحال فراق ما يفوته في الدنيا من جاه ومال ومنصب ونعيم ثم بعد ذلك

ينكشف له اوله الاعمال وحقايقها القبيحة وذلك عند الانعمار التام في الموت

وبعد العهد بغشاوة صفات الدنيا وكل ما كان عقابه في الموت اشد فهو للكشف اقبل

فيفيض عند ذلك عليه الخزي والفضيحة ولذلك اضيف هذا الى القيامة لانه وسط

بين منزل القبر وبين دار القرار ولذلك قال الله تعالى لا يخزي الله النبي والذين امنوا

معه يوم القيمة الصنف الثالث حسرة فوات المحبوبات فتستولي عليه آخرا عند القرار

في النار ففيها يقولوا افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله وذلك ان

بعد العهد عن الدنيا ربما يخفف عنه عذاب النزوع اليها وطول العهد بالكشف يوجب

خروجه عن خزي الافتضاح وان صورة عذاب الخزي تكون عند هجوم الافتضاح

ثم يكف الفضيحة والخزي الفاما ثم عند فتورها قليلا تنبعث حسرة الفوت

اذ يظهر جلالة الغايب ثم تبقى حسرة الفوت آخرا ويشبه ان يكون ذلك لا آخر له

وهذه كلها تعرفه قطعا اذا عرفت نفسك وعرفت انك لا تموت لكن تنحى عنك

وتصح اذنك وتقلع اعضاءك فاما الحقيقة التي انت بها انت فلا تفنى بالموت اصلا

بل تتغير حالك فقط ويبقى جميع معارفك وادراكاتك الباطنة وشهواتك
انما تعذبك بفراق ما احببت واقتضاء حكم بظهور ما ينكشف في تلك الحال
وتحسرك على فوات ما توقف قدرته بعد الموت لا قبله وهذا كله مقدمات
للعذاب الجسماني البدني وذلك ايضا حق وله معان معلومة كما ورد به الآي كالعذاب الروحاني
والاخبار فاقنع الان بهذا القدر فان هذا الكلام يكاد يجاوز حد مثل
هذا الكتاب ولا بد ان يحرك سلسلة الحمقى والجاهلين ولكنهم احق من ان يلتفت
اليهم قال الله عز وجل فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا
ذلك مبلغهم من العلم ولنقتصر على هذا ولنختم به الاصول الاربعين لنختم به
كتاب جواهر القران ومن طلب مزيد اطلاع على هذا فليطلبه من كتاب ذكر الموت من كتب
الاحياء فالغرض الاظهر من هذا الكتاب التلويح مع التشويق الى استقصاء
المذكور في ذلك الكتاب وقد ينكشف اسرار علوم الدين ولا يفرغ عن طلبه الا مشغوف
بالدنيا لا يطلب من العلوم الا ما يتخذ شبكة للحطام وآلة للكسب الحرام فلا يناسبه
علوم ذلك الكتاب ولا يناسبها اصلا

خاتمة في مناظرة النفس

اعلم انا قد نبهناك وشوقناك فان اعرضت عن الاصغاء واصغيت بظاهر قلبك
كما تصغي الى الكلام الرسمي فقد خبت وخسرت وما ظلمت الا نفسك ومن اظلم

ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا فان اصغيت
اصغاء ذي فطنة وبصر حديد وتفكر تفكر من له قلب عتيد او القى السمع وهو شهيد
فاخرج عن جميع ما يصدك عن صراط المستقيم فلا يصدك عنه الا حب الدنيا
والغفلة عن الله تعالى واليوم الآخر واجتهد ان تفرغ قلبك كل يوم ساعة عقيب صلوة
الصبح وذلك عند صفاء الذهن فتفكر في شانك في مبداك ومعادك وتحاسب
نفسك وتقول لها اني مسافر تاجر وربحي سعادة الابد ولقاء الله تعالى وخسراني
شقاوة الابد والحجاب عن الله تعالى وراس مالي عمري وكل نفس من الانفاس كنز من
الكنوز وجوهرة من الجواهر اذ تجارته سعادة الابد واي كنز اعظم من هذا
واذا فني العمر انقطعت التجارة وحصل اليأس وهذا اليوم يوم جديد امهلني
الله تعالى فيه ولو توفاني لاشتهى ان يرجعني الى الدنيا لاعمل صالحا فاحسبي
يا نفس انك قد توفيت ورجعت الى الدنيا يوما واحدا واجتهدي في هذا اليوم
لنفسك فان لم تمهلي الى الغد فقد استوفيت ربح هذا اليوم ولم تتحسري
وان امهلت فاستانفي للغد مثل ذلك ولا تخدعي نفسك بتمني العفو
فان ذلك ظن يكذب ولا ينفع التحسر ثم هب انه قد عفا عنك اليس قد فاتك
ثواب المحسنين

وناهيك بحسرة وندامة فاذا قالت نفسك ماذا اعمل وكيف اجتهد فتقول
اترك ما يفارقك بالموت كما قيل والزمي بدك اللازم وهو الله تعالى واطلبي الانس بذكره
فاذا قالت كيف اترك الدنيا وقد استحكمت علايقها في قلبي فتقول اقبلي
على قطع علايقها من باطن القلب كما علمناك في الاصول العشرة من المهلكات
ففتشي من اغلب علاقة من علايقها من حب مال او جاه او حسد او عداوة
او شهوة بطن او فرج او غير ذلك من المهلكات فليس الا ان تتفكري في عظم
آفاتها واهلاكها اياك فتنبعث لمجاهدتها ومخالفة مقتضاها وقد تخلصت
منها وايدك الله تعالى بتوفيقه ومعونته فقدري انك مريضة العمر مدة الحيوة
وقد انباك طبيب تظنين صدقه ان ملاذ الاطعمة تضرك وان الادوية البشعة
تنفعك الست تصبرين لقول على مرارة الدواء طمعا في الشفاء الست
تصبرين على الكد والتعب في السفر الطويل طمعا في الاستراحة في المنزل
فانت مسافرة ومنزلك الآخرة والمسافر لا يستريح ويتحمل التعب والكد
فان استراح انقطع في الطريق وهلك وتقول يا نفس ما الذي تطلبين
من الدنيا ان طلبت المال وحدت وهيهات فيكون في اليهود جماعة اغنى
منك وان طلبت الجاه فلك وهيهات فيكون في اجلاف الاتراك وحمقى الاكراد

من يستولي عليك ويكون جاهه اعظم من جاهك فان كنت لا تدري فة الدنيا
وشدة عذابها في الآخرة وبلاءها افلا ترفع عنها لخسة شركائها اما
تعلمين انك لو اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة كنت واحد العصر وفريد الدهر
لا يوجد في الاقاليم نظيرك وان طلبت الدنيا كان في اليهود والحمقى من يسبقك بها
فان الدنيا يسبقك بها حمير فتفكري يا نفس وانظري لنفسك فلا ينظر لك احد
غيرك وكذلك لا تزال تناظر نفسك حتى تطاوعك على سلوك صراط المستقيم
الى الله تعالى فهذه المناظرة اهم لك ان كنت عاقلا من مناظرة الحنفية والمعتزلة
وغيرهم فلم تعاديهم وتجادلهم ولا يضرك خطاؤهم وخطاء غيرهم ولا هم
يقبلون منك ولا انت تقبل منهم الصواب وان صار اظهر من الشمس
وتترك اعداء عدوك بين جنبيك فلا تنازعه ولا تناظره بل لك تساعده
على ما تطالبك به من شهواته الباطلة الباطنة فتستنبط بالفكر الدقيق
الحيل لقضاء شهوته هل هذا الا عين الانعكاس والانتكاس على قفاء
الراس فهل رايت قط رجلا شاهد تحت ثوبه حيات وعقارب اقبلت
عليه فاخذ المروحة ليدفع الذباب عن وجه غيره وهل تستحق من يفعل ذلك
فاعلم ان هذا حالك في اشتغالك بمناظرة غيرك واعراضك عن معارضة
نفسك

في المعرض ينكشف لك روح عملك يوم تبلى السرائر كما ينهتك عن كيفية مشاهدات

الآخرة باسرار الاعمال وارواحها ومالم تنظر نفسك مدة طويلة لا

تخليك لمناجات ربك وذكره والاقبال عليه ثم طريقك مع النفس

اذا خالفتك ان تعاقبها بما يزجرها وتعلم انها كالكلب لا يتادب

الا بالضرب وان اردت ان تعلم طريق مناظرتها ومراقبتها ومحاسبتها

ومعاقبتها فاطلبه من كتاب المحاسبة والمراقبة

فان هذا الكتاب لا يحتمل فالله تعالى يوفقنا

واياك بفضله وجوده وكرمه امين.

والحمد لله على التمام والصلوة على

رسوله محمد خير الانام وعلى اله

وصحبه اجمعين الى يوم

القيام

ع

یا مولای یا واحد یا مولای یا دائم یا علی یا حکیم